

# الحسين البينا

من صبح القرن الثالث عشر الهجري الى اليوم

مفتوح بمقدمة بليغة في أطوار الانشاء العربي  
منذ العصر الجاهلي الى اليوم

بقلم مؤلفه

الحسين البينا

عنوان المؤلف القاهرة بالقريه نمره ١ حارة الخشبي

يطلب من مؤلفه ومن مكتبة حضرة محمود افندي توفيق السكتي

« حقوق الطبع والنقل محفوظة للمؤلف »

الطبعة الاولى

١٣٣٢ هـ  
١٩١٤ م

المطبعة الجاهليه بحارة الروم — بمصر



# الحسين البينا

من صبح القرن الثالث عشر الهجري الى اليوم

كتاب خاص بتاريخ الآداب العربية في هذا العصر  
وتراجم مشهوري الادباء من الكتاب والشعراء

تأليف

السيد  
حسن بن  
١٣٣١

« حقوق الطبع والنقل محفوظة للمؤلف »

﴿ الطبعة الاولى ﴾

١٣٣٢ هـ  
١٩١٤ م

« المطبعة الجمالية بحارة الروم - بمصر »

## أهداء الكتاب

— الى صاحب النيل ووارث عرش اسماعيل —

« الجناب العالي خديو مصر »

عباس باشا علمى الثانى

مولائى :

هذا عبد من عبيدك المخلصين ، وكاتب من كتاب مصرك  
الأمين ، نشأ فى أيام دولتك ، وظهر فى عصر سلطانك وصولتك ،  
يرفع الى علياء سدتك كتابا وضعه فيمن أيقظ الادب العربى بعد  
رقده ، وأنهضه بعد كبوته ، من أولئك الا عيان « أعيان البيان »  
الذين لولا أيادي آباءك المتسابقة ، وروادف نعمائك المتلاحقة ، ما عرف  
الادب الى نفوسهم سيلا ، ولا كان التاريخ لذكرهم حافظا أو كفيلا  
ولقد أنعم الله على مولائى فيما أنعم ان أضاف الى جلالة ذاته ،  
وكمال صفاته ، همة محمد على ، وبطولة ابراهيم ، ومجد اسماعيل ، وفضل  
توفيق ، فكان خير من تهدى اليه الاسفار ، وتوَّج باسمه الآثار ،  
لا سيما اذا كانت حسنة من حسنات عصره ، وأثرأ من آثار عهده

من السردبى





# مقدمة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الاحياء  
بآثارهم النافعة وأعمالهم الصالحة ، وسلم  
وبعد فالكتابة — أسعدك الله — هي الوسيلة لا يبراز ما يحول في النفس  
من الخواطر الحاصلة من ارتسام المراتب في صفحات الفكر ، وتصوير ما يعلق بلوح  
الخيال من المعاني والاغراض ، وحالة ما ينبض به الذهن من روق الاماني وسوانح  
الاتمال ، مثالا قائما بحسه الافئدة ، وتدركه الابواب ، وتشهده الابصار  
وهي كما علمت - ربة ما يند في سماء المشاعر من أوابد الافكار ، وضبط  
ما يخفق في بساط الحواس من آل المدركات (١) . فن اخرج من المنشئين طريقها  
واعدت لها عدتها من نس زاكية ، وقريحة صافية ، وطبع سليم ، وذهن قويم ،  
وحافظة وروية ، وبديهة والمعية ، واطلاع واسع ، وأخذ باطراف الفنون ،  
وتفنن في الصناعة ، واقتنان في الصياغة ، وابتكار للمعاني ، وإحكام للمباني .

---

(١) المراد . أن الكتابة قيد شوارذ الافكار ، وضبط مشاهد الابصار .

وتصفّح أسفار الطبيعة واكتنه أسرارها ، واقتطف أزهار العقول وجنى ثمارها ،  
ودرس صحائف الدهور وطرّس الاجبال . ملك اعنتها ، وراض عصبها ،  
وكانت له فيها الحياة الخالدة على الايام والذكر الباقي على الزمن . ومن قصر شأوه عن  
بلوغ مداه ، أو وقف به التحصيل عند أولاه ، كان خلوده منتهى جهده <sup>(١)</sup>

ولست أرى فرقا بين كلام الناثرين كاتبهم وخطيبهم ، وقول الناظمين شاعرهم  
وراجزم . غير أن هذا أقيم مجاز من قواف شدت بأسباب وأوتاد ، ممتداعلى  
اتباج <sup>(٢)</sup> بحار العروض ، وذلك انبعث مرسل ، وجرى مطردا ، لاضابط له  
غير ذوق الكاتب ، ولا قيد لسلوك سبيل الفحول من أعيان البلغاء وأئمة المترسلين .  
وكلا الكلامين ينتهى الى غاية واحدة ، ويغضى الى غرض مشترك ، وهو ابلاغ  
ما فى نفس المنشئ - كاتباً كان أو شاعرا - من بنات خواطره الى هوس القارئ ،  
كل على قدر تطوله فى الفصاحة ، وتبسطة فى البيان لبث ما يروم به مما حواه صدره  
من نتائج مشاهداته ، ومستكنات ضميره

وما أحسب الادب الا طائرا جميل المنظر ، حسن الشكل ، بديع التعرّب ،  
مطرب الصوت ، جناحه المنشور والمنظوم ، يهبط الى صدور الكتاب ورؤس  
الشعراء فيتخذ منها مساكن يقيم بها ويبعث بانوار يده البديعة الى قلم الكاتب فيرقص  
القلوب فى الصدور بمختلف النغمات ، ويرسل صوته المطرب على لسان الشاعر  
فيهب الارواح فى الاجسام بمؤلف التوقيعات . وما الكتاب والشعراء فى ديوان  
الادب الا أغصان وأفنان ، ومزاهر وعيدان ، يحركون النفوس الى منازل السكّال  
ويبيعونها ساحات الجمال

(١) يريد أن الكتابة قد تكون ملكة فى النفس غير أنها لا تظهر الا بالآلات التعلم والدرس .

(٢) اتباع الامواج . والمجاز يراد به الجبرأ والطريق



ولقد مرت بالكتابة العربية عصور تناولتها أثناءها أيدي النهوض والعثور ،  
وتناولتها دواعي الظهور والدثور ، فكانت في العصر الجاهلي وجوداً أشبه بالمدم  
لا تصرف العرب عن عمل النثر إلى قرض الشعر في تأدية معانيهم وأغراضهم ،  
ولا استغنائهم به في وصف أحوالهم وأطوارهم ، والابانة عماله اتصال بحياتهم . كالنجوم  
وبروغها ، والانواء وسقوطها <sup>(١)</sup> ، والسحب وتنجاجها <sup>(٢)</sup> ، والجبال ووعوثها ،  
والسهول وميوثها <sup>(٣)</sup> ، والابل والشاء ، والاسد والظباء ، والغيل والسلاح ،  
والسيوف والرماح . والاشادة بوقائهم وحروبهم ، ومواقف الفرسان ، ومقارعة  
الاقران ، في الدفاع عن الاعراض ، والنضج عن الاحساب ، والتفاخر  
بالانساب <sup>(٤)</sup> ، وما إلى ذلك من بواعث اليداوة ، ومستلزمات القطرة ، وقليل من  
مطامح النفوس ، وخفايا القلوب ، ومناجاة الحبيب . حيث كان الشعر ديوانهم ،  
اليه مرجعهم في تخليد ما تراءى لهم ، وما بهم في تدوين مفاخر أعمالهم ، اللهم  
الاحتالات من مردول الفقر ، ونمالات من سيف الاستجاع ، نسبت إلى الكهان  
من أصحاب الهياكل ، وعزيت إلى الرهبان من احلام الصوامع

ومهما بالغ الرواة في توثيق ما جاء ونابه من مشور الكلام المسند إلى أهل ذلك العصر  
القديم ، وإن تعددت مصادره ، ووفرت مراجعه ، فلا تسخوئس بأن تؤمن  
بخلوهم من بضاعتهم المزجاة ، أو سلامتهم من صناعتهم المتعملة ، فقد كان جل ما تصبو

- (١) جمع نوء وهو أن يسقط نجم في المغرب مع الفجر ويطلع آخر يقابله لساعته في المشرق  
وكانت العرب تعرف بذلك أوقات الليل ولهذا سموها المطر نوماً
- (٢) شدة الانصباب وفي القرآن الكريم : وأنزلنا من المعرات ماءً نجياً .
- (٣) الوعوت الصومة والحزوة والميوث اللين والسهولة
- (٤) من أحسن ما قرأت لبعض الاعراب قوله مفتخراً بنفسه

إذا مضر الجراء كانت أرومتي وقام بعصري خازم وابن خازم  
عطست بأنتف شامخ وتناولت يداي التريا قاعداً غير قائم

اليه نفس أحدهم ان يحضر مجلس صاحب السلطان فيعرض بين يديه من مغربة الاخبار، وجائبة (١) الابناء والاثار، ما يكون زلق الى بسط اليدله بالنوال، غير حامل نفسه من العناء الاعلى ما يسبك به حكايته في الغريب من قوالب الاعراب، وما يستدبر روايته الى بعض جفاة الأعراب، غياله غله، وتوصلا الى أمله

ورواتنا رحمهم الله وان لم يستطيعوا ان يخدموا التاريخ بصديق الرواية وتحصيل الحقيقة، فقد أهدوا الى الادب العربي بما ابتدعوه فيه من الاساليب، وما اخترعوه من المناحي والتراكيب، طرقات حلت من هوس المتأدين محلا عجيبا، وان كانت في عيون النبلاء من أهل الادب وأولى التحقيق قذى حال بينهم وبين ما يشتهون من الوقوف على ما عتور الانشاء العربي في أطواره من أصول نشته، وأسرار ارتقاؤه

أدر طرفك في مناظرة النعمان وأصحابه لكسرى أنوشروان (٢)، ووصف الجارية التي زعموا ان المنذر بن ماء السماء أهداها الى ملك الفرس (٣)، وغير ذلك مما طغت به كتب الادب، ونسب الى جاهلية العرب. بل انظر الرسالة الممزوة الى أبي عبيدة التي افتروها على أبي بكر وعمر في حق علي كرم الله وجهه (٤)، ونعت الاسد في حضرة عثمان بن عفان وما قاله لواصله، وأعرض ذلك وأمثاله على ميزان عقلك ومحكرويك، وبعد أن تجرد نفسك من ثياب الهوى، وتطلتها من قيود التقليد، قهني على واضعها: أبدوى هو أم حضري؟ وسليق أم صنعاي؟ وفي أي

(١) مغربة الاخبار أي الاخبار الغريبة. جائبة الابناء أي البعيدة التي تحتاج في الحصول عليها الى قطع البراري والقفار وتحمل مشاق الاسفار

(٢) هذه المناظرة قد ملأت كتب الادب قديمها وحديثها حتى لا تكاد ترى كتابا في المختارات الا وجدتها فيه لمكاتهما من البلاغة ومزلتها من الجودة، ولشهرتها اجترأنا بالتنبؤ بها

(٣) قدكرر وصنف هذه الجارية في كثير من كتب الادب أيضاً

(٤) هذه الرسالة مبسوطة في صبح الاعشى وهي طويلة جدا تستغرق عدة صحائف ولولا ذلك لا ابتناها هنا لجودة صوغها وعظم نفعها

طور من أطوار الكتابة أنشئت ؟ ولأى قصد صنعت ؟ هذا قليل من كثير ، ونمد من غير من منشور الكلام . أمام منظومه حدث في دخيله عن البحر ولا حرج وما زال الانشاء العربى فى أرجوحة مهدى الى أن أشرقت شمس الرسالة المحمدية فى مياء جزيرة العرب ، وأرسلت اشعة هداها الى زوايا العقول ، ونصاكت<sup>(١)</sup> الاذهان بما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه من محكم الآيات ، ومعجز البينات ، وأنجبت القلوب الى بارع حكمه ، ونوابغ كلمه ، انقلبت الافكار من حالتها القطرية الى مقام سام استقام معه محال البيان . واذا دعت الحال الى ارسال الرسل وتيسير البعوث ، مست الحاجة الى الكتابة والكتاب فارقت الانشاء الى مستوى تجلب آثاره فى خطاب الخفاء الراشدين ورسائلهم . فليس أفضل من كلام الرسول بمد كلام الله ، ولا أشرف من خطاب الخفاء بمد خطاب رسول الله ، ناهيك بفصح الامام على وبلاغته المتدافعة تدافع الفيث المدرار

ولما جاء عصر بنى أمية والمدة المروانية ، بلغت صناعة انشاء الخطب وتعبير الرسائل مبلغا كانت الكلمة فيه تنير الشعب الخامل وتلوى بالامة الثائرة الى الاخلاص والسكون . فقدم لك زمام الكلام فيه رجال قادوا الشعوب بقواهم ، وأقاموا عظام الامور بشقاشق<sup>(٢)</sup> . ألسنتهم . كز ياد والحجاج من أمرائهم ، وبنى المهلب من قوادهم ومساغير أجنادهم . واذا ذكرت هؤلاء ، فلا تنس خصوصهم من الخوارج والازارق ومواقهم التى كانت تنزع الدهر وتلقف صروف الايام . فقد أوتوا حظا من قوة اللسن ، ورمّة اللد ، واختصوا ببسطة اللسان ، ومكانة البيان ، وعضد

(١) نصاكت . تنازعت

(٢) أصل التشقة للبر واستعيرت للخطيب المنطبق وقد سميت احدى خطب الامام على بالتشقة

البرهان ، والافصحاح عما أشربته قلوبهم من النحل والاهواء ، وجرى في ضائرم  
من العقائد والآراء ، ما لم يتسن لسوام من زعماء العصائب ورؤساء الاجناد .  
فاجعل - حفظك الله - حسن البيان وجمال الادب من مقاتلهم ، واجعل دبر  
أذنك سراحي نخلتهم ، ومنازى قائلهم . فإلى البيان الامابه أفصحوا في مآقط<sup>(١)</sup> الحجاج ،  
وما الادب الاماعته أبانوا في مآزق<sup>(٢)</sup> الحجاج

وفي هذا الابان نبغ عبد الحميد وابن المقفع واختلا للناس في صناعة الانشاء نهجا  
قويما ، وابدعا أسلوبا مذهبيا حكما ، اعتمد أولهما في تمديد<sup>(٣)</sup> مذهبه على ما وهب له  
من كمال الطبع ، وسلامة الذوق ، وما ألهمه من لحون لحنى النفوس وأهازيج الارواح .  
واستعان ثانيهما على تذليل طريقه بالآداب الفارسية وعباراتها اللطيفة ، فاحل  
ما انتقاء من معانيها الشريفة المتبدلة تبدل الازهار من الاكمام ، الالفاظ المرية ،  
المذبة النقية ، الجارية مع النفس مجرى الصبهاء في الاعضاء . وكلاهما نافذ الطريقة  
في الادب ، مصيب الرمية في الحكمة وفصل الخطاب

ولما شيدت أركان الدولة العباسية على انقاض سلبتها الاموية ، وانبثت لها الدعوة  
في الامم وخفق لواؤها في الشعوب ، ودفعتمها دافع الملك وبواعث الفتوح والاتساع  
الى الاحكام بما وليها من الدول والحكومات والاخذ عنها . زهت الآداب  
المرية واتسع رحابها بما نقل الى علومها من علوم الاقوام وآدابهم ، وأسست دواوين  
الانشاء ورحب نفاطها ، وتولى الكتاب فيما تولو من أمور الدولة وسياسة الملك ،  
شؤون الاحكام . وجبوة الاموال . والهينة على الجيوش . فكان منهم الوزراء  
أصحاب الحول والطول ، وبطانة الملك ، وحاشية السلطان ، وذوو الكلمة المسموعة

(١) مآقط جمع مآقط وهو موضع التجماع القتال

(٢) مازق الحجاج بمعنى مضائق الخصاص (٣) تذليل

## والارادة المطاعة

وكان إفعام لسان العرب بأدب القرس وفلسفات الهند وعلوم اليونان والرومان سبيل إلى تصادم الافكار، وظهور الفرق، وبجاهرة قادتها بأرائهم وتأيدها بعذبات ألسنتهم، وأسلات أقلامهم . فمن بين صريف هذه الأقلام وتساقطها في حليات التناظر والتحصام، ظهر الملاحظ وصنوه بشرين المعقر وقبضاعلى خبى العلوم والآداب، وتناولوا بطريقة من سبقهم من أئمة الكتابة قدحياها وانتهجا فيها نهجا جديدا من طول الباع في تناول الاغراض البعيدة المرام، ومزج العلوم الانسانية بالآداب، والتبسط في أساليب الكلام، والضرب في مختلف القنون بأوفر سهام، والتمسك من ناصية اللغة وقه أسرارها، والتغلغل في انحاء البيان، بما لم يعمد من التبيان . وقد اقر هذا الملاحظ من بين أئمة الكتاب بمذهب بديع وأسلوب حكيم، وهو الكفاية والاقتصاد على تكييف التعبير عن مرامى العلوم ومقاصد الفلسفة والآداب بالألفاظ الشفافة المتخيرة، والكلمات الآخذة الساحرة، مع اطراد النسق ووضوح المعاني وجمال الانسجام

وبهذا الانتقال والتحول أخذت الكتابة شكلا غير شكلها الاول وليست من التفريق والتجويد ثوبا معلما، واكتست رداً موشى، نسجت بروده أبدى كتاب الرسائل . كبديع الزمان والحوارزى، والصاحب والصابي، وابن العميد، وكالمتبي والحريري وابن حبيب، ومن أخذ لإخذهم وتقرى بزمائهم من كتاب المقامات المسجمة، والمقالات المرصعة

وفي هذه الاثناء بزغ هلال المدنية العربية، والحضارة الاسلامية في أفق أفريقية وجيزة الاندلس وماليت أن نحاقق استنارت به عقول أدهشت العالم برائع تمارها، فنشأ في خصب أرضها، وانسياب مائها، ومجوسياتها، وازدهار رياضها، أمثال

ابن خلدون ، وابن عبدربه ، وابن سعيد ، وابن زيدون ، وابن الخطيب ، وابن خاقان ، وغيرهم من عيون الادباء ، وخيرة الكتاب والشعراء ، والله لتكاد النفس تذهب حشرات ، وتهارق القلوب مرابضها من الصدور أسي وحزناء ولوعة وكدا ، كلما ذكر هذا المجد الضائع ، والنجم الاقل ، والكوكب الهاوى قبل غمامه . وما أرى النهضة الاندلسية الا كنبوع ماء مالبث ان فارح حتى غار ، أو كبدر ما عثم أن أضاء حتى وقع في السرار ، وما منزلة الادب الاندلسي من الادب العربي الا كنزلة مدنيته من مدينيات الاسلام ، شامة في خد الحسنة ، أو كلمة حكمة في صحيفة بيضاء

ولما كان ارتقاء الكتابة وانحطاطها تابعا لما تكون عليه حال الدولة من قوة السلطان ومظاهرة الاعوان ، أو سقوط السطوة وهن النفوذ ، علت الكتابة في ابان عز الدولة العباسية ، وانحطت باضطراب حالها ، وانتقص أطرافها ، وانغارة التزعلها ، وغزو المغول لها ، ولم تنفس الكتابة بمد ذلك صمداءها الا في عهد الدولة الابوية في مصر والشام ، حيث أخذ يبدؤها وأقل عثارها القاضي الفاضل ، والعماد الكاتب ، ولما شمتها ، ونظما ما انتثر من عقدها ، وأجادا فيها ماشاءت لها الاجادة ، واحسنا ما تطلب الاحسان

ثم أصاب الكتابة بمد ذلك بحران عميق طالته مدته ، وامتدت فقرته ، الى غروب القرن الثاني عشر ولم يظهر في هذه الآونة من الكتاب والشعراء الا شخوص كانوا رجرجة بين بحالي الادب كدروا صفو الانشاء بما أراقوه على بساط البلاغة مما دعوه بالمحسنات البديمية ، وتغانيهم في ارهاق النفوس بالنوص على مستغلق المعاني ، ونابي المرامي ، والعبارة عنها بساقط الالفاظ ، ومتكلف التماهير ، حتى كادوا يذهبون بما كن في البيان من الذمء بالاسجاع الباردة ، والالواضاع الشاذة . كما هووا بالشعر الى أسفل الدكات بمجمود خيالهم ، ومحمود قرائهم ، وحتى أشرف الادب ان

تستل منه بغير وجه ، ويسلب مسحة جماله ، وصفاء جوهره

وقد ظل الادب في اغماضه الى أوائل القرن الثالث عشر الهجري حيث استقام الامر في الديار المصرية لمحييها العظيم محمد علي باشا ، وسرى نهوضه الى بلاد الشام . فكان للعلوم العربية والآداب نصيب وافر مما صرف عنايته لحيائه ، اذ أنشأ المدارس والمكتاب . وعمر معاهد التعليم المختلفة الدرجات وحشد اليها أبناء البلاد كما مهدها للوافدين عليهما من سائر البلدان . وما برحت نعموه بهمته - رحمه الله - حتى أرسل البعثات العلمية الى أوروبا لدراسة وسائل التقدم وأسرار النجاح ، ورد ما استماره القوم من الآداب العربية في القرون الاخيرة الى لسان العرب

ولما عاد رجال هذه البعثات من أوروبا بمد أن وردوا متاهل العلوم الافرنجية الجارية باسباب المظلمة والسودد ، واستقوام عيونها المتفجرة بالحكم والآداب ، وضموأ أيديهم في أيدي أفاضل السوريين وظاهرهم نخبة من جهابذة الازهر ونوفروا جميعا على تكوين نهضة يكون لها في أطوار الادب العربي أحسن الأثر ، وأجمل الخير ، فانشؤ الصحف ، وترجموا الكتب ، ونشروا الاسفار بالطبع ، وكتبوا الرسائل المقيمة ، وحرروا المقالات النافعة لتكوين الافكار وتنبيه الازدهان ، وانشدوا الاشعار بما وسعه النظم وما بلغ اليه قرص الشعر في ذلك العصر ثم تلا هذه النهضة نهضة ثانية في عهد مترف مصر الخديو اسماعيل وعلى يده حيث تأثر جده في ارسال البعثات العلمية الى بلاد الافرنج ، وأغار الادب العربي عناية فائقة ، فنيخ فيه رجال خدموا اللغة العربية ، وبرعوا في الانشاء حتى بلغت الكتابة في وقتهم مبلغا عظيما فانت فيه الشعر اشواطاً . وما كانت جريدة الجوائب ومطبتها وهي ماهي ، ودائرة المعارف البستاني الا حسنة من حسناته الى لمة الضاد ، وغرفة من بحر افضاله على الادب العربي

ثم اطرء القياس في التحسين الى ان كانت هذه الوثبة الادبية الحديثة في عصر مولانا العباس أطل الله أيامه ، وامضى أحكامه ، فقدمت الادب العربي من حسن رعايته وفضل عنايته حظاً عظيماً لم يمنحه ايامه من قبل أحد كما أغدق سجال نعمة على الادباء وأقرأ عنهم بتوالي كرمه ، حتى نشطوا لتنفيذ ارادته في احياء الادب العربية واعادتها سيرتها الاولى لمصرها الذهبي ، عصر هارون والمأمون العباسي ، وتبارى الكتاب في ساحات البيان وميادين الاحسان ، فعموا بالكتابة الى درجة عالية ، لم تنهأ لا كثر من سلف من الكتاب ، ولم تبلغ اليها الكتابة في طور من أطوارها الماضية ، ولا عهد من عهودها الفاتية ، فكان هذا العصر أجدر بان يسمى (عصر الكتابة) وكذلك تسابق الشعراء في اعادة الاختراع ، واحسان الابتكار ، واحكام النظم ، فاحيوا عهد الشعر ، وأعادوا أيام بشار وأبي نؤاس والبحرئ وأبي تمام والمتنبي والشريف والمرى وابن الرومي وأمثالهم من المجيدين

ولما كان الله قد خدلى في الادب ورجاله شجذت العزم لدراسته ، وحجبت النفس على تتبع آثار نوابغه قديماً وحديثاً ، وصرفت من وقته زماناً طويلاً في الاطلاع على أطواره الاخيرة منذ قرن ونصف على التفرغ ، وتبعت مسالكه تتبع متفهم متثبت ، ودرست محائف رجاله الناهضين في احيائه حتى اليوم ، فرأيت أن أضع كتاباً وافياً يصح ان يكون تاريخاً للادب العربية ورجاله الذين نبغوا في عهد محمد على وعصر اسماعيل . وهذا العصر المبارك عصر مولانا العباس أيد الله دعوته ( أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري الى اليوم ) تخليداً لذكروا بنغ هذه المدة من الادباء واحياء لآثارهم

على انني لست بالحافل كثيراً بالشهرة ولا معتدّاً بها في اختيار الاعيان كل الاعتداد اذ لست أرى نباهة الذكر وبمد الصيت في أكثر الاحيان دليلاً على التفوق أو معياراً يوزن به النبوغ ، ولا رأى الجماعات بذلك الرأى الناضج الصادر عن



روية ، والصادع بالحكمة التي تطمئن إليها قوس الآثيات ، فظالما كانت الجماعات  
 نصيرة المفسدين ، وحرابا عوانا على المصلحين ، وقدعاً كانت الشهرة أخيدة  
 المحتالين ، أكثر منها لالكفاء القادرين ، فكلمنا من بين الكتاب ومتحلي حرفة  
 الادب من له ذكر ذاهب في الآفاق وشهرة طائرة في الخافقين ، اذا بلوته وسبرت  
 غوره ، رأيت سرايا قيمة يحسبها الظمان ماءً وبخاله العشوان نارا ، وما هو الا آل  
 السباسب وفار الحياحب . وكلم رأينا فيهم خمللا لا يكاد يعرف الا بين عشرائه ،  
 ومغمورا قلما يذكر الا بلسان معارفه وسجرائه ، اذا أوريث زنده وجدت على  
 النار هدى . وكذلك لست بالاتبه للصدافة اذا كانت تحول بين قسي وبين ما أبني من  
 الحقيقة . انجل ما أقصد خدمة الادب وانارة التاريخ ، لا الإشادة بذكر أناس  
 على غير ما يستحقون ، أو اخط من آخرين والغرض من فضلهم ، وماقاعدة الاختيار  
 عندي الا الاتع والاصلاح والابق أثرنا والاحمد ذكرنا

وبحسن بي هنان أعرض رأيا طالما حلت حوله أفكار الكتاب ، ومجمعت به  
 صدور الادباء ، وهو المقاضاة بين المصريين والسوريين في خدمة اللغة العربية ،  
 والنهوض بها الى أوج عزها الحاضر . قاقول : اني لأرى لسوري فضلا على مصري  
 في احياء الآداب العربية في أطوارها الاخيرة ، وللمصري مغفرة على سوري ،  
 أو يداعلى عراقى ، الا كما يكون للاخوة الزعماء من فضل التسابق في مضمار البرامهم ،  
 والزاحم على ارضائهم بما في وسعهم ، فكلمهم بار وكلمهم سابق ، ولا وجه لادلال  
 السورى على المصرى بمجده ونشاطه ، وللمفخرة المصرى السورى بركة طيمه ،  
 وسلامة ذوقه . على ان كتابى هذا سيكون انشاء الله كفيلا بخليد الفضل لدويه  
 من أدباء المصريين ، وفضلا للسوريين ، وحفظ الايادى البيضاء لمسديها الى لقمة  
 الضامن أبناء العرب

وسيلي في نحر بهذا الكتاب وتنسيقه ، أن أوثر بالذكرفيه : الكاتب المجيد  
ولولم ينظم في حياته شعرا ، والكاتب الشاعر ، والشاعر الكاتب ، والمترجم  
الماهر الذي يساعد على عوالفة بما ينقل إليها من علوم الافرنج وغيرهم ، دون الشاعر  
الذي لم يكتب أولم يُعرف أنه كتب ، أو كتب ولم يُجد إلا من كان سامي الخيال ،  
حسن الاجكار ، وقليل مامم . وإن ارتبه على النسق الآتي — :

ترجمة حياة الاديب ترجمة مفيدة ابسط فيها ما بهم الاطلاع عليه مما يصح ان يكون  
قدوة صالحة ، أو موعظة حسنة ، معتمدا في ترتيب التراجم على تواريخ ميلاد أصحابها  
السابق منهم فالسابق . مع نشر صورته اذا تالتها اليد

ثم فصل عنوانه ( بميزاته ) أبين فيه عن الصورة الذهنية التي ارستمت في خيلتي  
من دراسة ما كتب من متثور أو منظوم أو ألف من كتب . وعما امتاز به من  
الخصائص الذاتية ، في ملكته الكتابية ، وسليته الشعرية ، واضطلاعه بالادب  
وما كان لهن حسن الاثر في أهل جيلة

ثم فصل عنوانه ( مؤلفاته ) أصف فيه مؤلفاته وصفا يطاق ما هي عليه وأذكر  
منزلتها من الكتب والمطبوع منها وغير المطبوع

ثم باب عنوانه ( آثار أعلامه ) فيه فصلان : فصل عنوانه ( نخب من نثره )  
وفصل عنوانه ( نخب من شعره ) اختار فيهما طائفة صالحة من أحسن ما كتب واقع  
مانظم ، واهمهما ما يتفق لي مما اتوق النفوس الى عرفاته من الرسائل ذات الشأن  
التاريخي ، والقصاص ذات الاثر الادبي ، مع شرح ما يلزم شرحه منها والتعليق  
عليه بما يمن من الملاحظات افادة للناسي ، المتادب ، وقاكهة للكامل الاديب .  
وهذا كله على قدر ما يبلغ اليه علمي ، وتنسج له طاقتي

وافقه أسأل أن يسد خطواتنا ، ويلهمنا الرشاد ، ويهدينا الصراط السوي ،

حسن السبروي

وبسلك بنا السيل الاقوم

## الشيخ حسن قويدر

رحمته

هو الأديب العالم حسن بن علي قويدر، ولد بمصر (١٢٠٤ هـ) من أسرة معروفة الأهل استوطن أحد أقرانها الخليل من فلاذ فلسطين وعرفت ذريته هناك بالمغاربة ومنها جاء والده على مصر في تجارة وأقام بها ورزق فيها بحسن فأثبته نباتا حسنا وألحقه بالأزهر فقرأ العلوم والآداب على شيوخ وقته، ومنهم الشيخ حسن المطار، والشيخ إبراهيم الباجوري، وتخرج عليهم في اللغة والآداب، فأنشأ القبول، وحرر القصائد، وكان أديبا بوقته، وقصده الكتاب والشعراء وأخذوا عنه وشدوا بغضله، ولم يعلم أنه قلب في مراتب، وألحقه إلى جناب، غير أنه كان يتجر في ما خلقه والده من المال مع شركاءه بسوريا كان يادهم سلع الشام ببضائع مصر، على أن ذلك لم يلبه عن الاشتغال بالعلوم والآداب وتصنيف الكتب، وشرح المؤلفات. وقد كان موصوفا بالخود عجم البوارف، ويجود بلغاريف، وهي صفات جميلة الأثر لم نعهد لها في أبناء عصرنا، فانك لا تكاد ترى تاجرا متعلما يشي من الآداب، أو أديبا يحسن ضبط ما قد يكون الديق من مال، فضلا عن استقامة أولادهم بهم، حتى أصبح أكثر من حقيقتهم قتيلا مودعا، وحتى ضل إليوس عنهم عنوان الآداب أما أخلاقه فاللغة والامانة وصدق المودة وعدم الميل مع الجور في كشف

«أعيان اليان» «م — ٢»

مثالب الناس، اللهم الا اذا كان مدافعاً عن نفسه، أو أدبه، كما فعل مع عاقل أفندي في رسالة الاغلال والسلاسل. هذا وما زال المترجم له حركة الوصل بين الادب والذهب الى أن دعاه ربه فلباه في شهر رمضان سنة (١٢٦٢ هـ) فرتاه الشراء، وأبناه الادباء، ومنهم تلميذه صفوت الساعاتي الذي زعموا أنه رأى في منامه قويدر قبل وفاته بثلاث ليال ميتاً قائلاً: رحمه الله على حسن قويدر. فحسب جملها فسا كان تاريخاً لسنة وفاته.

ومما رتاه الساعاتي قوله من قصيدة

بكت عيون الملا والمحطت الرتب \* ومزقت شملها من بمدك الكشب  
ونكست رأسها الاقلام باكية \* على القراطيس لما ناحت المحطب  
وفيه يقول

قالوا قضي حسن المناقب فارثه \* فاجبتهم ومدامى تتحدر  
لا أستطيع رثاء من لمصابه \* أضحي لسانى في فم يتمثر

## مُمَيِّزَاتُهُ

نحمة من نعمات (المطار<sup>(١)</sup>) الزكية، وعلم من أفراد أدباء الازهر النواذر الذين وجدوا الادب في مهاد قلوبهم أرضاً خصيبة، وفي أذهانهم سماء صافية الاديم، ومن طباعهم جوداً مغنياً وغيتاً مدراراً، قازهر وأتمر وجاء من الاقاني بكل زوج بهيج، فما شئت من أثر مجود سهل، وما رمت من شعر منسجم جزل. في ميل

(١) هو أستاذه الشيخ حسن المطار المشهور

الى السجع مع قليل تكلف ، وخبرة بامرار الكلام ، وتوق في فن المزدوجات  
بما لا يغال . وحسبه انه نابغة زملائه من خريجي الازهر في زمنه أبا وفضلا

## مؤلفاته

نيل الارب في مثلثات العرب — كتاب جليل جمع فيه ما يثمن من الالفاظ  
المریسة بالحركات، منظوما في أرجوزة غاية في السبك والاحكام ليسهل حفظه على  
الطالبين وموشى الهامش فوائدها لا يستغنى عنها متأدب . وهو مطبوع معروف  
شرح منظومة المطار — هي منظومة في النحو لشيخه الشيخ حسن المطار معروفة  
بشرحها لدى طلبة الازهر

زهر النبات في الانشاء والمراسلات — كتاب لم يطبع ولملح على مثلي  
انشاء المطار

شرح على مزدوجته البديعة لم يطبع ويقال انه كان واقعا في مئة وثيف كراسة .  
ذهبت به الایام

رسالة الاغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل : كان عاقل هذا من نظاي ذلك  
العصر ، واسمه محمد افندي عاقل كاشف زاده ومقامه الاسكندرية . له شعر يقول فيه  
معالم الصبر دون الحى من مضر \* ومرتع القيد في قلبي وفي فكري  
ومنبت الشيخ شيخ الظبي أفندي \* قارعى وحاذر من النيران والشر  
واحكم بما شئت في حر نعلك \* رق النرام وقيد مطلق الخفر

وحيق العظمى جفنيك في كبدى \* قوت مشلى من سهم ومن وتر  
فما يمشى مدى الأيام ذو قس \* ولطف يملو بسيف الطرف والحر  
كان قد سرق قصيدة ونحلها نفسه، فباعها أحد الأدباء إلى الشيخ قويدر وأطلعها  
عليها، فلما قرأها وعلم أنها مدعاة كتب إلى عاقل افندى بنصح له بالعدل عن ادعائها، وإن  
ما غيره في بعض آياتها من الكلمات لا يفي عن الحق قتيلا، ولا سيما أنها من القصائد  
المشهوره حتى عند تلاميذ المدارس . فأجاب عاقل افندى بجواب ملؤه الهزؤ والسخرية  
وللاستحقاق . ومن أدلته المضحكة : ان كون القصيدة شهيرة حتى عند التلاميذ  
فضلا عن أهل الادب لا يثبت أنها ليست له ، فقد يجوز أنه يوارى مع قائلها المروفة له ،  
ومع هذا فلا يمكن اثبات سرقتها وانتعالها إلا باعترافه ؟ وعلى هذا فأرى إلا ان  
الشيخ قويدر قد أصاب في تلقيب هذا العاقل بالجنون . والرسالة موجودة بدار  
الكتب الخديوية مكتوبة بخط سقيم لا تستحق النشر

## آثار أعلامه

### نخب من نثره

قطعة من خطبة شرح الكتاب

ومن شئت تلك المرائس الخواطر ، حلتى بواعث الخواطر ، على أن أكتب  
عليها صرخا ، وأبني على دعائها صرخا ، وأشد بنطاق البلاغة لها كسحا ، فوحت على

أقدامى ، متردداً فى تاخرى وإقدامى . . . وشددت نطق المزم ، وتقلت بصارم  
الحزم ، وقومت سنان براعمه ، وبسطت فى حومة هذا الملبان باعى ، وانى لارى  
التوفيق يقوم أمامى ، والعناية قودنماى . الى آخر ما هنا لك من مثل هذا الكلام الذى  
لا أكتم القارى الكريم ان نفسى لم تسطع الصبر على نقل بقيته ، ولعل الشيخ قويدر  
فى الكلام المرسل خير منه فى تنميق الخطب ، وفى رسالته الاثقة الذى لا كرم ايدل على  
ذلك غير اننى لم أشأ الا ان بيان بشى عنها لما بنيت عليه من الهجاء المقدع الذى أرى بكتابى  
هذا ان يحويه

## نبذة من شعره

### نصيحة

يا طالب الصبح خذ منى محبرة \* تلقى اليها على الرغم المقائيد  
عروسقمن نبات الفكر قد كسيت \* ملاحاة ولها فى الخلد توريد  
كانها وحى بالامثال تالفة \* طير لاه فى صعب القلب تنريد :  
إحفظ لسلك من لقط ومن غلط \* كل البلاء بهذا العضو مرصود  
واحذر من الناس لا تركز الى أحد \* فالتخل فى مثل هذا العصر مفقود  
بواطن الناس فى ذا الدهر قد غسدت \* فالتشر طبع نغم والتغير تقليد  
هذا زملاى لقد سادت أراقله \* قلنا لهم هذه أيامكم سودوا  
ورأيت لهذا المستهل

يا من له خلق كنفة عتير \* بالله كف سهام لومك عن برى

وهذا

لو كان أمر فؤادي دائماً يدي \* لما وضعت يدي اليمنى على كبدى

## محاسن المزدوجة

رأيت بدرأ فوق غصن مائس \* يخطر في خضر من الملايس  
ويسحر العقل بطرف ناعس \* وهو بشوش الوجه غير عابس  
كان ماء الحسن منه يجري

خاطرت لما أن رأته خطر \* وحار فكرى في بها ذاك الحور  
وقلت لا والله ما هذا بشر \* ومن بشمس قاسه أو قمر  
فليس عندى بالقياس بدرى

فلفظه المذب لقلبي قوت \* ككاه الدر أو الياقوت  
وسحره الى النهى مثبت \* بسجز عن مثاله هاروت  
وهو الحلال من صنوف السحر

وكم حوى الثمر من الجمال \* اذ نظمت في جوفه اللآلى  
منسوفة جلت عن الثال \* وحليت بريقه الزلال  
قالحسن مجموع بذاك الثمر

ان قيل بدر قلت ذا قريب \* وكامل فى الحسن لا يغب  
والبدر فيه كلف يبيب \* وذا الزشا جماله عجيب  
واتفرق ظاهر لى من بدرى



عرب مسك فوق خده التوى \* وجره الغدبها القلب اكتوى  
جمال هذا الظبي قد هدد القوى \* وليس لى غير الوصال من دوا  
فاسمع به يابدر واكسب أجرى

فقال لى يا مرجيا وأهلا \* أدخل تجد عندى مكانا سهلا  
بادر ولا تقل الى مهلا \* واشرب شرابا علا ونهلا  
فى ساعة تعدل كل العمر

خاف من اللوم والاعتراض \* فقال هل تدخل للرىاض  
قلت نم اشقى بذأ أمراضى \* يا حبذا ان كنت أنت راضى  
ياغرة فى وجه هذا الدهر

فضم راحته له براحتى \* فكان هذا سببا لراحتى  
وماس يثنى بمنمن القامة \* حتى دخلنا روضة الحسن التى  
فاح شذاها عبقا كالطر

فقال طب قسا فقد زال الالم \* والصنوم من كل الجهات قد ألم  
كأنه يسلو على القلب ألم \* نشرح لك الصدر بهذه النعم  
روض ووجه حسن ونهر

خففت فى القلب رايات الفرح \* وامتلا الصدر سرورا وانشرح  
وقد سمعت بلبل الأيك صدح \* يقول قد داوى الحبيب ما جرح  
وهذه أسنى خصال البر

لم أنس اذ تنافس الازهار \* ودهشوا من حسنه وجاروا  
وظلموا فى حكمهم وجاروا \* تشبهوا به وهذا تار  
لأن هذا بالمليح يبرى

قال الفتيق ألا هل المحب \* وروث لوق عن أبي عدي  
ونبتي نيك عن عدي \* لكن الى التمان ليست عدي  
فأنا منشوب لهذا البدر

واليامن كصاح في الرياض \* يقول شطر الحسن في ياضي  
فمرحى من أقرب الأعراض \* وأزجي يعني من الأمراض  
من ذا الذي يشبه هذا غيري

والتوفز الرطب يقول جسي \* كجمعة في خنده والرسم  
لكمتي مخالفت في الأمن \* من أجل هذا حكوا بسجى  
وغرقوني بمسط هذا البحر

فاجسر الترجس اذ يقول \* هذا الكلام كله فضول  
طرفي كطوف ذا الرشا مذبول \* والعين للقلب هي الرسول  
ولم بها تزلوا في الشعر

سقمهم بنسخ فخارا \* كانه يطلب منهم ثارا  
وقال أنا أشبه النذارا \* خين صبا بحسنه العذارى  
وضار لوه كلون الخير

فشمر النصن عن الساق وقد \* تجرد سيفاً لراجهن وقد  
وقال تجرى بكلامكم وقد \* أنا الذي أشبه اعطافا وقد  
أحلكم وتجهلون قدرى

وكثر العصام واللجاج \* واختلوا في أمرهم وهاجوا  
واضطربوا في رأيهم وهاجوا \* ورجعوا للحق ثم عاجوا  
فابصروا الحدى بين الأكر

فجئتوا الورد عليهم قاضي \* وكلهم بما يقول راضى  
لأنه لم يقض بالأغراض \* وساطم من سائر الأمراض  
ذو عذوبة وهو جليل الشجر

قالوا له يا عادلا يابى الزمنا \* من الذى يهبه فينا ذا الزمنا  
فقال قولاً للفقول أدعنا : \* هل فيكم عظمى رطيب قد مشا  
وفوقه كل صنوف الزهر

دعواضيتكم يا أيها الزهور \* كما زعتم باطل وذور  
وكلبكم بنفسه فيرور \* وواجب في حقه التعزير  
من جملة التعزير لوم الحر

الحسن شيء ماله فثيل \* وكل وجه حازه جميل  
والنفس دائماً له تيل \* وصاحب المزله ذليل  
في قيد أسر نبيه والامر

من شبه الجمال بالجنى جنى \* وكان عندي مستحقاً للجنى  
لو كان فضل الله يؤتى بالنا \* كما زعتم كنت لاشك أنا  
أحق منكم لوجهات قدرى

من لم يكن يعرف قدره نسبه \* وقد تعدى طور أهل جنسه  
يهدم على قدره من اسه \* حتى يرى الوحشة بعد أسه  
والذل بعد عزه والفخر

وحين لاح البدر في اشراق \* وكل المرور بالتسلاق  
وأطفئت لواعج الاشواق \* سطا على صبارم العراق  
أراد تحرى عامداً في تحرى

فصرت أشكو للحبيب ماني \* وقت قد تزايد الجوى بي  
 ودمع عيني ملاً الجواني \* ولم أطق ردا الى الجواب  
 والصبر صار طعمه كالصبر  
 فقال لا بد من الفراق \* ولورقانا اليوم ألف راق  
 قلت اذا يئنا عسى الاحداق \* فهل يكون بمده تلاق  
 فقال ان اليسر ضد العسر  
 وأشمت البين بي الازهارا \* فظهرت سرورها لإظهارا  
 وفككت من طوقها الازرارا \* وجعلت تلحظني جهارا  
 كأنها تأمن خطب الدهر  
 وكدر الدهر سريع ان صفا \* وهل رأيت الدهر يوما أنصفا  
 ان النوى صيرني على شفا \* والحب دائما لم يكن له شفا  
 الا الوصال بعد طول المهجر



## عبد الباقي العمرى الفاروقي

## ترجمته

هو الاديب المراقى عبد الباقي بن سليمان بنى نسيه الى الامام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولد بالموصل سنة ( ١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م ) في بيت وجاهة وفضل فنشأ عابا للادب ، ولما بالمالى ، ونظم الشعر قبل اعراف عقد تجماعه ، وعرف بالذكاء والفطنة وهودون المشرين ، وما بلغها حتى صار بمقد عليه في النظام . فأسندت اليه الحكومة العثمانية منصب كاتبا لولاية بغداد إثر قعه لفتنة تار نائرها بمجرات النجف ، ومع قيامه باعباء هذا المنصب فابرح مجلسه مثابة للادباء ، أهلا بالفضلاء . وقد كان على المهمة ، ذا واجهة في قومه ، ومقام كريم بين وجوه بلاده ، نافذ الارادة لدى حكومته ، وبعثته أسند من منصب افتاء الحنفية في بغداد الى الشهاب الالوسى . كما أقاد كثير من أهل الادب والفضل . وما زال قائما بمناصبه ، عاملا على اذاعة آدابه ونشر فضائله ، ومراسلة أدباء عصره وشعراء وقته الى أن توفى سنة ( ١٢٧٨ هـ ١٨٦٢ م ) فقام نعيه ورثاء من مدحه في حياته من الادباء والشعراء . وقد جمع شعره الشيخ عثمان الموصلى في ديوان مشهور دناه بالترياق الفاروقي وهو متداول

## مُمَيَّرَاتُهُ

أقام من منظوماته فى آله البيت سوقا عرض فيها هورا خزية زورها بما قد  
 بظن ممة انه تحدى بها الكيت فى هاشميته ، والسيد الحميرى فى طالياته • أفرغ  
 فيها ما أكتته جوانحه من التشبع بحب أسباط الرسول ، والتشيع الخالص لابتاء  
 فاطمة البتول • نظمها نظم من يريد الايضاح عن عقيدته بما يسهل طرقه من القدرة  
 على التعبير والافصاح • أما نظمه فيما عدا ذلك فاكثره ليس بالجيد السهل ، ولا  
 بالنسجم الجزل ، غير أنى رأيت انه كان لا يكاد يضع قصيدة حتى يتناولها شعراء  
 وقته بالتشطير والتخميس ، ولعل هذا كان إما لوجاهته ومقامه فى عشيرته ، وإما  
 لطفولة الشعر فى عصره ، وأما كتابه فلم أر منها الا رسائل خاصة منسوجة على  
 • منوال السجع المتكلف شان أكثر كتاب ذلك العصر ، وحسبه انه ظهر فى أوائل  
 نهضة جاءت بعد طول الرقاد ونمطى ليل السبات

## مُؤَلَّفَاتُهُ

لهمن المؤلفات غير شعره الذى حواه كتاب الترياق القاروقى ، ديوان اسمه :  
 أهلة الافكار فى ممانى الاشعار ، لم أطلع عليه ، وما عسى أن يكون لهؤلاء الممانى  
 المبكرة التى روى أهل عصرنا هذا عصر المسلم والعرفان وارتقاء الافكار الذى

أصبح قيعا قايروني وأطالته وإن كانوا يلغضي أساس هذه التهففات لا يملحون  
أن يعدوا تلحينها لشكرينا . وكتاب اسمه : نزهة الدهر في تراجم فضلاء مصر  
لأظن أنه من الكتب الخطيرة ولعله لم يطبع

## آثاره

### نخبه شعره

من رساله الى الأتومي

أنهى لجناب ذلك الشهاب الناقب، والبدر الحاضر الغائب، أنه وصل منه شريف  
كتابه، ومنيف خطابه، والباعي إذ ذلك في غفاتي شكوى سدكتي هذا أليم سدك  
الفرج، وهركتي بأـ كفت الآـ منها وأيدي اسقامها عرك فلا ديمه حتى لقد فزوت على  
فاه القنون، واسسوت في الياس من الحياة مئى القنون . الا أنه تطلت بطفه من على  
بالشفاء، وتطلت عن جهة اليمس الى جانب الرجاء . فقد الحمد معواتراً، والشكر أولاً  
وأخراً، وهو المفعول اتي يبلغك أطول الاعمار، وزوي عنك شكر، ولا تقدر، وكان  
كما بك قد رافى في عفواتها، وإيمان زجواتها، تخفف من أوصابها، ويخفف من أتوابها  
وكأنما وردها تداً لخطأ، أو وفتر إثر امصفاً، ولما تضويوت بره الاحلال، وثمت  
برق الأبرار، وجب انهاء المذر المقترض، وتسعين قضاء الحق المقترض، فنبهت  
عين النون، وأطلقت لسان القلم لثحر بر هذه الاحرف، للمشجونة بالزخرف،

ولولا ترتب الحق كما ذكرتم ما كنت أطلق بينت شفه ، وما زاد على هذا فمدود  
من السفه ، وأما الشرك الذى نصبته لصيد غراق العقول ، فهو منقول عن  
معتول ، فقدر

## نظمه شعره

### هلال المحرم

ليت المحرم ليلة استهلاه \* سلخت عشيها بنصل هلاله  
شهره شهر البلاء بكر بلا \* عضباً تأتق قينه يصقاله  
قد حرمته الجاهلية واجترت \* عدوا بنوحرب على استحلاله  
قتل الحسين به فأى فضيلة \* تمزى له وتمد من إفضاله

### فى الغزل

وعفراء سكرى القتلىين كأنما \* سلقتهما الندامى من سلافة اشعارى  
تمر مع الانراب بالحيف من منى \* مرور الممانى فى مغاوز أفكارى<sup>(١)</sup>  
وما خطرت الانذرت فى الوغى \* بهام خطير القدر ميلة خطارى  
ومن ضجها كادت تبيح طمرتى \* من الضيم ما أخفيت تحت اطمارى  
فرحت اليها اشتكى مضض النوى \* كما شكت الاقلام منى الى البارى  
وجاراتها راحت مؤنبه لها \* على ماجرى بالسفح من دممى الجمارى  
بصفين آثار الخطى بذوائب \* كما قد غفت من منزل الذل آثارى

(١) تامل الله ما سمعت قبل الآن أن للشراء مغاوزه فى أدمتهم تخترعها الافكار .  
ولكن سبحان البعد الحكيم



يسامرنى طول الدجا من غرامها \* سسميراناغى فى معانيه سُمارى  
على قريبا حتى اذا هى اسفرت \* بياعدمها الحسن ما بين اسفارى  
لنفثة سحرى يثمين لحاظها \* وألقاها تمزى لركة أسمارى  
وفيه قال

بروحى غرباً بالرصافة قلبه \* لدى ظيئة لياه خلقه رهنا  
وقالته بالكرخ علم أهله \* فنون جنون وهو فى غيرم جُنا  
له فى الهوى العذرى عذر اذا لوى \* لبان اللوى عطفاً وحن الى المنى  
أتشجيه سُمدى والرباب وانه \* يحاول ان يقضى اللبانة من لبني  
اذا ما انتضى من جفن عينيه مرهفا \* رجوت فؤادى ان يكون له جفنا  
فقلته تلك المصيبة انها \* لام الدوامى والدوامى لم أضنى  
ومن قده واللحظ ان ماس أورنا \* يقامى كقلبي قالى الضرب والطمنا  
ثنى قاودت بالقلوب طعمانه \* فما ضره لما ثنى لو استثنى  
وهيات عن قلبي تطيش سهامه \* وقد صار منه قاب قوسين أو أدنى  
اذا قلت قلبي أين حل أجابني \* فهل لك من كمّ به تعرف الأيتنا  
ويسم عن برق فأبكي بمدمع \* اذا شمت ذاك البرق تحسب دامتنا  
لقد زارنى والليل زرجيو به \* علينا ودام النجم عنا وما نمنا  
وبات يماطينا سلافة ريقه \* ففقه ما أحل الله ما أهنى  
الى أن رأينا الليل غطى ذراعه \* ضياء نهار صبحه شعر الرثنا  
ومد يدا تحبى من الزهر زججاً \* حكى من عيون المين فملتها الوستا

## عاليته (٢)

- الى الروم أضبوا كلما أومض الخال \* فاسكب دمعاً دون تسكبه الخال (٢)  
وعن مدح داود وطيّب ثنائه \* فلا القديّنين ولا الحمد والخال (٣)  
مشير الى العليا أشار فطاطات \* وأصبح مندكا لهيته الخال (٤)  
مناصبها افتادت لأعجاب يابه \* كما افتاد مرثا الى الوطن الخال (٥)  
وقد نالها أذوني الحكيم حكمة \* الهية فصل الخطاب لها خال (٦)  
ملكك ممالك الامر والنهي كله \* اليه انتهى والحكم في الارض والخال (٧)  
حكى نهر طالوت ببسطة علمه \* وفي فضله ذاك القى الماجد الخال (٨)  
توسم عزّاً بلا بسياه دهره \* فغوله التعمى وما كذب الخال (٩)  
وصدق فيه مانحيله النهى \* وفيها سواه قلما يصدق الخال (١٠)  
فيا لرجال من علاه فرسوا \* أغر عليه من نسيج العلا خال (١١)  
اذا اعتركت آراؤهم عرضت لهم \* ككتاب رأى من نها لها خال (١٢)  
عصاميّ قس سودته جدوده \* فلا الحمد بحجتيه ولا الم والخال (١٣)  
له العلم خدن والكمال منادم \* وخسن السجايوا والجل الخال (١٤)  
هو الصدر منه القلب كالصخر في الوغى \* اذا طاش في غلوائها الوكيل الخال (١٥)  
ودم البالي ان تمادى جماعها \* فهتمة الكبرى الشكيمة والخال (١٦)

- (١) مدح بها المشير داود بلثا والى ينداد اذ ذاك مبارضا فيها خالية الشاعر بطرس كرامه  
(٢) السحاب (٣) الثامنة (٤) الجبل (٥) الجبل (٦) ملازم (٧) الخلافة  
(٨) الكريم (٩) التفتيل (١٠) الصادق (١١) ثوب (١٢) لواء - وكانه نظر فيه  
الى قول المتنبي: أرادوا أن يدبروا الرأي فيهم \* فصبحهم برأى لا يدار  
(١٣) أخو الام (١٤) الصاحب (١٥) الجبان (١٦) اللجام

- توم قوم أن يجاروه في الملا \* فلم يجدم ذاك الضكر والخال (١)  
 يشق على من لا يشق غباره \* رهان أذى عن شوطه عاقه الخال (٢)  
 غفا الله عنه قد عفت بعد بعده \* من البلدة الزورا المعالم والخال (٣)  
 وهيات مادار الرصافة بعده \* وما الكرخ الا السبب القفر والخال (٤)  
 ولكن بهذا العصر أمست كججنة \* بها تنبأى ربة الشام والخال (٥)  
 ورضوانها اليوم التجيب مشيرها \* يحافظها موسى عليها هو الخال (٦)  
 عظيم وقار لوتراعى ليزدبل \* تصا غر منحطاً وطاوله الخال (٧)  
 حماها حياه الله من كل ريبة \* تشين علاه فهو من ريبة خال (٨)  
 فلا زال كل منهما طود رفعة \* يلوح عليه مع تواضعه الخال (٩)  
 واني وان كنت الرديف زمانه \* لمسبوقه حسن الروى لها خال (١٠)  
 فذى معجزاتي ما أرى ابن كرامة \* يعارضها حتى يصاحبه الخال (١١)

## التحاة

حرف لام قد حرروه بمسك \* ففديا زهرة لمعين الراى  
 أم عبير به تضمخ خد \* فازدري بالشقيقة الحمراء  
 أم هو الاتس قد أحاط بورد \* لاح يغبني عن روضة غناء  
 أم عباب لما طمى قذفت أمواجه \* عنبرا على الأرجاء  
 أم هو النمل دب يرسف في كبيل \* من الند حول ضحضاح ماء

(١) التوهم (٢) الراج (٣) الآخر (٤) الموحش (٥) موضع بالشام  
 (٦) القام وبريد به نجيب باننا والى دمشق في ذلك الحين (٧) الاكمة (٨) برى  
 (٩) الكبرياء (١٠) قطعة (١١) الكفن

أم لوت بآنة على الورد فرما \* أم عذار قد حف وجه البهاء  
وجرى مسكة بنهر نهار \* فأرانا الإصباح في الإسماء

### حسام الدهر

كل يوم مجرد الدهر سبيلاً \* فصله الصبح والمساء فراه  
يتراءى نجاده من شماع \* وعمود النجر المنير نصابه  
والدارى في ظهره قرات \* قالورى مثل ذى الفقار تهايه  
قذا ما بدا ينقض كالصل \* على الخاقين سال لهابه  
انه ذلك الحسام الذى يخشى \* على كل من عليها ضرابه



## الشيخ محمد شهاب الدين

### ترجمته

هو محمد بن اسماعيل الشهير بشهاب الدين صاحب السفينة ولد بمكة سنة (١٢١٠ هـ ١٨٧٦ م) ثم حضر الى القاهرة ونشأ بها والتحق بالازهر فدرس على مشايخه واخص منهم بالشيخ حسن العطار والشيخ التروسي ، وكان ميالا الى الادب ، حسن النظر في فنونه ، فبرع في الانشاء ، وأثن الشعر ، وتفنن في ضربه ، كما أخذ قسطا وافرأمن علوم الرياضة ، كالْحساب والهندسة والموسيقى والالْحان ، وكان أديبا عصره ، وقصده الطلاب للاستفادة من معارفه ، وبارع آدابه ، وكان فقيها تخرج عليه في فقه الشافعية وأسرار البيان الشيخ أحمد قارس ، وتاهل بها مفخرة كبرى . ولما كان ممن يحررون الوقائع المصرية مع الشيخ العطار فقد ولي رئاسة تحريرها بعد اسناد مشيخة الازهر الى شيخه المذكور ، ومن ثم اطلق يد الشيخ أحمد قارس في انشاء الفصول ، وتغيير الرسائل فيها ، وظل مهتما على تحريرها الى سنة (١٢٥٢ هـ ١٨٣٦ م) ثم جُمِل مصححا لطبعة بولاق الشهيرة ، وكان من حاشية عباس باشا الاول ومن التامنين بالادب بين يديه ، والملازمين له في حله وترحاله . وقد كان حسن الاخلاق رقيق حاشية الطبع فكها المسامرة ، مقصودا الجنب ، يمنح أدبه لاي طلب ، غير ضنين بما وهب . ولما توفي المرحوم عباس باشا الاول لزم بيته واقطع للدرس والتأليف ونشر الاداب الى ان توفي سنة (١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م)

## مُمَيِّزَاتُهُ

للشهاب كالسواء من أدباء جيله فضل عظيم في إعداد الألفاظ وفكر وعميد الأذهان، لقبول بادىء الأدب، واتهاج بسنن العرب، بعد أن نسج الخمول عليها خيوط عناكبها، وطليت العقول بقشرة صفيقه من صدى الخمود. فكان من الذين أجزوا أقلامهم بالكتابة والإشياء، ورفعوا أصواتهم بالنظم والإشاد، مهيبين بالعقول أن تثوب إلى سالف عهد هاهنا من الحدة والصفاء، وإن تثوب إلى ساقبته من القطنة والذكاء، وهو وإن كان قد رأس تحرير الوقائع المصرية، وخرج مثل أحمد فارس، فإن ما قرأه لمن منشور الكلام لا يدل على أنه كان في صناعة الانشاء دامية تجمله في مصاف المجيدين من كتاب وقته، ولعل ذلك راجع إلى ما كانت عليه الكتابة في ذلك العهد من الوهن والسقوط، والضعف والهبوط، على أني أحسبه في شعره ممن يصح أن يعدوا من شعراء الطبقة الأولى من أهل ذلك الجيل. وخير ما له من الحسنات ما جرده في سفينة من دارس الغناء العربي، فقد افتتح مناقبه بعد إصاها من عهد الأصمغاني ومن شار على نهجه ممن جاء بعده، وأوضح معالمه، وأبان ما استعجم من آياته، فكان فيه الميرز من بين أدباء المتأخرين، والمعلم الأخير الذي لم يأت مثله إلى الآن، ولعل الذي صرفه إلى هذا الفن حتى أجاد قواعده، وأحكم أساساته، مناظرته لمعاصره الدرويش والمناظرة جلاء الأذهان. وكأنه كان في زمنه قاضى الغرام، ومفتى العاشقين، يحكم بينهم بشرع التصابي، ويفق بإحكام الهوى.

ثم ما زالت أسمى أن أعلم من أمره أن كان ممن يطربون النفوس برحيم أصواتهم، ويحيون

الليالى بديع انشادم ، أم كان من الذين يُقيمون أركان الطرب وليس لهم فيه صوت يهز النفس ، أو جزس يحرك الحس ، حتى علمت انه كان من المعلمين ، ولم يك من المطربين

## مؤلفاته

ديوان شعر — مطبوع سنة ١٢٤٧ هـ حوى على كبير حجمه شعراً يتناسب في الجودة مع ما كان عليه الشعر في ذلك العصر  
سفينة الملك ونقيصة الفلك — كتاب جليل لم أر أجمع منه في فن الموسيقى والأغاني العربية ، فانه فضلاء عمما واه من ضرب الغناء الحديث فقد حوى نخبه صالحة من مختار الشعر الرقيق وجيده وهو مطبوع متداول  
وله رسالة في التوحيد وأخرى في الأوقاف وغير ذلك مما هو معروف مشهور

## آثاره

### نخب من نثره

لم أقف له من النثر على ما يستحق النشر في كتابي هذا ، اللهم الا ما كتبه مقدمة للسفينة ، وهذه المقدمة وان كانت كثيرة القوائد الا انها فنية محض لا تروى الا أرباب فن الغناء وغوانه الذين يحرمون على الوقوف على أسرارهم ، والاخذ بآثاره ، وهؤلاء قد علموا

مكانها ويستطيعون الحصول عليها ، وأما سواهم من عشاق الطرب سيما قليسوا في حاجة إليها . ومع هذا فقد عثرت له على رسالة صغيرة من الرسائل المخصية بمتبها إلى ناظر الوقائع اذ ذاك سامى افندى . وكان الشيخ عبدالرحمن السفلى هجاء بقصيدة مظلما الأهل مودة دان ماروت المصى \* لسحرم سحر الحبال مع المصى فرد عليه الشيخ شهاب بقصيدة على رويها مدافعا فيها عن سامى افندى ملاها من المعجوب بما لا هجر فيه ولا تحش . قال في مظلما

اذ كرحلى شيم الحاسن واقصص \* واقطع لسان السوء أصلا واقصص  
فأخو الجزالة من يصون لسانه \* ويحبي من حسن الدبح بمرقص  
وأخو السخافة من هوى بالخنا \* وغدت مقالته كفارغ حص  
والرسالة هي

سبيدى أدام الله سؤددك النامى ، وأيد بنصره عز جنابك السامى ، ان ذيك  
الحديث المشمر عن ساعد شيطانه ، الراى عن قوس أفكه و بهتاته ، لما أن قال ما قال ،  
عما أحدث به على نفسه وبال ، وكان كالباحث عن حقه ، بطلقه ، والجادع مارن أهده ،  
بكفه ، لاجرم ان شهابك الثاقب ، القاعد لثل هذا الشيطان بمر اصد المراقب ، قد  
أتبعه على غفلته ، ورماء بصاعة شملته ، وكبه على وجهه وفيه ، وأولج ما أولج فيه ،  
ثم أتى ببيان قصيدته من القواعد ، وقض كل بيت منها حتى خر له ساجد ، وعند  
ما صال وجال ، أنشد هناك وقال . ثم جاء بالقصيدة التى أشرنا إليها



## نذ من شعره

## وصف مسجد القلعة

عروس كنوز قد تجلت بمسجد \* مكللة تيجانها بالزبرجد  
 أم الجنة المبني على قصورها \* بأبهج يقوت وأبهى زمرد  
 أم المكرمات الآصفية أبدعت \* هوى أعاجيب بصورة مسجد  
 هو القلعة الأعلى نزل وازدهى \* بزهر الدراري جاماً كل فرق  
 إلا أن تجديد العجيب من البناء \* يؤكد تأسيس اقتدار المجد  
 وهل أثر يصاح برب عن حل \* مؤثره دون البناء المشيد  
 فدع قصر عُمدان وأهرام هرمس \* وإوان كسرى أن أردت لتهدى  
 ودع أرباب ذات العماد ونحوها \* وعرشاً لبلقيس كصرح ممرّد  
 ودع أموى الشام وأنزل بمصرنا \* وبادر إلى هذا بإيماء مرشد  
 فلو عدت في الكون بدأ بدائع \* لكان به ختم لذاك التمسّد  
 كأن الليالي والوالدات عجائباً \* أصبن بعمد بعد هذا التولد  
 لأن صار في الدنيا وحيداً نرداً \* فلا غرو والمنشئ له ذو نرد  
 ملك جليل الشأن ليس كنهه \* جليل بعياه اقتدى كل مقتدى  
 محمد آثار على ما أثر \* عزيز اختار ساد كل مسود

## رياض الممرات

وماروض آس ذى غصون موائس \* كسته يدُ النداء خُضر الملائس  
 وابت سوارى المازن من درجلها \* تحلى طلى قضبانه بنفائس  
 وأصبح ثرا زهر يضحك من بكاء \* عيون الزوايد الممصرات العوائس  
 ووالته وُزق الحمام نوحها \* لوحشة إلف بات غير موائس  
 وصاحت شحارير الطيور كنّها \* رهابنة صلت بسود البرائس  
 وراح غدير الماء يجرى مسلسلا \* ويشكو على الاطلاق ضيق الخائس  
 يمر به روح النسيم وينثى \* فيروى شذا أغاسه للمعاطس  
 وقد باكر الندمان دوح أرا كه \* جراح حكّت في الكاس جذوة قابس  
 معتقة بكر عجوز بدنها \* مخدرة فى الحان عذراء عانس  
 يطوف بها ساقٍ اذا ماس واثنى \* يقول غصون البان هذا مجانس  
 وان قام يستجلى الكؤوس حسبها \* شموشاً بها تسمى بدور الخاندس  
 لَمى فيه فيه كم قوس تنافست \* وقد قل ان تلقى سوى متنافس  
 وغنام شاد أغن اذا انتضى \* طلى اللحظ أزرى بالظباء الكوانس  
 رطيب قوام أهيف التدم لم تدع \* ليانة عطفيه قياساً لقائس  
 فان قمته بالبان قاترق ظاهر \* وان بالعوالى فهو ليس بيائس  
 اذا صاح بالالخان يشدو فمبدئ \* وان طارح الندمان قان مُكائس  
 ولو حضر الوائى لحاضره بما \* يُبين عن الجزار وابن قلاقس  
 وقد آن ابان الربيع وشابهت \* أزاهره فى اروض وشى الاطالس  
 وكلل نيجان الربا بلأىء \* من القطر يجلوها جلاء العرائس

وحياهم الساقى بورد وزرجس \* وبالغدحيّ والميون النواعس  
فطابوا قوسا واطمانوا خواطرا \* وقد آمنوا تكدير صفوا الجالس  
بأطيب يوما من ثناء يديره \* لسانى امتداحا فى مدير المدارس

### اجابة للمتمس صديق

يادمية شرعها ضرب النواقيس \* ما بين قرب مزارى والنوى قبسى  
هذى ثنايك قد لاحت بوارقها \* أم أشرقت فى الدجى أنوار برجيس  
أم نمر كاس الطلائفتر عن جيب \* أم ذا ضياء نبى الله جرجيس  
أم تلك طلعة بدر التّم قد ظهرت \* بحكى سناها محيا غور غريوس  
بابا النصارى سربى روح ملتهم \* حامى حمى كل شماس وقسيس  
شخص ولكن هوى روحه ملك \* وجسمه صورة فى شكل قديس  
أقام وهو وحيد العصر مفرده \* دين النصارى بتلث وتطيس  
نسبى الملوكة الى قبييل راحته \* فى البحر والبر فوق القللك والعيس  
أحيى السكتائس جساما بدماد رست \* وشيد الروح تشيدا بتأسيس  
فمعلموا الرب فيها بالصلاة له \* ومجدوه بتسييح وتقديس  
لا غرو ان زهت الدنيا بيهجته \* فالطير زهو ابتهاجا بالطواويس  
كم بطرك حل فيه سره فبدت \* منه عجائب معقول ومحسوس  
يريك أصف اذ وافى بدعوته \* فى ظرف طرفة عين عرش بلقيس  
لا سيما بطرك السامى سرادقه \* من غره فاق فيهم كل قريس  
أعنى به حضرة المظلوم من بعثت \* به ثور الامانى بمد تعميس

### شبيه النصف

بروح من نقص البان شابه \* ومثروب الطلاب بهاء شابه  
 مليح لم يخط له عذار \* وفي رقى له ابداء كتابه  
 هذا القدر القريد فيه نظما \* وحكم في ديوان الصبا به  
 ومر فلم اجد صبرا عليه \* واحشائي ترى عذابا عذابه  
 رمى قلبي بسهم قدمضي في \* رميته ولم يخطيء مصابه  
 وراح وقد بدا برق الثنايا \* ودمعي هائل يبدى انسابه  
 يلوح ووجهه بدر ولكن \* عليه من ذوائبه سحابه  
 بخد روضه يرعاه طرفي \* وقلبي بالجوى يصل التها به  
 يدبر من الحديث عتيق حجر \* فبسكرني ولم أطم شرابه  
 أراه في محاسنه عليا \* ولكن ما تنزل للصحابه  
 سميت وزرته فازداد تيبها \* وولى معرضا يولى اجتابه  
 أنا الجاني على غسي لاني \* دخلت على هزبر الغاب غابه  
 فبدلني بنوم الليل سهدا \* وعوضني الشجون على الدما به  
 شياطين الوشاة به الما \* ليسترقوا ولم يخشوا شهابه  
 سألتني منه غايات الاماني \* وسوف تكون عقيبا عتابه



## أمر د حج والتحي

مداعة	تشيب
في حبه كم بيت صبا * أجرى عليه الدمع صبا	أأس عذار فوق خديه منشور
ظلي حلاه في الملا * تحكي لنا بدرا وشبا	أم الورد في روض به حفر منشور
بهزت شمس جمالها * فسبت بطلتها الحبا	حديقة أزهار عبر شمعها
عجبا لثل عذاره * اذ فوق ورد اتخذ دبا	له في جميع الكون نشر وتمطير
سلك الطريق لثغره * متطلب الشهد المرني	حماها من الجاني قس حواجب
الله نحل سعادة * في حجر حظوتها ربي	وفلك لحظ سيفه المعصب مشهور
لو صار أشيب لم يعمل * عما عليه كان شبا	إلى الله أشكو جفن ظلي إذا رتا
حاكي أباه تربيأ * بل قاقه وعليه أربي	إلى قلب صب صاده وهو مكسور
كانت عواقب أمره * محمودة شرها وطبا	إلا في سبيل الحب صب متم
أدى فريضة حجه * سميا وتطوفا ولبا	مصاب بسهم الجفن ولهان مسحور
وسقته زمزم شربة * قد لينت ما كان صعبا	عليه سطا لحظ الحبيب بنظرة
وأتى ليحدث لحيه * فاسترسلت كالريح حبا	فراح طليقا دمعته وهو مأسور
سهلت عليه طبيعة * ولرب طبع قد تأبى	لئن ساءه يوم الرحيل فراقه
وفشت بخديه وما * بال ولا كادت تخبا	فقد سره لقياه والحظ موفور
وغدت تقول لحده * يا حمرنا بت وبنا	إلا قاتل الله القراق فكم به
كم من حزاني حولها * هموا بها شقا وسبا	على ذي رفاق قد تسر ميسور
وإذا رأوا تلويها * صبوا عليه الماء صبا	ورب محب حذروه من الهوى
فاصبر عليها واعتذر * عنها لعل تزور غبا	وقد بات يفره على الحب تحذير

## تشبيب

سباه غزال قد دعت به الى الحى  
مضى الوحش تبغى انسه والظبا القور  
نقله جيران فى ظلمة النوى  
وسار الى البطحاء يكتفه النور  
وقار بحج البيت غير مقصر  
وان فاته حلق فاقات تقصير  
وزمزم زانته بحلية الحية  
على مثلها الولدان تحسدها الحور  
حللاه بها زادت كلالا وبهجة  
وان قال من يهواه حقاى الزور  
تقول لواحيه وقد عجبوا لها  
الا ان من يهوى العذار لمذور  
ولما قضى نسكا وأدى زيارة  
ولاحت على الاوطان منه تباشير  
أنته نهانى الحظ بضحك سنها  
وقلب محبسه بليقاه مسرور  
ونادته ان ابشر محمد بالنى  
فحجك مبرور وذنبك مغفور  
وهذا لسان الحال قال مؤرخا  
الى حج بيت الله ساعيك مشكور

## مداعبة

وارجع عن الشكوى وقل  
انى رضيت الله ربا  
فلقد جنبت بها على \* خد جناه كان رطباً  
ر بينها ففقت \* ولكم غلت من ربى  
بنضالها من لحية \* كثفت وحاشى ان نجبا  
هجمت عليك تطاولا \* ودعت سمياً قد ألبا  
ومذا استطالت أرخت \* قد ضرتولى يوم لبي

١٢٥٧



## الدرويش

ان في الروم من بروم الخبوشا \* ويرى محض نصحه مغشوشا  
 اذ ترجى من مائهم رى أرض \* زادها خلف نوهم نعطيشا  
 وتصابى في حبههم وهو شيخ \* كان في دولة الجوى جاوِشا  
 فهو مثل القراش حُمقا وزعما \* طاش عقلا وطن ان لن يطيشا  
 عاش دهرًا وجهله في ازدياد \* ليته بعد لم يكن ليعيشا  
 لو فهمنا حلى الكمال فهمنا \* بالمعاني لراح يهوى النقوشا<sup>(١)</sup>  
 نجتنى الكرم يانما وهو يابى \* بجباياته ويرعى الحشيشا  
 ان تبدى خياله بعدير \* خاف منه وخال فيه جيوشا  
 وهو فيما داخلته خارجي \* رافضى يدعوهُ الدرويشا  
 كان مثل البابوش في الزجل لكن \* جعلته أبدى الملى سربوشا  
 قربه لم يمكن لنا منه بدث \* لو صرفنا في البعد عنه قروشا  
 فتوخى يا نفس صبرا عليه \* في لياليك ما يشل العروشا

## ضارب رق

همت وجدا بحب ضارب رق \* قدرى لحظه فؤادى بأسمهم  
 رمت منه وصلافا كان أحلى \* قوله لى من بعد ذلك تك تم

## ظي أغن

لله شاد رخيم الصوت همت به \* وفيه طابت أوقاتى وأحيانى  
 اذا رنا بظبي الالفاظ مت به \* وان ترنم بالالحان أحيانى

(١) فهمنا الاول هي من التهم والتأنيه من الهيام

## السيد علي الدرويش

## ترجمته

هو ابن السيد حسن بن إبراهيم الأذكوري . ولد ونشأ بالقاهرة في غرة شهر المحرم سنة ( ١٢١١ هـ ) ولما بلغ سن التعلم أدخل الأزهر وأخذ علومه على شيوخ وقته كالشيخ المهدي والقويسني والصاوي وغيرهم من جلة شيوخ الأزهر . ثم مالته نفسه إلى الأدب ، فأنكب على ما وصلت إليه يده من كتبه ، واستقرى أمهات اللغة وأخذ يستخرج دررها ، ويحتلب درها ، كما صبت نفسه إلى تعلم الهندسة والحساب . ثم غرغ للكتابة وقرض الشعر واختص بعلم البديع وأتمن فيه فن التاريخ حتى ما كانت تحربه حادثة الأرخها غفو الساعة . وكان يُعرف بشاعر عباس باشا الأول . وقد كان حسن الحال ذامال وعقار غير متكسب بالشعر . ميالا إلى اللهو والسرور مداحا للكرام ، نباذا للثام ، مقتذا في الهجاء ، مر الخصومة ، حلو المناكحة ، وما زال مشغولا بنظم الشعر وإنشاء الرسائل ومكانة أدباء عصره حائزا لإعزاز أصدقائه ، وإجلال عارف فضله ، إلى أن توفاه الله في ٢٧ ذي القعدة سنة ( ١٢٧٠ هـ ) فقام نفيه حتى رثاه الشعراء وأبنته الأدباء . وقد جمع ما غرق من شعره ونثره تلميذه مصطفى سلامة التجاري في كتاب سماه ( الإيثار بحميد الأئمة ) وطبعه على مطبعة الحجر سنة ١٢٨٤ هـ



## مُمَيَّزَاتُهُ

جارى أدباء عصره فى ضروب الشعر وتعبير الرسائل المسجعة ، والمقامات المرصعة ، وبرع فى صناعة البديع ، وحسن التفنن فيه . وامتا من أنواعه بالتأريخ ، وأدوار التفتى ، وصناعة المواليا والموشحات ، وما إليها من فنون الغناء ، وأحسبه ممن يعدون فى ذيل الطبقة الاولى فى شعره ، حسب ما كان عليه الشعر فى عصره ، ولولا ما كانت تحببه اليه الاسجاع من الحشو والخروج لعد من كتاب الطبقة الاولى فى منثنى ذلك العهد . ومع هذا فهو من أفراد الممدودين فى الادب والفضل

## مُؤَلَّفَاتُهُ

الدرج والدرك — كتاب وضعه فى مدح من اشتهر فى أبله بمحمد المزاي وكريم الصفات ، وضم ذوى المتالب والذنايات ، على ما أرشده اليه عقله ، وقادته نحوه ميول نفسه . جعل الدرج للممدوحين والدرك للمذمومين . روى تلميذه مصطفى النجارى ان هذا الكتاب استماره منه صديقه حافظ بك مصطفى ولم يردده . غير اننى وقتت منه على نبذ ترى بعضها فى نخب مشوره  
تاريخ محاسن الميل لصور الخيل — كتاب وضعه بامر صاحب مصر عباس باشا الاول ذكر فيه محاسن الخيل ومساوئها  
رحلة — لم أطلع عليها ولم لها طبع  
سفينه فى الادب — استمارها منه صديقه على أنال ترجمان ولم يرددها

# آثار أقلامه

## نخب من نثره

من مقامة

سمعت برجل اسمه فلان ظهر يدعى الشعر انشاءً وانشادا ، وانه أبدع في السجع  
إملاء وإيجادا ، وله لسان حسان ، وحكمة لقمان ، وشعر الوليد ، ومعاني أبي الوليد ،  
وكتابة عبد الحميد ، وبلاغة ابن العميد ، وزكن اياس ، وعلم ابن عباس ، وخط ابن  
مقالة ، ويستصغر لجعفر فضله ، ويدعى الادب ، في الشعر والخطب ، ويقول في كل  
مجال ، هل من مبارز للنزال ، وهذه الدعوى يتوهمها حدسه ، وتسول له بها نفسه ،  
فشوفي خبره خبره ، وشوفي اذ شوفي سبره ، وكنت كثيرا ما ألح على بعض من عرفه ،  
وبالجل وصفه ، في ان يرى شكل هذا المدعى ، وان كان لا يمي ، الى ان  
أشتنى من الحاح ان أراه ، وأكتفى من معاقبي بان جمعي وإياه ، وذلك في مولد  
البدوي ، بمنزل خادم المقام العيسوي ، قرأت عماره ، في إماره ، ساحبا  
على بني مخزوم ذيل الفخارة ، وهو كاتم انفاسه ، جامع حواسه ، مطاطيء  
رأسه ، يهجي في كراسه ، فيها أحاديث خرافه ، بردها بكثافته ، وهي مقامة  
اشتراها ، وهو لا يدري مادحاها ، لو سمعها صاحب المقامات مات من بردها ، وهالك  
المبرد ولم يكتس ببردها ، وصار السفيه ، يقول ما ليس فيه ، ويدعى أبوة بنت فكر

النير، كدهواه في أبيه.

خفض عليك فلو كساك قيصبه \* تاموز كنت فتى وحقك باردا  
بحرف الحروف ، ويؤلف غير مالوف ، يمدى بالتحريف ، ويلزم اللحن  
والتصحيف ، ويغوث ما أعجم عليه ، وينسب في كل كلمة اليه ، يحرف الفاعل من كل  
بيت ، ويفتح في موضع السكون بيت . فقلت من هذا القارى ، ذو الوجه القارى ،  
فقيل هاشم . فقلت رأسه . فقيل إسمه . فقلت بشه . وتأملت له فاذا فيه كبرى ود ، وذات  
شقى ثمود ، ولؤم مادر ، وعى بأقل ، وطمع أشعب المعلوم لكل ناقل ، وجهل أبى جهل  
المتقدم ، وحق هبتة وخفة المعلم . فرفت من العنوان المضعون ، والفتان فلتان  
من المكنون ، فغنمت من التهمة بالاياب ، والجوى عن الجواب .

### مأثرة السلطان محمود خان

كان في زمن خرج فيه من المدو اعصار ، سجرت نيران حروب ما اصطلاها  
فؤاد عصر من الاعصار ، فاخرج الله منهم موسى النصر خاتماً يتوقب ، حتى استظل  
بحرمة الامان من علمه المنصور مذرآه يتوقب

لولا قد جف خلا يوم الوعى لندا \* من نفسه وحدها في جف لنجب  
فوقع بهم بار بأسه فتحشوا في نهار البوار ، وكاد يشيب الليل لنسبته لهم انه كافر  
لقديت عبد الله جند انتقامه \* على الليل حتى مات دب عقابه  
ففي كل نجدة في البلاد دوائر \* مواهب ليست منه وهي مواهبه  
كايلهم بارواحهم من بنادقه شركيل ، حتى تكسرت النصال على النصال ،  
باشباحهم من سهام النهار على سهام الليل ، فقدمت جند عده قدوم العير على أبى  
الاشبال : حيث أيقنوا انها صر في عزم من أبى سنال . والمير تقدم من جبن على  
« أعيان البيان »

الاسد، وأسمعهم غناء البنادق من حانة الصفوف، فرفضت عيون جراحهم الدموع على خدود السيوف، حتى عموا وصموا لحب الحياة مخافة المهجران، وسموا ملام الموت بأذن الطمان

أراهم منك رعب واقف بهم \* حتى تأمر فيهم رائد الاجل  
فقتلهم جثثهم الطير في محشر طرقة، وترى كلاً منهم طائر في عنقه،  
وأخذت أهل الشرك حتى انه \* لتخافك النطف التي لم تخلق  
قاروى الاماني يريق قلبه، واظما هو سهم يريق لهذمه

أمضى من الاجل الماضي وأسرع من \* جارى القضاء واضوا امن سنا القمر  
فزعت اليه الارض من تلك الدواب، فأحال مشرق مشرقه بين الاوتال  
والهضاب، قالوا باسلامهم منهزمين امام المسكر، وظنوا انها حجة الصائد من  
الجنيد يستر

ان الاسود أسود الغاب همتا \* يوم الكربة في المسلوب لا السلب  
لم تشبه من توالى الحروب الشوائب، ورد ماء شديدة الدهر اهرم وماطر له شارب،  
ورجعت يادق هذا الشاه الاعظم فرزانا بغنائهم، وداسهم بالفرس فماش الرخ  
في رماهم

خذوا الآن ما ياتيكم بهذه \* ولا تذكروا ذا العام فهو مثال

شيء من قدده

وكان الواجب الاضراب عن مجاوبة أمثاله، والتأمل للامتنى في خياله، لكن  
كانت تلك الكتابة، الخالية عن الاصابة، المتكلم عنك، المتقرب اليك بما ليس  
منك، ليست براعته الا في ذمى وسبى، ولا تمشى براعته الا باطاً كيد ذنبى، مع ان

جميع ما أبداه غير مطابق للحقيقة ، ولم يحرق في ستن الجواب على طريقة ، وقد علمت مقدار عقل القائل ، وما هو عليه من التقوى والفضائل ، حيث قال وأشار لي بقوله السعيد في الدنيا ، وهو السعيد في تلك الدرا ، فقد اعترف لي بالسعادة في الدنيا والله أكرم منه في الأخرى . واما قوله كان الواجب نعت قائل البيتين اللطاف ، فهماني كتاب المنسوب والمضاف للإمام الثعالبي . وكأنه استطردياً أنفسد ، فاستملز وما « كذا » برد هذا التهافت ، واصفر قاصر يكبر عن معارضة كل اعتراض له باهت ، حيث اطال بكل محال من ترفيعه الدهر ، بما لا يجعله الدهر ، ولو وقفه الله ، فمرض ما بداه في تفسيره للدهر في جوابه ، لا رشده كل سامع لما يترتب عليه ، لكن ما على اذالم فهم ، أو هجاني وذم وتكلم . واما كلامه في اعترافي بقلة بضاعتي ، ومماراتي بما لا ينبغي بمجاداتي ، فاني لم أزل معتزلاً بالتصغير والتقصير ، بل وعدم البضاعة التي بها الفير مغرور ، لكن مثله لا يغتر بشدقه ، ولا يلتفت الى تلهوقه . وما يدلي على أنه معدوم البضاعة ، وان آراءه في الصواب مضاعفه ، قوله في آيات الجواب الاول « هو الامام العلي العالم الورع » فلا يخفى قاصري طالي العلم ان الجزء الاخير من الكلمة الأخيرة من المصراع الاول التي هي عروض البيت لا يجوز تحريكها بل لا بد من اعنادها على تنوين أو ساكن ولانوين هنا الوجود آدات التعريف ولا يصح أن تنيد عين الورع فالواجب أن يقال « هو الامام علي عالم ورع » الثاني قوله من آيات الجواب الثاني ألا يانسيم الريح ان كنت محسناً \* تحمل الى وادي الاحبا سلامي فاهذه الكتافة ، التي لا تحسن بوجه من أقسام الاضافة في قوله « نسيم الريح » الذي لم يقله ألسن ولا فصيح ، وناهذا الحشو والكبر ، الذي يباه كل نبيه ولا يرتضيه ، ولو أصاب لقال : ألا يانسيم الشوق أو نحوه ، فأتقل نسيم ربحه ، أو أقل منه في ضبطه وتصحيحه ، لفظته تحمل بسكون الحاء وكسر الميم ، فان ذلك غير مستقيم

والصواب تحمل بالفتح والتشديد ، لاستقامة الوزن والمعنى والقرار من التصيد . . .

## الفضيلة والرزيلة

### من مقامة

وقل الله لما يرضاه ، وعصمك من موجب الذم ومن لا يتحاشاه ، ان الفضيلة والرزيلة صفتان متضادتان ، ونوع الانسان مجبول على الميل للاولى ، والقرار من الاخرى ، على حسب آراء العباد ، وعوائد البلاد ، فربما كانت الفضيلة عند قوم رذيلة عند آخرين ، وكانت الرذيلة عند أم فضيلة عند غيرهم من المتأخرين <sup>(١)</sup> ، وحسنات الابرار سيئات القربين ، مع تفاوتهم في طبائهم ، وأشكالهم وصناعاتهم ، فثم ذو الطبع السليم ، ومنهم النميم ، ولا سبيل الى ترغيب الاول ليجتهد في الازدياد ، والترهيب للثاني لينتجع على أن يحاشى بالاعتياد ، الا بالسان الا<sup>٢</sup> في بحر البيان ، فقد جاء في الحديث ان إيمان المرء ليربو اذا مدح ، ورعبا يصح الجسم اذا جرح ، فمن ذلك كان المدح على المحاسن تذكيرا ، والذم على القبايح تنفيرا ، وكلاهما مطلوب شرعا ، ومرغوب فرعا ، ليستيقظ الغافل ، ويقبل الكمال الكامل ، وليس كل المدح مقبول ، ولا كل الذم مطلقا بمعدول ، فان كان من ذمته لا ينتفع بنصيحة ، ولا ينتمى عن فعلة قبيحة ، فينغذلا يكون الهجو من سب الاطفال ، بل يندرج في صالح الاعمال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذكر والفاسق بما فيه تحذره الناس . وأن الله تعالى في كتابه العزيز قد ذم مصر حاورم<sup>٣</sup> ضا ، قال تعالى : تبت يدا أبي لهب

(١) في هذا الموضوع مجازة وتنافس غريبين اذ مامني أن نوع الانسان يكون مجبولا على الميل الى الفضلة والنراز من الرذيلة في حين أن لاقاعدة عنده لكلا الصفتين فلا يكون عند هفه فضلة يمد عند البعض الآخر رذيلة . فليتأمل

وتب ، ما أغنى عنه الله وما كسب . وقدم ح صلى الله عليه وسلم ونم . قال نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يصمه . وفي مروان : الوزغ ابن الوزغ . وهو كشم في كتابه القديم ، وحديث نبيه الكريم ، وأكثمن أن يحصر في كلام الكتاب والبلد من السلف والغلف .

ولما كان من استهونه الشياطين ، وتسلطن جنونه على جنون سائر المخلين ، ذوالبطن ، غلام امرأة السيد فلان . . . . . وكان قد تزوجها بعد زواجه بالسلف ، وعاشرهما على كره وصلف ، فولدت له أم غيلان ، ولدا ذهبه لاولاد علوان ، وبعد مضي سنين ، سموه سى ولا الضالين أمين ، فسا قاق المشرين ، وعلت غلقة للشب على السكين ، أرادوا أن يظاهروه ، ليتجس بالباء كما طهروه ، وعملوا فراحا ولكن لمدوم ، ووليمة ما كل فيها غير لهم مجموع ، فأتى هذا الملم ، بالطم والرم ، وأردت أن أوقف غيره من غمرات الغفلات ، وأن لا يقع أحد في تلك المضامع العجيات .

## نيد من شعره

### روضة ونعيم

رياض مسرات بمبتسم الزهر \* تقول ازدهى دار السمود على الزهر  
تقول أمانى ناظرها لمن بها \* كذا صاحب العمران فى الناس والعمر  
فيا حبذا تلك المباني وحبذا \* قصور بها الايوان معتز القصر  
أشاهد منها جنة قد تزخرت \* بولدان ورد أو بحور من القمر

فأرفع صدر خارج دون حسنها \* وأدنى مكان داخل منتهى الصدر  
 فكل زمان عندها زمن الصبا \* وكل مكان ضمنها دمية القصر  
 رياض باخلاق الزهور تكونت \* على حسن أخلاق النسيم الذي يسرى  
 بأحمرقان أو بأصفر قاقع \* وأبيض مفتر وأزرق مغير  
 تحاللت الاغصان في القطر نشوة \* اذا ضحكت أزهاره من بكا القطر  
 كأن عيون الزهرين قصورها \* عيون المهايين الرصافة والجسر  
 عرائس أشجار تجلت فزها \* طيور تنفى وهي في سندس خضر  
 تراقصت الاغصان لما ترنمت \* بلايلها والجو تقط بالدر  
 خليلي فيها غياني على الطلا \* ولاتذكرا لى حال زيد ولا عمرو  
 قلبي فقير في ظلام همومه \* لجامد نور فيه ذوب من التبر  
 ولا تنجها في سبك اكسرها على \* لهيب الحشا فالكمياء من السر  
 أعد قسيراً راح بالراح مثيراً \* بألف غنى بات منها على فقر  
 حواسي بذكرها نعيم ولذة \* ونور وطيب كل ذلك في النحر  
 اذا شمسها حلت بروج كؤوسها \* ترى فلكا قد دار بالكوكب الدر  
 مليح له لحظ به الموت كامن \* ولفظ به يحيا المناجى من القبر  
 على بها ان مال في الشرب واشقى \* تمل به ميل الزمان على الحر

### بركة

يا بركة بوركت نار الزهور بها \* وكان عرش مبانيها على الماء  
 صنئ المزارعشاه والهواء شكي \* بها وخبط فيها خبط عشواء



بمسبل الستر ليلا من ذوائبها \* ومسلب البدرفها حسن اضواء<sup>(١)</sup>

معنى جديد

ومجهد اللحاظ أصاب قلبي \* كذلك كل مجتهد مصيب  
بسهم وقمه لم يخطأ اذ من \* بني ثعل كثيرا ما يخيب

الى مؤدب ولده

هرب الغلام ولم يُغَيَّلْ بمد ما \* أكل الطعام وفر عني واحتجب  
وسألت عنه فقيل لي لم تدره \* حتى تحقق انه لك قد ذهب  
فاذا أتى الكتاب فاقزع بالصبا \* فوق الحصى ومس ما فوق الركب  
وأشهر عصا التأديب لا تضرب بها \* غضبا فكم لم يهد ضالا من ضرب  
واعلم بان المشتكى منه على \* من يشتكيه أعز محبوب يحب  
واعلمه ان الانساخ مذمة \* ورجوعه متسجبا غير الادب  
واسأله لِمَ لم يُعَلِّم الابنُ \* أولم يعقب الاكل منه قد هرب  
وأفده ان الدين حب ظفافة \* ونشبت الاوساخ مفض للعرب  
اني شكرتك وهو يقرأ أحرقا \* حفظا كيف يكون شكرى إن كتب  
ان الصغير يشب مع عادته \* حتى يشيب وانه مع ما غلب  
حتى ترى عينيه قد أخذ البكا \* بدموعها عاهده في ترك السب

(١) يال الله . ما كان ضره لو قال : وسالب بدل من ومسلب ؟ ان البيت بها يكون سليما  
من الثواب ولكتبتها احدى جنات التهلكة على البديع وجلساته

## الهرمان

انظر الى الهرمين واعلم اننى \* فيما اراه منهما مبهوت  
رسخا على صدر الزمان وقلبه \* لم ينهض حتى الزمان يموت

## التحجب

الاعجب يلاقينى اطارحه \* هوى حبيب متبع الدارنازحة  
رأيت فى الغصن شيئاً من رشاقته \* فكدت من فرط أشواقى اصالحه  
ضئى يؤجج نار الحب فى كبدى \* ظلمنا وقلبي مع هذا يسامحه  
كان شمس الضحى من طوقه شرقت \* لنا ومن فرعه عادت بوارحه  
وان جفائى لبعدى عن منزله \* واعتاض بى ما تقا بهجوه مادحه  
فطالما قصرت أوقاتنا معه \* فى ظل بانير الوجد صادحه  
ورب ماض من الاعراب ذى شرف \* تصافح الهام فى الهيجا صفامحه  
ساجته للمعانى ثم قدمنى \* قلب الى الذروة العليا مطامحه  
وبات بسرى الى شأول يدركه \* كالوعسل يمشى الى طود يناطحه  
ومهمه نازح الارجاه ذى عن \* كأنما للبحر خضر منلوحه  
قطعه وركاب الركب واقفة \* سيان سامحه عندى وبارحه  
حيا للقيق من الوسمى صوب حيا \* وجاد مفضاه غاديه ورائحه  
فكم فؤاد أبى فيه منطرح \* وعاشق سُفحت فيه سوافحه

## المداراه

اذا رفع الزمان عليك شخصا \* وكنت احق منه ولو تصاعد  
انسله حق رتبته تجده \* يثلك ان دنوت وان تباعد  
فان تيد الذى تدري به فيه \* نكن بمن عن الحسنى قاعد  
فكم فى الخدرا بى من عروس \* ولكن للعروس الدهر ساعد

الوفاء فى منفلوط<sup>(١)</sup>

سعيد من نأى عنه الصعيد \* صمود ما لطالعه سمود  
وردنا منفلوط فلا سقاها \* وردناها فأظلمنا الورود  
فالى قد بشت لقوم عاد \* كأنى صالح وهم نمود  
أراهم ينظرون الى شزرا \* كيمى حين تنظره اليهود  
فالى منهم خل ودود \* ولى من طبعهم خل ودود  
وكم لى منهم سمج وقبح \* تمقر وهو فى جهل فريد  
وصلدان وفى أو صد يوما \* فطبع الموت فيه والصيد  
فلو أن المجيمم لاضحى \* مطيما من تولاه الجحود

(١) ليسمع لى السيد مصطفى لطفي والسيد أبو بكر لطفي بالتفكه بهذه النقطه قلله قالها  
فى يوم وقف به حظه فيه عند الانتهاء وهم فى كل بلد دماؤه

تهنئة المرحوم رياض باشا برتبة مهر دار

لباس باشا الاول سنة ١٢٦٩

يا حفيظا على الختام عليا \* وأميننا بكل مدح جدير  
خاتم الملك في يمينك يمن \* رسمه الاصق نم النصير  
نافذا أمره به ختم الله \* على قلب حاسد ذي نكير  
دمت في نعمة وجاه وعز \* وسترق بطول عمرو زير  
وقال مضمنا

قد قلت لمابد الخيال في خفر \* وهزعطف كغصن البان مشوقا  
هذا الذي ترك الاوهام حائرة \* وصير العالم التحرير زنديقا  
لؤلؤ الشعر

لقد كان لي قلب تضمن لؤلؤا \* من الشعر مسبوك النظام انيقا  
فما حلقم فيه حاولت قلبه \* فاخرجته من ناظري عقيقا

دواهي الميون

ودواهي الميون نم الدواهي \* أبقتني للوجد وهي سواهي  
واستمانت على القوى بهواها \* فاستمتنا على الهوى بالله

غادة الروم

بروحى من بنات الروم ماست \* بأبيض ملابس يصبي اليها  
تستر بالعمام البدر منها \* وشق ثيابه وجدا عليها

فليت القلب كان لها لباسا \* وصاحب قلبه عبدا لديها

### الادوار وأمثالها

هات راحى يا حياة الالهس \* فشفاى فى شفاء الاكؤس

فوق مرج مكئس بالسندس \* يسم الورد لعين الترجس

زفها بالنأى لى البكر العروس \* أخذ العقل لها المهر القسوس

حين تملأ يتنى عنك المبوس \* كلما قد أحسن الدهر تسى

### من أدوار

يلمن على خده دينار \* صرفت فيه فضة دمعى

جدلى بيوسة قال دينار \* والبوس محرم فى شرعى

من طلعتك بدر الافراح \* والشمس هى "القرأى

حسنك عليه راحت الارواح \* والتفر فيه روى وراعى

قلبي على قدك يحكى \* طيره على عصن السروه

تضحك ومن صدك أبكى \* ومحبتك مره وحلوه

الدمع من عيني جارى \* والورد من خده جورى

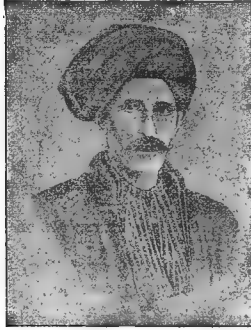
والوجد قال لى يا جارى \* قل للميون فينا جورى

### الحب روضة

جنان المشق فيها اشجار وفيها انهار \* فيها البلايل وفيها الليل وفيها نهار

فزهة النفس وجهه والشعور أستار \* على العقول فوق أعطافه ودمعى احتار

## الشيخ ناصيف اليازجي



## ترجمته

هو ناصيف بن عبد الله اليازجي الشاعر النابغة ولد في قرية كفر شيما من قرى ساحل لبنان سنة (١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م) من أسرة كريمة من أسر لبنان المسيحية. وكان والده عبد الله متطياً على نهج ابن سينا فعهد بتأديب ناصيف إلى أحد القسوس ف تلقى عليه مبادئ القراءة والكتابة. ثم صبت نفسه إلى الدرس والمطالعة فتطلب كتب الادب، وأصول اللغة وقواعد النحو ودواوين الشعراء، فكان يعاني المشاق في

الحصول عليها فتور المهم عن نشرها وعدم توفر أسباب الطبع ، حتى لقد كان ربما أضطر الى نسخ الكتاب بأكمله مهما تعددت صحائفه ، وانكب عليها نهما واستظهارا ومحافظه القرآن الكريم ، وديوان المتنبي ، وكان له به ولع عظيم وإشراق ، فقال خطأ وافر آمن فنون الآداب ، وشهرة واسعة بين أبناء اللغة ، وفهما نافذاً في نفسه العربية . وكانت له سليقة نادرة في قرض الشعر حتى لهُتف به وهو في أوائل العقد الثاني من سني حياته

ولما ورى زنده ، وبلغ أشده ، وفد على الأمير بشعر الشهابي مع قاصدي بره ، ومتججى فضله ، من شعراء عصره ، فلقى منه حسن الزعابه وكرم المثوى ، حتى ألحقه ببطانته ، واختاره كاتباً لأسراره . وما زال في خدمته الى سنة ( ١٢٥٩ ١٨٤٠ م ) حيث نزلت حكومة لبنان من يد الأمير ونفى الى مالطه . فالتحق الشيخ ناصيف الى بيروت وأقام بهامع ذويه ، وعكف على المطالعة والتدريس ، وتأليف الكتب للناسخين ونظم الاشعار ، ومراسلة الأدباء في الاقطار ، فزاع صيته ، وعلت مكانته ، فكان نعمة أهل الادب ، وشريعة أوى الفضل ، الى أن أصيب بفالج نصبي عطل شفه الأيسر سنة ( ١٢٨٦ ١٨٦٩ م ) لكنهم لم يؤثر في ذكائه النادر ، وقطنته المحيصة ، فابرح ينظم درم الاشعار ، وينثر غرر النثر ، الى أن فوجي بوقاة ولده البكر حبيب ، فكان لمنه وقع سسي في نفسه ، فحاول رثاء نخاتنه قريحته ولم يسطق ان يبكيه بأكثر من الأبيات التي تراها في نبذ شعره بعد . ثم ما لبث بعده أياما حتى لحق به فمات فجئة في ٨ فبراير م ١٨٧١ فقام نعيمه ورثاء أدباء عصره

## مُمَيَّزَاتُهُ

اعتور الشعر العربي في أيامه الأخيرة ضرب من دخائل الصناعات ابداعوها ، وضنوف من البديع اخترعوها ، ليست من القطر العربية في شيء ، ولأهلها من الأثر الشعري لدى النفس ذلك المكان ، ان هي الا أنصاب عناهلها متشاعر والتأخرين ، ولم يعرفها شاعر من فحول المتقدمين . فكانت للشعر قيوداً وأغلالاً رسف فيها حيناً من الدهر الى ان جاء الشيخ ناصيف ، فكان له فضل تخفيفها عنه ، وإمادها منه ، الا فيما اقتضاه حال زمنه من جناسات البديع ، وحسابات التاريخ على قلة وإجاده . فأحسن فيما نظمه جزالة المباني والتراكيب ، وأحكم سهولة المعاني والاساليب ، محتذياً المتنبي في نغمة العبارة ، وبارع الحكمة ، وناصع الإشارة ، وذهب المثل ، على وجه الزمن ، مؤثراً إياه على غيره من الشعراء حتى كان يقول : كأن المتنبي يمشي في الجوى وسائر الشعراء يمشون على الأرض . أما الكتابة فقد قلت فيها أكثر أهل عصره إجادة وإحساناً ، وسلامة واقتنائاً ، كما أبدع بحكاية المقامات ، وجود صوغ العبارات تحويدياً يذكر فهو في الكتابة والشعر في الطبقة الأولى من صدور الأدباء ، في ذلك العصر

## مُؤَلَّفَاتُهُ

مجمع البحرين — كتاب جليل حوى ستين مقامة في هزل القول وجدده على نخط مقامات الحريري ، أودعها فنونا من الآداب ، وصنوفاً من بديع الانشاء ،



وسائر الامثال، وغريب الكلام، ولطائف اللغات، مما أبان عن علم واسع، واطلاع فائق . وهي مشهورة متداولة بين أيدي المتأدين ، طبعت مرارا  
ديوان شعر — في ثلاث نبذ لطيفة الحجم، دعاها: النبذة الاولى ، فحة الریحان،  
ثالث القمرین . فيه من جيد الشعر ما لا تكاد نجد بعضه في أكثر شعر من عصره .  
وهو معروف متداول

شرح لديوان — المتنبي كان قد شرع في وضع هذا الشرح غير أنه لم يلق عليه سوى  
بعض تفاصيل وجيزة ، ثم أنه بسط وإيضاح ولده الشيخ ابراهيم كما نظر في سائر  
مؤلفاته نظراً تهذيب وإصلاح، وحذف وتصحيح  
كتب مدرسية ما بين منظوم ومثنو في النحو والصرف والبيان والعروض وجلها  
مطبوع متداول ورأيت له كتاباً اسمه ( فاكهة الندماء ) في مراسلات الادباء،  
فيه بعض ما دار بينه وبين أدباء عصره من المراسلات بالشعر فقط يظهر ان الذي جمعه  
هو عزيز أفتدي زند

# آثار أقلامه

## نخب من نثره

### علوم العرب

لا يخفى أن العرب كانوا قوماً أميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة الا قليل منهم ، ولم تكن عندهم علوم الا قليل في النجوم والطب عملاً بالاستقراء والتجربة . غير أنهم كانوا في أعلى طبقة من نباهة الفكر ، وفصاحة اللسان ، وسرعة الحاطر ، حتى كانوا ينظمون الشعر ارتجالاً فيأتون فيه بما لا يقدر عليه غيرهم بمد التروية والاستعداد ، وهو أمر عظيم لا يعرف مقدار له الا من كلف نفسه المهجوم عليه . ولم يكن هؤلاء القوم أعمالاً يشتغلون بها فكانوا يصرفون همهم الى تهذيب لغتهم والتفنن فيها حتى ذهبوا في ذلك كل مذهب ، وساعدتهم على التصرف فيها ما عندهم من الخدافة ، فكانوا يجعلون لكل حكم من أحكامها وجهاً سديداً يحكم العقل بصحته ، فكانت باعتبار ألقاظها مقولة ، وباعتبار أحكامها مقولة . وما زالوا كذلك حتى ظهر الاسلام ودخلت فيه شعوب من الاماجم ، فاختلطت اللغات وخيف التصاد على المريسة ، فجعل لها روابط وضوابط تحفظها على أصلها عندما يقف عليهن . فن ذلك ما ترف بهماني ألقاظها بحسب الوضع وهو علم متن اللغة ، ولعل واضعه أحمد بن المستنير الملقب بقطرب .

ومنه ما تعرف به أحكام أبنية الألفاظ المتداولة في المعاني المختلفة وهو علم الصرف وواضعه معاذ الهراء فيا قيل . ومنه ما يعرف به تركيب الألفاظ الدال على أصل المعنى المراد وهو علم التحويل وواضعه علي بن أبي طالب، وقيل أبو الأَسود الدؤلي ، ونسبه بعضهم إلى حماد بن سلمة . وهو أجل علوم هذه اللغة لا شبهة له على الأعراب الذي هو دليل القارىء، ومصباح السارى، وعليه مدار المعاني، واختلاف المباني، كما هو في نحو : لأننا كل المملوك وتشرب اللبن، فإن رفع تشرب يدل على النهي عن الأول وإباحة الثاني، ونصبه يدل على النهي عن الثاني عن الجمع بينهما دون انفراد كل منهما على حدته ، وجزمته يدل على النهي عنهما جميعاً ، والواو على الرفع للاستئناف ، وعلى النصب للصرف ، وعلى الجزم للمطف . فقد تلاعب الإعراب بالمعاني والألفاظ جميعاً . كما تلاعب في قولهم : ما أحسن زيدا . فإن النصب يدل على التعجب من حسن زيد ، والرفع على نفي الإحسان عنه ، والمخفض على الاستغناء عن أحسن ما فيه . فتكون « ما » على الأول تعجيبة وأحسن فعلا جامداً ، وعلى الثاني نافية وأحسن فعلا متصرفاً ، وعلى الثالث استغماية وأحسن اسم تفضيل . ولو أردنا ألا تساع في ذلك لأوردنا كثيراً من الصور المختلفة ، ولعل هذا لا يوجد في غير هذه اللغة .

ومن علوم العربية ما تعرف به مطابقة ألفاظها للمعاني المقصودة بها في التركيب وهو علم المعاني ، وما يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة وهو علم البيان ، وواضعها الشيخ عبد القاهر الجرجاني . ومنها ما تعرف به وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع ، وواضعه عبد الله بن المعتز . ومنها ما تعرف به أحكام موازين الشعر وهو علم العروض ، وما تعرف به أحكام الأجزاء الملائمة في أواخر الأبيات وهو علم القوافي ، وواضعها الخطيب بن أحمد . ويتصل بذلك فنون شتى ، كعلم الاشتقاق، وأصول النحو، وقرض الشعر، وإنشاء النثر، والقصاحة، والمحاضرة، والخط ، ومقاطع الحروف، والأحكام

المتعلقة بها مما يطول بيانه حتى يكون من لم يدرك منها غير المتعارف بين العامة  
كن أصاب سقطا قد ضربه الرمح الى خارج البستان وفاته ما في داخله من الثمار  
الصالحة الكثيرة المختلفة الانواع

ثم اتسعوا في العلوم الشائنة فتداولوا علم المنطق وكان أسبقهم اليه الشيخ الرئيس  
الحسن بن عبدالله بن سينا البخاري وهو الذي استوفى حق الصناعة الطبية غير أنه  
كان قد سبقه الى شيء من ذلك الشيخ محمد بن زكريا الرازي . وكثيرا ما تشغل  
مؤلفاتهم على فنون من هذه الصناعة كالليطرة وهي طب الخيل ، والزردقة وهي طب  
الطيور . وقد يترضون لشيء من الزردقة وهي صناعة الفرس وأوقاته ، والفلاححة  
وهي صناعة الاغراس ومغارسها . وكان كثير من الاطباء المحققين يضعون الى علم  
الطب علم الطبيعيات لملاقاة بينهما في الاحكام المزاجية وغيرها ، وعلم النجوم لتأثير  
الاجرام العلوية في الأبدان ، وعلم الموسيقى لما ضده في أحكام النبض ، ولهم في ذلك  
مؤلفات لا تحصى

وما أفرغوا كنانة الجهد فيه علم الفقه ، وهو ثلاثة أطراف . أولها العبادات وهي  
ما حققه على الناس ، واثاني البيوع وهي ما حق للناس على الناس في المعاملات ،  
والثالث الفرائض وهي ما حق للأحياء من الأموات . ومن علومهم أيضاً علم الحساب ،  
وهو لازم للفقيه المحقق لاستخراج السهام المجهولة ، وقسمة السهام المعلومه ، و يتصل  
به علم الهندسة والمساحة ، ومن علومهم علم الآلهيات ، وعلم الآداب ، وعلم  
الانساب ، والتاريخ ، و بين ذلك فنون قد تطلوا بها كالكهانة ، والقراسة ، وضرب  
الرمل ، وزجر الطير ، وقياة الاثر ، ونحو ذلك

وكان الملوك ومن يلهم في الايام القديعة يعرفون كثير من العلوم و يتكئون منها حتى  
كان منهم من يخطي العلماء في بعض المسائل ، ولذلك كانوا يمتنون بشأن العلم والعلماء

ويعرفون حتمهم . وكانوا يتبعون مدارس في علوم شتى حيثما وجدوا لها موطئاً ،  
ويعمرون المشايخ والطلبة بالمطاييل والاحسان ، فكان الناس يدخلون فيها أفواجا  
ويعكفون على تحصيل ما يستطيعون من العلوم حتى اذا استتم الرجل علمه خرج الى  
منصب أو وظيفة عند السلطان ممتعاً ببسطة الجماء والمال ، ومستغنياً عن جميع  
المهمات والاعمال ، فيتفرغ للتوسع في العلوم وانشاء المصنفات فيها وبذلك يكون  
مثالاً لغيره في طلب العلم والتجرد له

وما زال ذلك كذلك حتى سقطت رغبة الملوك في العلم فاقطعت أسباب الطلب  
وتعطل السعي في تحصيله ، ودرثت مصنفاته ، وأفنى الدهر أهلها حتى فقد كثير من  
هذه العلوم فلم يعرف لها عين ولا أثر ، وجرت بينها على آثاره لولا أن نداركها الله بهذه  
الدولة المحيطة السعيدة التي أحيت مامات من آداب الاولين والحمد لله رب العالمين

### المقامة الطيبة

حكى سهيل بن عباد قال : خرجت على فرس جموح ، <sup>(١)</sup> الى نية طروح ، <sup>(٢)</sup>  
فأزعجني هملجة وخيبا ، <sup>(٣)</sup> وأرهقني صعدا وصبيا ، حتى انهكني اللخوب ، <sup>(٤)</sup>  
وأعياني الرث كوب ، فزلت لأقيل ، وأستقيل ، واذا ناقة ترى ، وهي تنساب  
كالا فعي ، فوقت استشراف المضاب والوهاد ، وأنا أريد أن ابدلها بالجواد ،  
واذا شيخ قد اقض على كفسر لقمان بن ماد ، وقال : هلمكت ولو كنت سهيل بن

(١) الفرس الجموح المستمس على فارسه (٢) النية ها بمعنى الجهة التي يتوي المسافر  
السفر اليها والطروح النائية البعيدة (٣) الهملجة أشد الركض ، والجيب الركض المضطرب  
(٤) أي حلفي من اضطرابه فيسره مالا قبل لي باحتماله حتى انهكني اللخوب أعني التعب الشديد

عباد، فتوسعت من تحت اللثام، وقلت: فإفك الله ولو كنت معيون بن خزام، فضحك ثم كبر، وقال: الإيجاع مقدّر، ثم قال: الطعام يا غلام، فأحضر مائتة، ثم اندفع فتنى. قال: فكان عندى أنس ذلك اللقاء، أطرب من شدوسلامة الزرقاء،<sup>(١)</sup> وبت معه ليلة من ليالى الدهر، أحسبها خيراً من ألف شهر، حتى اشتعل رأسها شيباً، وعط<sup>(٢)</sup> الصباح لديجورها جيباً، فاستوى الشيخ على القتب، وقال: أجيئوا داعي الله إلى ما كتب. فأوفضنا في مفازة صلبة،<sup>(٣)</sup> حتى أفضنا إلى بلدة، بها مدرسة للطب عن الحرث بن كلدة،<sup>(٤)</sup> فخلنا حول النون في القفار، وألضب في البحار. ولما انجابت وعكلا السفر، خرج الشيخ في ارتياد الظفر، حتى أيننا المدرسة

(١) كانت من أحسن التيان وأطربهن صوتاً وأطيبهن غناء. ابتاعها جعفر بن سليمان الاموي ثمانين ألف درهم. غنت يوماً بحضرة من بن زائدة، وروح بن حاتم المجلي وابن المقفع، فطرب منها طرباً هز فيه أربحية الكرم فأفرغ بين يديها بكرة من المال وثابه على ذلك وروح ولم يكن لدى ابن المقفع مال فأعطاهما سكاً ضيقة كانت له (٢) شق (٣) أى أسرعاني قلة صلبة (٤) كان الحرث هذا من أطباء العرب المدودين. زعموا أنه وقد على كسرى أنوشروان فلما مثل بين يديه قال له كسرى: من أنت؟ قال أنا الحرث بن كلدة الثقفي. قال فا صناعتك؟ قال الطب. قال أعرابي أنت؟ قال نعم من صميمها وبجوبة دارها. قال فا تصنع العرب طبيب مع جهلها وضغف عقولها وسوء أغذبتها؟ قال: أيها الملك إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يصلح جهلها، ويقيم عوجها، ويسوي أبدانها، ويصل أمشاطها، فإن الماقل يعرف ذلك من نفسه. قال كسرى فكيف تعرف ما يورده عليها ولو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل. قال: الطفل يناغي قيداوى والحية ترق فتتأوى. فأعجب كسرى بكلامه وقال: فإلى الذى تحمد من أخلاقها، ويمجيك من مذاهبها وسجاياها؟ قال الحرث: أيها الملك لها أعس سحنة، وقلوب جربة، ولغة فصيحة، وألسن بليغة، وأنساب صحيحة، وأحساب شريفة، يبرق من أفواههم الكلام مرووق السهم من نعمة الرامى، أعذب من هواء الريح وألين من سلسيل المعين، مطعموا الطعام في الجذب، وضاربوا الحماق في الحرب، لا يرام عزمهم، ولا يضام جازهم، ولا يستباح كريمهم، ولا يفل كريمهم، ولا يقرن بفضل للأنام إلا الملك الهمام، الذى لا يقاس به أحد، ولا يوازيه سوقة ولا ملك. فأحله كسرى غاية الاجلال وأجلسه في حضرة وسأله عن طبه وتطبيبه فأجاب بما يتلخص في الوصية التي بهذه المظلة. وأنى أرجع أخذ اليازجي وصيته منها

وهي حافلة بالطلبة ، وقد قام في صدرها شيخ طويل الأُرنية ، عظيم المرتبة ، فقال : الحمد لله الذي شرف علم الأبدان ، حتى قدم على علم الأديان . أما بعد فإن هذا العلم أفضل علوم الدنيا جميعاً ، لأنه أشرفها موضوعاً ، وهو أدقها نظراً ، وأجلها خطراً ، وأقدمها وضماً ، وأعظمها تقماً ، وأغمضها سريرة ، وأوسعها حظيرة ، وهو يستطلع الخبايا ، ويستوضح الخفايا ، حتى قيل أنه وحى قد هبط على الأطباء ، كما هبط الوحي على الأنبياء وصاحب هذه الصناعة ، أروج الناس بضاعة ، وأربهم تجارة ، وأشهام زيارة ، وأكسبهم أجرة وأجرأ ، وأغذهم نهباً وأمرأ ، وعليه مدار الأعمال والميكن ، وقيام القروض والسكن ، فإن كل ذلك لا يتم إلا بصحة البدن ، وطالما كان هذا الفن أعز من جبهة الأسد ، حتى اغتاله الجهلاء فأوقوا جيده بحبل من مسد ، فواهله كيف نزل عرشه ، وآهه ليلهم كيف قُبل نعشه ، قال : وكان في الحضرة فتى باهر اللطافة ، ظاهر القضاة ، فقال : يمولأى أنى قد منيت بحبل المتطيين الرعاع ، الذين لا يعرفون الصافن من حبل الذراع ، <sup>(١)</sup> فلهلك توصيتي بما يكون غنية الليب عند غيبة الطيب ، فأطرق هنية للثروة ، وهب في التوصية فقال : يا بني لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع ، وقم وأنت بمادون الشبع قانع ، وباكر في العشاء ، ولا تناس في العشاء ، والزم الرياضة على الخلاء ، واجتنبها عند الإمتلاء ، ولا تدخل طعاماً على طعام ، ولا تشرب بعد المنام ، ولا تنكث من الألوان ، على الخوان ، ولا تسجل في المضغ والأزدرد ، واجتنب كل ما لم يتضح وما بات من الطعام فهو مجلبة الفساد ، وإذا أمكنت الوجبة ، <sup>(٢)</sup> فهي أفضل نجبة ، واقطع العادة المضرة ، مرة بدمرة ، وعليك بتنقية الفضول ، في معتدلات الفصول ، وإذا مرضت فقابل

(١) المتطبب والمعرف الطب بغير علم ولا يستطيع أن يفرق بين الصافن الذي هو عرق في الرجل وبين حبل الذراع الذي هو عرق في اليد . (٢) الأسكة الواحدة والنهار

السبب ، واحرص على القوة فإنها الى الحياة سبب ، وبالغ في الدواء ، ماشرعت  
بالدواء ، ودعه متى وقتت بالشفاء ، واذا استغثت بالمفردات ، فلا تميل الى المركبات ،  
واذا اكتفيت بالأغذية ، فلا تتجاوز الى الأودية ، واذا تعاطم الغرض ، فاشتغل  
به عن المرض ، واعتمد الحمية الواقية ، مادامت الملة باقية ، واحذر دواعي النكس ،  
فانه شر من الملة بالأمس ، واعلم ان التجربه خطر ، فكُن منها على حذر ، والعلاج  
بين اسفراغ الحاصل ، وقطع الواصل ، والصحة تحفظ بالشبه وتسترد بالنقيض ،  
والحمية للصحيح كالتخليط للمريض ، واستعمال الدواء حيث لا يحتاج ، كتركه  
عند حاجة العلاج ، المضرب اليسير ، خير من النافع الكثير ، وكل ما عسر قضمه ، شق  
هضمه ، ومن كثرت تحمته ، تهاقم سقمه ، وأكثر الأوصاب ، يكون من الطعام  
أول الشراب ، فاحفظ عني هذه المواعظ ، واحتفظ بها والله الحافظ . قال فلما فرغ  
من كلامه الموضوع ، برز شيخنا الميمون ، وقال : اني لأراك من أهل الفضل  
والفصل ، وأرباب العقل والنقل ، ولقد عثرت على مسائل ، في كتب الأوائل ،  
فهل تأذن بدفع الظنة ، ولك المنة ؟ قال حبذا ، فقل إذا . قال : ما هو الدشيد ،<sup>(١)</sup>  
وكم هي الدلائل التي تؤخذ ،<sup>(٢)</sup> وما هو أعدل الاعضاء ،<sup>(٣)</sup> بالنسبة الى بقية  
الاجزاء ؟ فأخذ الاستاذ في قلب رأيه ، حتى أفرط في لآئه ، ثم قال : ان الانسان  
موضع النسيان ، فهل من مسائل أخرى ، لعل أصادف بها الذكري ، قال قد رمتك  
بالقصيح فاستعجم ، فهل تفرق من صوت القراب وتهتمس الأسد المشيم ، هيئات

- 
- (١) هو المادة الضرورية التي تقيت على طرف العظم يلتجم بها (٢) الدلائل ثلاثة .  
المذكر وهي التي تذكر الطبيب بما مضى من الاعراض فيستدل به على سبب المرض وكيته .  
والحاضرة وهي التي تدل على حقيقة المرض الحاصل . والمنفردة وهي التي تدل على ما سيحدث .  
(٣) أعدل الاعضاء مزاجا بالنسبة الي غيره من أجزء البدن جليلة طرف السبابة .



ان العلم بتحقيق القضايا ، لا يقتضي الوصايا . فقلب على الرجل الوجوم ، ولعبت بالقوم الرجوم ، حتى قالوا للشيخ : مثلك من يستحق الامامة ، فهل لك عندنا إقامة ؟ قال قد علمت ان النقلة قلة ، ولا سيما مع تطارح الشقة ، وتطاول المشقة ، فان خففت عني بالامداد ، أتيتكم كوري الزناد . فنفضوه بمدة من الدنانير ، وقالوا استمن بالله والله على كل شيء قدير . قال سهيل : فلما فصلنا عن المكان أخذ الشيخ مجلسا مكتوما ثم برز فناوئى طرسا مخنوما ، <sup>(١)</sup> وقال : اذا أصبحت فأتقه الى القوم ، ولا تثرِب عليك ولا لوم ، فأجبتهم الى ما طلب ، واذابه قد كتب

أنا ذاك الطيب وإن طِيبى \* لنفسي لا لزبد أو امرؤ  
وما ملجت سقم الناس يوما \* ولكني أعالج سقم دهرى  
اذا مامسنى ضحك فعندى \* جوارش حيلة وشراب مكر

فلما وقفوا على آياته ، تمودوا بالله من آفاته ، وقالوا ان لم يكن طيبا ، فكفى به لييبا ، فهل لك أن ترده علينا لظرفه ، ان لم يكن لرفه ، قلت ذلك مما لا يقرب ، فانه أجل من قطرب ، <sup>(٢)</sup> ورجعت الى موعدنا أمس ، فوجدت انه قد أفل قبل الشمس

### المقامة اليمنية

حكى سهيل بن عباد قال : لفظتني أحداث الزمن ، <sup>(٣)</sup> أتى مشارف اليمن ، فغلغلتها أنسك من شيء ، وأقل من فيه ، لا أعرف بها جليسا ، ولا أجد لي أُنيسا ، فلما مللت الإقامة فيها ، هممت بالرحيل عن فيافيها ، فرأيت رجلا في الرجال ، يطالب

(١) صحيفة (٢) دوية لأهل الليل نحو الـ (٣) طرحتني

شيخنا جمال ، والشيخ يتبرأ من طلبه ، ما لم يحكم الشرع به ، ففتننا (١) الى القاضي بسببه ، قال : وكنت قد تبينت أن الشيخ صاحبنا مبعون ، فابتهجت كافي أوتيت مال قارون ، وتبعته الى دار القضاء لأفكر ماذا يكون . فلما دخلا على القاضي نظر الى رثائه بُرديه ، فلم يحفل بالرد عليه ، فأخذت الشيخ الحمية ، حمية الجاهلية ، وقال : أراك قد ارتسكت الخلة المنهي عنها ، فقد قال الكتاب : اذا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا باحسن منها ، فان كنت تستبر الخلق دون الاخلاق ، (٢) فهاك مدارج الخزفي الأسواق ، ولا فافطر الى الأبواب ، دون الجلباب ، فإن المرء بصغريه (٣) ، لا بشويعه ، قال : فحجل القاضي واعتذرا ليه ، وقد عظم في عينيه ، وقال : هل للشيخ دعوى ترفع ، قال : لا . بل لصاحبنا دعوى لا تسمع ، فآشار القاضي الى الرجل ، وقال : تقدم قتل . فقال : يا مولاي تعلم العبد الكراع فيطعم في الذراع ، إن هذا الشيخ قد استأجر مني ناقة مصرية ، (٤) في الديار المصرية ، وقال اذا بلغنا الجن لا أسلمك الزمام ، حتى أسلمك الأجرة عن تمام ، فرخصت له في النسبته ، (٥) وغفلت عن الحبيثة ، فلما بلغنا موطن القدم ، اذا هو أضبط من عائشة بن عُم ، (٦) فأمسك المطية ، فضلا عن العطية . فقال القاضي : ما تقول أيها الشيخ في دعواه ؟ فضحك حتى استلقى على قفاه ، وقال : قد جعلت تسليم الأجرة موعداً لتسليم الزمام ، فأثالا أسلمه الأجرة والسلام . فصجب القاضي لافتنانه ، وأعجب بحسرياته ، وخاف من ظُبة لسانه . فقال للرجل نجعلها بين بين مخذمين وائرک الدين ، فويل أهون من ويلين ، فقال اذا لم يكن غير هذا عند المولى ، فالرضى به أولى . ولما خرج الرجل لثانته ، أشار القاضي الى بعض

(١) ذهبنا (٢) الثياب (٣) قلبه ولسانه وهو مثل (٤) نسبة الى رجل من العرب اسمه مصرية بن حيدان (٥) تأخير دفع الأجرة (٦) هو رجل من العرب كان أخوه ينزح بئرا واذا بكر من الابل قد اتقنم البئر فإكان أسرع من أن أخذ عائشة بذنبه وضبطه عن المبوطن ثم انتشله ففرب به التل

غلماناه، وقال له شيع الشيخ الى محبوبحة الربيع، وخذ منه دينار المنع . فقال الشيخ:  
أراك أيها الإمام ، قد جعلت زادك مع النعام ، <sup>(١)</sup> ولقد بلوتك لأرى هل تحكم  
بالقسط بين الناس ، فوجدتك تميل الى حيث ترجو عمالة الكاس ، أو تميل لإخراج  
القضايا على مقتضى القياس ، فلا تهجونك بما لم يهج به قاض من قبل ، ولا تشكونك  
الى من يؤدبك بالعزل ، أو تشتري عرضك معنى ولى عليك الفضل . فقدم القاضى على  
قضائه الخامس ، وقال هذا جزاء مجرام عامر ، <sup>(٢)</sup> ثم أقبل على الشيخ وقال: قد  
فرضت فى مالى من الزكاة نصيبا ، فخذته وسبيع بمحمد بك واستغفره إنه كان نوابا .  
قال : فلما قبض الشيخ الذهب ، نهض وقال لى يارجب ، خذ من القاضى دينار  
الادب ، فقال القاضى : اننى بحكمك راض ، فاقض ما أنت قاض ، فطلعت  
الدينار وخرجنا للحين ، والقاضى يقول : ان الله لا يضيع أجر المصلحين . ولما  
فصلنا عن المكان ، دعوت الشيخ الى منزلى بالغان ، فقال ان قسى لا تطيب بقم ،  
حتى اتقصد الناقة والغلام ، قلت وما ذاك يا حمة المقرب ؟ <sup>(٣)</sup> فضحك حتى  
استغرب ، <sup>(٤)</sup> وقال: أما الناقة فركوبى التى جرت على أجرتها المخاضعة ، وأما الغلام  
فخصمى الذى رأيته فى المحاكمة ، قتلت وماذا حملك على أن تحبط عملك ؟ قال: وصلت  
الى هذه البلاد ، وقد دخلت وفضيت من الزاد ، فتوصلت الى القاضى بسبب لعملى  
انه أطحن من فرعون ذى الاوتاد ، وأنجل من كلاب بنى زياد ، ورصدت له حتى  
طلب دينارا القضاء ، فكان عليه أشام من رغيف الحولاء . <sup>(٥)</sup> قتلت له لله درك  
ما أطول باعك ، وأهول قاعك . قال من ليس يؤخذ بالبنان ، فخذ بالسنان . ثم

(١) هو مثل للمتبع وجوده (٢) كنية الضبيع (٣) شوكتها التى تلدغ بها  
(٤) بالغ فى الضحك (٥) هي امرأة من العرب قيل أن رجلا خطف رغيثا عن رأسها  
فتاجر بها واتسع بينهما الحسام حتى اتصل بلحمها فقتل فيه ألف رجل

انساب بي الى منزله كالحباب، واذا غلامه الذي كان يخاصمه بالباب، فأشار اليه وأنشد  
 هذا غلامي الذي خاصمته \* اني لثل ذلك استخدمته  
 حتى اذا الصبيد أنى قامته \* بما كسوته وما أطعمته  
 وان عمادي الدهر بي علمته \* ما قد أذعته وما كفتته  
 وهو مقام ولدي أقمته \* فان ذخرت عنه وأحرمته  
 عاقبني الله قد ظلمته

قال فمجيبت من أفانينه في المكر، وأساليبه في النظم والنثر، وعدلت اذذاك  
 عن الرحيل الى المقام، حتى أراد الشخصوص الى الشام، فانطلق الى دار الحرب،  
 وانطلقت الى دار السلام

### المقامة الشامية

أخبر سبيل بن عباد قال: دخلت يوما على صاحب لي بالشام، أبعده من داء  
 البرسام،<sup>(١)</sup> فجلست بازائه، وأنا أستخيره عن دائه، وبينما هو يث شكواه،  
 ويتأوه لبلاءه، اذ قيل قد جاء الطيب، فقلت قطعت جبهة قول كل خطيب، ونظرت  
 فاذا رجل قد أقبل بجزيل طيلسانه، ويرفع أديم الأرض بصولجانه، حتى دخل  
 فسلم، ثم جلس معرضا ولم يحكم، فوسمته واذا هو شيخنا ابن خزام، فاحتضرت<sup>(٢)</sup>  
 للقيام، وأردت أن أستأنف السلام، فامض الى بحفنيه،<sup>(٣)</sup> واستوقفتني عن  
 التسليم عليه. فقال له المريض بملولاي أرى ان صدرى قد ضاق، وتواز على  
 القواق،<sup>(٤)</sup> فقال ذكر الاستاذ يقرط، ان ذلك بدل على نضج الاخلاط، وقد

(١) داء يمتري الصدر (٢) تبيأت (٣) أشار (٤) ريح يتردد في الصدر

وصف له الامام ابن عاتكة ، أن يسقى شراب الملائكة ،<sup>(١)</sup> لكنه لا يشتري الا بمائة درهم ، فان بذلتها نجوت من البلاء الادم ، فدفعها اليه وقال جبا وكرامة ، إن ظفرت بالسلامة . قال وكان أهل المريض قد استضعفوا رجاء الشفاء ، ورأوا طيبهم كالكتاب على صفحات الماء ، فاستحضروا بعض تُطُس الاطباء ، ووافق تلك الساعة وفده عليه ، فدخل وهو يتهاذى بين بُرديه ، ثم جلس والشيخ يصوب طرفه ويصعده اليه . فقال إن شئت أن نتحفنا بمرغفك ، فذلك من عارفك . قال أنا من أطباء جزيرة العرب ، كنت قد انتصبت للتدريس حتى اقتلع الطلب ، فاعتزلت عن مزاوله العلاج واصطناع الادوية ، وخرجت أفتقد العقاقير في الجبال والادوية . فمظم الشيخ في عين الطبيب ، وأراد أن يسير غوره ليرى أين خطئ ظنه أم يصيب . فقال يمولاي إني رجل من المتطبيين ، وقد عثرت على مسائل أنا منها بين الشك واليقين . قال على الحبيب بها سقطت ، فسل عما تنقطت ، فان وجدت لذلك عبرة ، أعطيتك الجواب صيرة ،<sup>(٢)</sup> قال كيف يتركب السرسام<sup>(٣)</sup> مع البرسام ، وما هي مقادير الاخلاط بالنسبة الى بعضها في الاجسام ،<sup>(٤)</sup> وما هو المارد عند الاول ، بسمه الطب الى علم وعمل ، وما هي الكيفية المتفعلة والكيفية الفاعلة ،<sup>(٥)</sup> وما هي الاسباب السابقة والبائدة والواصلة ،<sup>(٦)</sup> فقال الله أكبر إن الحديث ذو شجون ، وان لك أجر أغير ممنون ، لقد ذكرتي مائة من المسائل ، جمعتها في بعض الرسائل ، وهي مما

(١) ليس لابن عاتكة ولا لهذا الشراب أصل في فن الطب أو الاطباء غير أنه أتى بهما رويهما لحقته في الحصول على بنته (٢) جلة واحدة (٣) ورم الرأس (٤) أما الابدان المتدله فيكون فيها البلغم سدس الدم والصفراء سدس البلغم والسوداء ثلاثة أرباع اصفرها وأما غير المتدله فتختلف باختلاف الامزجة المتظية فيها (٥) المنفعة : الرطوبة واليبوسة . والفاعلة الحرارة والبرودة (٦) السابقة كالطعام والشراب ونحوه . والبائدة كالفضرة والسقطه . والواصلة هي التي تكون سبباً لوجود المرض ولا يزول الا بزوالها كالحجيات ونحوها

يشكل على الالباء، وتناقش به غول الأطباء، فان شئت جعلنا الساعة موعداً، وأنتناك  
بهاغداً، قال ذاك اليك، فنهض وقال السلام عليك. وخرج وهو قد اعتضد  
الصوخلان، وانساب انسياب الافخوان. قال سهيل فاجدرت الخروج على الاثر،  
قبل أن يوارى عن النظر، فأدرسته عن أمديسر، وهوينشد كحادي البعير

الحمد لله وللقرار \* فقد نجوت من فضوح النار

أفلت من جرادة الميار \* مالى وللنضال والحوار

ما أنا بالرازى ولا البخارى \* وليس لى فى الطب من اسفار<sup>(١)</sup>

أدرسها فى الليل والنهار \* وسائل مححك مزار

يسألنى عن غامض الاسرار \* جعلت مثل الخادع القرار

موعد الساعة فوق النار \* قل له صبراً على انتظارى

قال فما استتم الانشاد، حتى وقت له بالمرصاد، وقلت عهدتك بالامس  
خطيباً، فتي صرت طبيباً، فقال: البس لكل حالة لبوسها، إمانعها وإما بوسها.  
دخلت يا ابن أخى هذا البلد، وأنا غريب لاسبيلى ولا ليد،<sup>(٢)</sup> قرأيت الاديب  
عند أمته، أهون من قعيس على عمته،<sup>(٣)</sup> فلما رأيتهم معارج لا ترقى، وأراقم لا تقبل  
الزقى، جردت المبضع والمشراط، وسأستغفر الله لهم إذا وقتنا على الصراط. قال  
وينا نحن كذلك إذ صاحبت الصوائج، وعلا ضجيج النوائج. فقلت له طائفك الله  
ما أظنك، وأحبط علمك وعملك، قد كنت أهون من قعيس، فصرت أشأم من

(١) أما الرازى فهو محمد بن زكريا صاحب كتاب الحاوى فى الطب. وأما البخارى فالمراد به  
أبو علي بن سينا صاحب القانون والشفاء (٢) البسبى الشر والبدبى الصوف (٣) رجل  
من الكوفة زار عمته فى الشتاء وكان يبيتها ضيقاً فأدخلت كلبها الى البيت وتركته قبيحاً خارجاً  
فبذت من البرد

طويس،<sup>(١)</sup> لورى الله بك أصحاب القيل ، أغنيت عن الطير الأبايسل . فنظر الى  
شذرا ، وأنشد يقول شعرا

لا خير في الناس دعى \* افتك بهم يافلان

فليس فيهم رجاء \* وليس منهم أمان

يا ليت ألف طيب \* مثلى يسوق الزمان

فكلما قصر العيش \* يقصر المصيان

نخف عنهم عذاب الا \* أخرى وقل الهوان

ثم قال هذه معذرتي فان شئت القبول ، وإلا فدع عنك القبول ، وإذا فارقتني  
فقل ماشئت أن تقول . ثم ولى بهرول ، والنائمات تولول ، وهو يقول لو قدرت أن  
أدفع الموت لبقيت إلى الأبد ، ولوشى الطبيب كل مريض لم يمت أحد . فرجعت  
أقول ها هنا كل العجب ، لا بين جمادى ورجب

## نبذة شعره

### « غزل الصبي »

اخزن هذا الخال فوق الميسم \* الا عيسدا حارسا در القم ؟

وتظن هذا الدر درأ حوله \* ماء كماء البحر مثل الملقم ؟

(١) كان من عتق المدينة متياً طريقاً يتقر بالدف عارفا بأمر المدينة وأنساب أهلها . ولذا  
كان متقى للسته ، سئل عن مولده فقال ولدت يوم قبض الرسول وقطعت يوم مات أبو بكر  
وبلغت الحلة يوم اغتيل عمر وزوجت يوم قتل عثمان وولدت يوم قتل علي وكانت أمي تسمى بالنبيبة  
بين نساء الانصار . فلهذا ضرب به المثل في الذوم

لاوالذى خلق المياها به \* الارضاب كوزى الطم  
وأجله عن أن أقول بأنه \* شهدجته النحل لا يروى النظمى  
قل الرواية طيب منطقها وما \* ذقنا وكان الورد أبرد معتم  
ألوى على فضمنى وضممته \* وصدورنا بصدورنا لم تعلم  
اهوى عليه وفي غفة يوسف \* حق يميل وفيه غفة مريم  
فيروح بين صبايق وحنينه \* وأروح بين حديثه وتبسمي  
خضنا ملياً في الحديث كما جرى \* وكاننا للشوق لم نتكلم  
حتى رجعت كما رجعت وأخصى \* متأخر في نية المتقدم  
باليلة سمخ الزمان ييمضها \* بمض السباح وليته لم يندم  
قد كنت أرجو مثلها قبلته \* والحادثات تقول طرفك قاسم  
حتى دخلت الدار ساعة غفلة \* وعرفت ربع الدار بعد توهمي  
فكان كل الدهر مدة لحظة \* وكان كل الارض دارة درهم

سميد باشا

قفا بين التنية والمصلى \* على جبل دنا حتى تدلى  
وان أبصرتما نارا فقولا \* ترى أى القلوب عليك يصلى  
من العرب الكرام كآة حرب \* تناظرهم كرائم لمن عزلا  
إذا ما أرفهوا نصلا لقتل \* فمن أشد بالاجفان قتلا  
رجال ينحرون البذل جودا \* وغيد تنحر العشاق بخلا  
ترى نار القرى في الحى تلو \* ونيران الهوى أعلى وأغلى



على ذاك الكتيب لنا سلام \* يكاترفي الكتيب الفرد رملا  
كتيب قام فيه رثيق عطف \* نشبهه بقصن البان جهلا  
رشا في الحى نزل مقتلاه \* ترى من علم الغزلان غزلا  
إذا انحفت عينيه بكحل \* يقول أراك نهدي الكحل كحلا  
رويدك أبها الجاني بطرف \* فكم جنت الليالي السود قبلا

لقد جمعت به النيلين مصر \* ولكن أشرف النيلين أحلى  
هما النيلان من ذهب وماء \* قد اجتمعا فليس تخاف عملا  
بمين عملاً الا فاق جودا \* وقلب بملأ الاقطار عدلا

عزاء

### لأبنيك ميتاً ولا تفرح بمولود \* قاليت للدود والمولود للدود<sup>(١)</sup>

(١) وهي قصيدة عزي بها الشيخ أحمد فارس عن وفاة بعض أنسابه . ولطلع هذه القصيدة نادرة لطيفة نوردناها هنا على سبيل الفكاهة : لما قدم الشيخ خليل اليازجي مصر كان فيمن لقيه من أهل الفضل الاديب المرحوم الشيخ محمد النجار المصري صاحب جريدة الارغول فجرت بينهما معاورة أدبية انتهى فيها الكلام الى ذكر الشعر والشعراء فقال الشيخ النجار للشيخ خليل : أظن أن والدك أشعر السورين ؟ فقال الشيخ خليل : نعم . فقال وأظن ان أحسن شعره قصيدته « الدودية » ؟ فدهش الشيخ خليل وقال وائش هي القصيدة الدودية ؟ فقال : التي مطالها .

لأبنيك ميتاً ولا تفرح بمولود \* قاليت للدود والمولود للدود  
فقال : نعم انها خير ما قال في العزاء . فقال النجار واذا سلمنا للتاكين بأن خير التصائد مطالها كان هذا البيت خير شعر السورين كافة فسمع ما فيه من اليوب أما الشطر الاول فسروق من قول الشاعر

ان دام هذا ولم تحدث له غير \* لم يك ميت ولم يفرح بمولود  
وأما الشطر الثاني « أدبك شايقه ينخل »

وكل ما فوق وجه الارض تنظره \* بطوى على عدم في ثوب موجود  
 بش الحياة حياة لارجاءها \* ما بين تصويب ألقاس وتصعيد  
 لانستقر بها عين على سنة \* الاعلى خوف نوم غير محدود  
 ما أجمل المرء في الدنيا وأغفله \* ولا نحاشي سلمان بن داود  
 يرى ويعلم ما فيها على ثقة \* منه ويستزمتها بالمواعيد  
 كل يفارقها صفر اليدين بلا \* زادها الفرق بين البخل والجود  
 يضمن بالمال محمودا يشاب به \* طوبا وبطية كرها غير محمود  
 هان للمادفا حس به شغلت \* عن ربة العود أوعن رنة العود  
 يأعين العيد تسينا لواحظها \* قفى انظري كيف تسمى أعين العيد  
 يبدو لللال ويأتى العيد فى ألق \* ماذا لللال وماذا بهجة العيد  
 يوم لتسيرك ترجوه وليس له \* كل ليوم غداة البين مشهود  
 قد صبرا الدهر عندى كل ذى خطر \* حتى استوى كل مرحوم ومحمود  
 إذا نجمت بمفقود صبرت له \* انى سأترك مفاجوا بمفقود  
 يلحن له منه أهل لاجزعت على \* أهل وهل لك ركن غير مهدود  
 لسان فريك اجلا لا وتكرمة \* فانت أدرى بيرهان وتقليد  
 لكل داء دواء يستطب به \* وليس للحزن الا صبر نجهد  
 والصبر كالصدر رجا عند صاحبه \* فان صبرك مثل اليد فى اليد  
 لله أبة عين غير باكية \* ترى وأى فؤاد غير مفؤود  
 ان كان لا بد مما قد بليت به \* هان البلى بين موعود ومفقود  
 حاشاك من خطة للقوم باطلة \* منها الاسى لقوات غير مردود  
 فالحم فى القلب مثل السور فى بلد \* والعلم فى العقل مثل الطوق فى الجيد

## عروس الزهر

هذه عروس الزهر قطها الندى \* بالدر قابضت ونادت معبدا  
 لما حقق سترها عن رأسها \* عبث الحياة بخدوها فتوردا  
 فتح البنفسج مقلة من كحولة \* غمز المزمار بها ققام وغردا  
 وتبرجت ورق الحمام بطوقها \* لما رأى التاج يعلو المهددا  
 بلغ الازاهر ان ورد جناتها \* ملك الزهور فقابلته سجدا  
 فرنا الشقيق بأعين محرة \* غضبا وأبدى منه قلبا أسودا  
 بسط القدير الماء حتى مسه \* برد التمام قارصا فتجمدا  
 ورأى النبات على جوانب أرضه \* مهدا رطيبا لنا فتوسدا  
 يا صاحبي تمجبا للملابس \* قد حاكها من لم يعد لها يدا  
 كل الثياب يحول لون صباغها \* وصباغ هذه حين طال تجبدا

## الفرائز

تناقض الرأي بين الناس والعمل \* والكل يرضى بما فيه ويتقبل  
 ان كان ذلك مقبولا برؤيته \* فليس بين الورى عيب ولا زلل  
 الناس في الارض كالأشجار قام بها \* حلو ومر ومعوج ومعتدل  
 وكل صنف له وقت يراد به \* فلا يصح له من غيره بدل  
 من كان في الناس مولوداً على صفة \* فليس للناس في تغييرها أمل  
 اذا تمكن خلق السوء من رجل \* كما اذا استحكمت في جسمه الطلل  
 « أعيان البيان »

لا يستطيع بخيل ان يجود ولو \* حوى من المال مالا تحمل الابل  
وكلمات تشديد الجبان على \* شجاعة زاد فيه الجبن والقشل  
ان الكريم الذى لامال في يده \* مثل الشجاع الذى في كفه شلل  
والمال مثل الحصى مادام في يدنا \* فليس ينفع الا حين ينتقل  
ان الذى قسم الا خلاق قد قسم الا \* أرزاق تجرى الى ان يقسم الاجل  
يارب قوم سموا بالجهل فانتصر وا \* ورب قوم سعوا بالعقل فالتخذلوا

### وصف أبيات

أخذت نحوى سيلا \* فسقتى سلسيلا  
بنت فكر من خليل \* قد شفت منى غليلا  
ذقت منها من لفظ \* كان بالسلى كفيلا  
ومعان كنسب ال \* روض إذ هب أصيلا  
هيجت عندى شجونا \* سكنت دهرأ طويلا  
وبنت للشوق عندى \* أربما كانت طوللا

### رقة الهوى

أجارتنا هل للنسيم وصول \* إليك فى منه النداة رسول  
مضى وأراه لم يمد قلعله \* قضى نحيبه إذ راح وهو عليل  
تمت بين الشوس واليضى والفتاة \* وكل بمنع الطارقين كفيل  
وما كان يجدى لو برزت من الحى \* وأنت على عهد التفارجفول

أيدارها بالوادين قريسة \* نراك ولكن ما اليك سبيل  
 لأن عمرت منك البيوت قائما \* لديك قلوب العاشقين طول  
 لنا فيك خود تحسد السم عطفها \* فيسدو على اعطافهن ذبول  
 عزيزة قوم حبها قد أذلتني \* نعم كل من يهوى الجمال ذليل  
 أقامت عيدا لخال في الحد حارسا \* على الورد أن بسطو عليه جهول  
 وأحرزت الدرياق في الثغرا ذرات \* أفاغى ذاك الشعر وهي تحول  
 تذكرت مالم أنسى من وقعة لنا \* خلال الثنا يا حين جد رحيل  
 بكت فاستهل الكحل في محن خدها \* غفا كي صدى الصمصام وهو صقيل  
 تقول نساء الحى إني خليلها \* ككذب في اللغانيات خليل  
 لأن كان بمدالين قد حال عهدا \* فمهد الهوى في القلب ليس يحول

### اسر الصباية

تقول لقي ربة الأعين النجل \* أفق لا تحف بين الصوارم والنبل  
 قد استعبدته عينها وهي عبدة \* فيا ويل عبد العبد ذل على ذل  
 فتاة بناو المقد من حسن جيدها \* وتضحك عجا مقلتها على الكحل  
 بكيت وقد أرخت سدول قناعها \* فقلت جرت هذى السحابة بالويل  
 مهنفة الأعطاف تخطر كالقنا \* بمعدل لاشيء فيه من المدل  
 نكاد لهضم الكشح نجعل عتدها \* نطابقا كما يستبدل المثل بالمثل  
 أسالت على وردا غدود ذؤابة \* لحوف ذبول قد تلفته بالظل  
 وخطت لحوف العين بالوشم رقية \* على مصعبها كالقرند على النصل

لوموني أن أحمل الذل في الهوى \* كأنهموا لم ينظروا عاشقا قبل  
الى الله أشكو جور قاتني الى \* لأن رضيت قلبي فقد زدتها عني

### لهفة القلب

لن الهواج في عراء الهوجل \* تحت القباب تشق ذيل القسطل  
يتبع الآثار قلبي خلفها \* فلو اثنىين وطنه بالأرجل  
أبراج أقار . تغيب نهارها \* فيها وتطلع في الظلام المقبل  
حملتي مالهو تحمل بعضه \* حر النياق لما نهضت بحمل  
لى ذات خدر بينين أنالها \* وأود لو رضيت فقالت أنت لى  
قامت تصول من الزماح بابيض \* ومن السيوف بأسود لم يصقل  
• ولقد أقول لمن أقام بمرصد \* ما كان ضرك لو أقت بمعزل

### مراتع الطبا

أعرفت رسم الدار أم لم تعرف \* بين العقيق وبين دارة رفر  
دار عودناها مراتع للطبا \* فعدت مسارح للضواري الخطف  
خطبت صفائحها الرياح فنقطت \* أبدي السحائب غفل تلك الأحرف  
فترى الرسوم تلوح حول خطوطها \* مثل الجدائل حول خط المصحف  
ولقد وقفت على المنازل وهمة \* نصبت ليمنى هول يوم الموقف  
ناديتها كالستجير وإنما \* ماذا يفيد نداء قاع صفصف

بأيها الركب الذين نحمولوا \* هل كان يثقلكم فؤادي المدّاف  
تيسع الركاب فما استطاع لحاقها \* وبني الرجوع فلم يجد من مصرف

### غزل المشيب

خطرت وفي قلبي لذاك خفوق \* ورنّت فكلّ الصاحبين رشيق  
هيفاء مال بصهبها سكر الهوى \* لما تمايل عطفها المشقوق  
قامت تدبر لنا الرحيق وليتها \* طلبت بحافسة فدار الريق  
وشدت فاطر بت الجمد وهيجت \* حتى علمنا كيف يُنجي البوق  
ناظرتها فسكرت من لظائنها \* وشربت مخمرتها فكيف أفيق  
ورأيت رقة خصرها فوهبتها \* قلبي فأنّ كليهما لريق  
غيداء آنسة قور عندها \* يحيا الرجاء ويقتل التوفيق  
كلال يطمع لأمنا متقربا \* ولئن آتاه زفرة وشهيق  
قالت وقد غازلتها متصعبيا \* ليس الصباية بالمشيب تليق  
هيات ما كبرا مشيبي أنما \* هذا الدلال إلى المشيب يسوق  
أنى امرؤ طرب على غزل المهي \* وعلى مناظرة الحمان مشوق  
جمت إلى قلبي العيون فانه \* يت ولصكن لا أقول عتيق  
ياربة الحسن المزرك الحشا \* مصر غلا فسطا عليه حريق  
نعمان خذل في الرياض ومدمني \* هذا لها خال وذاك شقيق  
دمي حديث لا يزال مسللا \* أبدا وقلبي بالانرام خليق

### فكتوريا المظلي

اليوم قامت فتاة الملك بارزة \* وقام من قبلها أسلافها الأول  
 فرع الأصول التي مرت وبهجتها \* ان الثمار من الأغصان تبذل  
 يستحسن الملك فيها والخضوع لها \* وليس يحسن فيها الجبن والبخل  
 باهى الرجال نساء الدهر وافخروا \* حتى أتت قاصاب المدعى الخجل  
 اذا صفالك نور الشمس في فلك \* فوالذي تفرق الجوزاء والحمل  
 بقية من ملوك الدهر قد دُخرت \* وأفضل الشيء ما يخفى فيمترزل  
 في قلبها خاتم التصوى وفي يدها \* من خاتم الملك ما يجري به المثل  
 تدبر الأمر في أقطار مملكة \* كأن أطرافها التصوى لها حلل  
 في كل نجد لها غور تمهده \* وكل سهل به من خوفها جبل  
 قد أدبت كل نفس في جوانبها \* حتى تأدب فيها الصقر والوعل  
 تلوى الريح مثنى الرمل عاصفة \* حتى تصيب أراضها فتتمدل  
 قد التقي الدين والدنيا بساحتها \* كما التقي الكحل في الاجفان والكحل  
 في ظلها للورى من كل طارقة \* أمن وفي قلبها من ربه وجل  
 اذا اشئى صولجان الملك في يدها \* تحطمت منه بيض الهند والاسل  
 تصمى بأهدافها الرامى ولورسقت \* بأسهم الشهب عن قوس الهوى ثمل  
 لها من الرأى جيش نحت راجته \* جيش به تامر الدنيا فتثمل  
 يظل في البحر من أطباقه ليج \* تملو وفي البر من أخفافه زجل  
 اذا سقى القوم كاساً من وقائه \* كفاهم النهل ان يستأنف الملل



أفدى التي ليست من مجد دولتها \* تاجافان عليها الحللى والحلل  
صان التريض عن الدعوى قهردها \* بين الكرائم حتى ليس يُنتحل  
قد هاج الاعليها الخلف غارقة \* فيه الملوك ولم يلحق بها بلل-  
كالشمس بين بدور لايلم بها \* نقص البدور ولا يفتلها الطفل  
قريرة المين ترى الملك ساهرة \* على العباد فتامت حولها القل  
لمشكل الرأى فى أجفانها قر \* يدنو ولو أنه فى بعده زحل

### القند والعصن

ولما تنى وهو ريان معطف \* يميل على سفح التيق ويخطر  
تذكرت أغصان الرياض بهزها \* نسيم الصبا والشبه بالشبه يذكر

### طعام البخيل

قد قال قوم ان خبزك حامض \* والبعض أثبت بالخلاوة حكمه  
كذب الجميع زعمهم فى طعمه \* من ذاقه يوما ليعرف طعمه

### تعزية صديق

أجل الله فى فؤادك صبرا \* وجزى منة وأعظم أجرا  
وسقى رب من قدت سحبا \* لادموا فذاك أئدى وأطرى  
ان أمرا دهاك أعظم أمر \* من لقاء لا يعظم أمرا

غيران المريض يرجو دواء \* فاذا لم ينله فالصبر أحري  
إن حقا على الطبيعة أن تحزن \* والمقل بالنتيجة أدري  
لو يفيد البكاء والنوح شيئا \* لا قامت جنساء قبلك صغرا  
كل من في الوجود وم فلا نر \* حم زيدا ولا ننبط عمرا  
بطمع المرء في الحياة طويلا \* وهو في الموت أو عن الموت فترا  
وحياة الدنيا تسمى حياة \* مثلها تحسب الهجرة نهرا  
هكذا الناس ما را أتركاب \* كل عين بدمعة العين شكوى  
رب بك لضربة صادقتني \* وهو قد شك أن حاجبه أخرى  
طالما طالع الزمان رجال \* فابتلام بأحرف ليس تُقرأ  
حيلة تركها سبيل النها \* وسقام برفضها الطب يرا

### رثاء الحبيب

وهو آخر شعر قاله في حياته يرثي به ولده حبيبا

ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوى \* أسفا عليه وبدموع أجبي  
ريته للبين حتى جاءه \* في جنح ليل خاطفا كالذئب  
يا أيها الأم الحزينة أجلي \* صبرا فان الصبر خير طيب  
لا تخلفي توب الحداد ولا زمي \* ندبا عليه يليق بالمحبيب  
هذا هو الفصن الرطيب أصابه \* سهم القضاء فال غير رطيب  
من للكتابة والحسابه بسده \* ولصحة التدبير والتدريب

لأستحي أن قلت قل نظيره \* بين الرجال فلست غير مصيب  
 والمرء يطلق في الكلام لسانه \* أن كان لا يخشى من التكذيب  
 أنى وقعت على جوانب قبره \* اسقى نراه بعد مئى المصبوب  
 ولقد كتبت له على صفحاته \* يالوعى من ذلك المكتوب :  
 لك يا خريج كرامة ومجبة \* عندى لآئك قد حوت جيبى



## رفاعة رافع بك

## ترجمته

هو العلامة العامل الكبير السيد رفاعة بك رفع ابن السيد بدوي يتصل نسبه بالامام الحسين بن علي كرم الله وجهه . ولد في بلدة طهما من صعيد مصر سنة ( ١٢٠٦ هـ ١٨٠١ م ) من أسرة شريفة الاصل أصابها عنت الدهر فنشأ في أحضان الفاقة ، ولما توفي والده كفله أخواله ، وهم أهل بيت متصل بالنسب بالانصار الخزرجية ، ولبت في كفالتهم الى أن شب وترعرع فقدم القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالازهر الشريف فقرأ العلوم العقلية والنقلية على أكابر علمائه ولازم من بينهم الشيخ حسن المطار وتخرج عليه ، ولما آنس المطار فيه الذكاء أعجب به ورفع أمره الى عزيز مصر محمد علي باشا فجعله اماماً لاول بعثة علمية أرسلها الى أوروبا لتلقي العلوم والمعارف بمدارسها ، فسافر معها الى باريس سنة ( ١٢٤١ هـ ١٨٢٥ م ) وما كاد يلقى بها عصاه حتى عكف على دراسة اللغة الفرنسية وأخذ يتصور أساليبها ، ويضهم معانيها وتراكيبها ، الى أن برع فيها براعة ظهرت آثارها المحمودة فيما هله عنها من هائس الكتب وذخائر الاسفار . ولما أحرز منها نصيباً وأقرأ راسل أفاضل القرنيس وكتابهم ومحب علماء المشرقيات منهم ، كالبارون دي سامي الشهير ، والمسويجوبار الرحالة المعروف ، وكان لهما عليه فضل التعهد والارشاد . وكان مولعاً بمطالعة الجرائد وصحف الاخبار ميالاً الى الترجمة فعرّب في مدة اقامته بباريس عدة كتب ورسائل لمل أفضلها كتاب قلائد المقاهر ،

وبعد أن نال أمنيته وحاز إجازته الدالة على نبوغه في العلوم الحديثة وشوقه في فن الترجمة والتعريب قدم القاهرة سنة (١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م) ومصباح الغرب باحدى يديه ، ومفتاح الشرق باليد الاخرى ، وحظي بقاء العزيز محمد علي فسر به وعهد اليه في الترجمة بمدرسة الطب في أبي زعبل ، ثم نقل منها الى مدرسة الطوبخية بطره ، وفي أثناء ذلك عاضد الشيخ حسن المطار على إنشاء جريدة عربية «الوقائع المصرية» فسميا لدى الجناب العالي سعيامشكورا الى أن حصلوا منه على الاذن والمساعدة فكانت أول جريدة عربية ظهرت تحت سما العتق سنة (١٢٤٨ هـ ١٨٣٢ م) وفي سنة (١٢٥١ هـ ١٨٣٥ م) أنشئت مدرسة الترجمة التي سميت فيما بعد مدرسة اللسن وعهد اليه في إدارتها كما أحييت عليه مدارس أخرى مع تفتيش مكاتب الاقاليم فخرج نشأ حديثين فعموا البلاد و شوا في أرجائها روح الحياة بنشر العلوم والآداب . وما زال مثابرا على التعميم في مدارس القطر وترجمة الكتب النافعة مترقيا في مراتب الحكومة السنية الى أن ألغيت مدرسة اللسن سنة (١٢٦٥ هـ ١٨٤٩ م) في عهد عباس الاول ونفى الى السودان باسم رغبة الحكومة في إنشاء مدرسة بالخرطوم فلبث هناك يعاني مضض العيش ، وغصص النوى ، الى أن تولى سعيد باشا فاستقدمه وولاه بعض المناصب ولما ألغيت كل هذه المدارس سنة (١٢٧٧ هـ) أعيد الى نظارة قلم الترجمة وعين عضوا في قومسيون المدارس ثم تولى إدارة بحر بر جريدة « روضة المدارس » ولم تقه شواغله ومناصبه على كثرتها عن ترجمة الكتب وتصنيف المؤلفات ونشر جلائل الآثار التي ظل مثابرا عليها الى أن قتل الى جوار ربه سنة (١٢٩٠ هـ ١٨٧٣) ودفن في بستان العلماء من قرافة الحجاورين رحمه الله وأتابه

## مُمَيَّزَاتُهُ

منحة من منح صاحبه مصر — محمد على باشا الكبير — على مصر، و بدمن أبياديه  
 الفر على لغة العرب ، و حياة الادب ، فلولاً محمد على ماعرف الناس من أمر رقاعة بك  
 الا أنه ذلك المجاور المنزوى بين أساطين الازهر ، ولولا رقاعة بك ما عادت مصر الى  
 سالف عهدها ، وسابق مجدها ، وصارت كعبة العلماء ، ومهبط الكتاب  
 والشعراء ، وما قامت اللغة العربية الى عصرها الاول ، عصر رفوها في حلال العلوم  
 والآداب . فهو بما قبله اليها من هائس الكتب ، وأعلاق الأسفار ، قد شيد  
 بنيانها ، ودعم أركانها . وهو وان كان قد ضرب في فنون العلوم والآداب بكل سهم  
 نافذ الا أنه اخص من ذلك بفن التاريخ وتحقيقاته ، وتميز صحاحه من معتلاته ،  
 بحيث كان فيه الحجة التي لا تدفع ، والدليل الذي لا يرد . أما الانشاء فقد كان فيه  
 بحيث لا ينظر في أى قالب من التعبير جاء معناه ، وفي النظم ظاهر الإيجاد بين المعانيه ،  
 ومع هذا فقد خرج رجالا اقساموا جزر البيان ، واقتحموا ميا دبح البلاغة والبيان ،  
 فكانوا كالأنجم الزهر ، في سماء ذلك العصر

## مُؤَلَّفَاتُهُ

قلائد الفاخر في غريب عوائد الأتراك والأولاد وآخر — كتاب جليل يدل عنوانه على موضوعه ترجمه وهو في باريس وهذا الكتاب هو من أتم الكتب وأتمها ، طبع ونشر غير أنه قليل الوجود

تخليص الأبريز إلى تلخيص باريز — كتاب وصف فيه رحلته إلى فرنسا وذكر ما شاهده به من آثار التمدن وما وقف عليه من عادات القوم وأخلاقهم وآدابهم . قيل أنه حاز إعجاب العزيز محمد علي باشا لدرجة أمره بها أن يتلى في قصوره ثم أمر بطبعه وتوزيمه على الدواوين وبين حاشيته وأعيان بلاده . طبع غير مرة وتداولته الأيدي الثمريات الشافية لمريد الجغرافية — كتاب ترجمه عن الفرنسية لتلاميذ المدارس طبع مراراً في مجلد ضخيم

جغرافية ملطبرون — كتاب جليل في الجغرافية والتاريخ ترجمه وهو بطهطا هاربا من الطاعون ، يقال أنه ترجم من أصل هذا الكتاب أربعة مجلدات فقط طبعت في مطبعة بولاق لم أطلع منها على غير مجلد في قطع كبير . وقد وعد حفيده السيد محمد بك رفاعة بإعادة طبعه مع كتاب آخر اسمه موتسكيو من مترجماته أيضاً فساءه بربوعه بداية القدماء وهداية الحكماء — كتاب في التاريخ القديم أكثره مترجم وبه تفصيل وافٍ عن حروب الطرواد ووقائع اليونان التي نظم هو مير وسى إلياذته المشهورة فيها

مواقع الافلاك في أخبار تلياك — قصة مشهورة ترجمها وهو في المخرطوم طبعت ونشرت مراراً

مباحج الالباب المصرية في منهاج الاداب المصرية — كتاب حوى ضرباً من الاداب . وصنوف من السياسات ، وفنون الصناعات ، طبع آخراً أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل — كتاب من أجل الكتب وأتمتها فصل فيه أخبار من ملك مصر من الاسر والملوك منذ مُصِرَّت الى قدوم عمر وبن الماص وأصحابه اليها فاتمحين . ويتلو ذلك فصل ضاف في أخبار العرب وأطوارهم . وضعه في عهد محمدن مصر الخديوى اسماعيل وجمله مقدمة لولى عهده المرحوم توفيق بلشا الخديوى السابق . وهو مطبوع قليل الوجود

نهاية الاجباز في سيرة ساكن الحجاز — كتاب كريم وضعه في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وجعله جزءاً ثانياً للكتاب السابق . طبع في روضة المدارس وهو آخر ما ألف . قليل الوجود

وله غير ما تقدم كتب كثيرة ما بين مطبوع ومخطوط . كما أحيا كثير من الكتب الجليلة بالطبع ، مثل خزنة الادب للبغدادى ، ومقامات الحريرى ، وغيرها . ويقال أنه ترجم بنفسه وباشرافه ما يربو على السنتائة كتاب



# آثار رافع بك

## نخب من نتوه

### مميزات العرب

العرب كلها ترجع الى قحطان وعدنان فيقال اسمائر قحطان اليمن ، ولسائر  
 عدنان المضربة والنزارية وهى قيس ، ويقال قيسى ويمايى ، كما يقال سعد وحرام ، وكل  
 من قحطان وعدنان كما هم متحدون فى النسب متحدون فى الطبائع والموائد على اختلاف  
 طبقاتهم الست التى هى الشعوب والقبائل والمائير والبطون والانخاذ والقصائل ،  
 فالشعب أكبر من القبيلة ، كريمة ومضر والاوز والحزرج ، والقبيلة ككثانة ،  
 والعمارة كقريش ، والبطن كقصي ، والفخذ كهاشم ، والقصييلة كبنى العباس . وأول  
 صفة من صفات العرب الحمودة وهى الشهامة فى الحرص على ما يوجب الذكر الجميل من  
 العظامم ، والثناء الحسن من المكارم ، وهذه الصفة كملواهمة والحية والنجدة من أركان  
 الشجاعة التى هى صفة جامعة لذلك ، فكانوا يحبون المحامد والقهر وبعد الصيت بما  
 يعدونه عندهم من الفعل الجميل ، كانتصارهم على الاعداء وكسب الثنائيم . فكانت  
 النصره عندهم قوم مقام الحقوق المدنية فيما يترتب عليها من المزايا . . . . كما يحكى أن  
 بعض العرب وقف على قبر عامر بن الطفيل المامرى فقال برثيه :

أنهم ظللوا أباعلى ، فلقد كنت تشن القارة ، ونحنى الجارة ، سريعا الى المولى

المولى بوعده ، بطيئاعنه بوعيدك ، وكنت لا تفضل حتى يضل النجم ، ولانهاب حتى  
بهاب السيف ، ولا تعطش حتى يمشط البعر ، وكنت خير مانكون حين لا تظن  
نفس بنفس خيرا . فقد مدحه بأحسن ما بوصف به عربى ، فكان بقاء ذكر الانسان  
بعد الموت بمنزلة الحياة . قال بعضهم

فأتوا علينا لا أبا لابيكم \* بأفاننا إن التناء هو الخلد

وقال آخر

فان يك أفتته الليالى فاوشكت \* فان له ذكراً سيفنى الليالى  
ومن صفاتهم النجدة التى هى عدم الجزع عند المخاوف فكانوا منها على مكانة مالية  
وكانت أحلامهم تحمل أجسامهم مالا يطلق سواء فى ذلك الشخص والقبيلة كما قيل  
فى الاول

أكر على الكتبية لا أبلى \* أفيها كان حتى أم سواها

ولى نفس تتوق الى المالى \* ستتلف أو أبلغها منها

غيره

كنت المتقدم غير لابس جنة \* بالسيف تضرب معلما أبطاها  
وعلمت أن النفس تلقى حنفا \* ما كان خالقها اليك قضى لها

غيره

فان يك قيدي كأن نذرا نذرته \* فباني عن أحساب قومي من شغل  
أنا الضامن الراعى عليهم وانما \* يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

وقيل فى الثانى

وكفى تستغل بمحمل سيفى \* وبى عنى بهضفى امتناع

وحول من بنى قحطان شيب \* وشبان الى الهيجا سراع  
إذا فزعوا فأمرهم جميع \* وإن لانوا فأيدم شعاع

### وقوله

لا ينفذ قوى الذين هم \* سم المداة وآفة الجزر  
النازلين بكل معتوك \* والطيين معاهد الأزر

الى أن قال :

ومن صفات العرب أيضاً كرم النفس، ومكارم الاخلاق، وكان يحملهم على  
الاقتصارات من استنصر بهم وإجارتهم من استجار، كما يحملهم على صدق الوعد، ووفاء  
المهد، يستوى في ذلك منهم الوثني والكتابي حتى بقي فيهم الى الاسلام، الى غير ذلك  
مما فاضت به الكتب في صفات العرب، وقال :

وقد بقيت هذه النخوة الفخارية في العرب الى الاسلام بل الى الأزمان الأخيرة  
عند نسل العرب الملتزمين، فمن ذلك ما ينسب لبعض عظماء أولاد عاتبة بالدور بصعيد  
مصر وهو قوله

إذا ما ركبنا ظهور الجياد \* فن ذاهر سائنا يقهر  
ومهما أمرنا لكل البلاد \* فكل مطيع لما نأمر  
ونحن الملوك أهيل السداد \* ونحن لا صدافهم جوهر  
ومن يتفينا ينال المراد \* ويرجع طلاقا يستبشر  
نخل سوانا وصف القواد \* ترى من عطانا الذي يهر

وفى الواو قام عند عرب الصعيد مقام الشعر عند سلفهم فلم فيه الملكة الجيدة مع

لحنه الذي يحلوه

« أعيان البيان »

« م - ٧ »

## نبذ من شعره

اطلمت على كثير من القصائد التي نظمها رفاعه بك فباعن لهن الأغراض والمطالب  
فلم أجدهن بينها ما يستحق نشره في هذا المصراع والبيان به كشاهد على منزلة الشعر في  
أبصاره كما هو المألوف من بعض ما جئت به لغيره ليكون مثالا لتدرج الشعر في معارج الكمال  
حتى بلغ منزله التي صار إليها لهذا العهد من الإجازة والإحسان . ولقد والله أحسن  
وصف نفسه حيث قال

وما نظم القريض برأس مالى \* ولا سندی اليه ولا سنادى  
غير أنني رأيت له البيتين الاتيين فآثرتهما بالإتيان هنا على ما فيهما من التعبير  
• المامى في قوله « نزاهة طرفى »

## خمر الميون

قد قلت لما بدا والكاس في يده \* وجوه الخمر فيه شبه خديه  
حسبى نزاهة طرفى في عأسه \* ونشوى من معانى سحر عينيه

## أبو الشهاب الشهاب الألوسى

### ترجمته

هو عالم العراق الكبير والكاتب النحري السيد محمود شهاب الدين أبو الشهاب الألوسى البغدادى ابن السيد عبد الله أفندى ينمى نسبه إلى الامام الحسين بن على كرم الله وجهه . ولد في ١٤ شعبان سنة ( ١٢١٧ هـ ١٨٠٢ م ) بالكرخ من بغداد في بيت عزعريق ومجد صميم . أخذ مبادئ العلوم عن والده ، ولما بلغ العاشرة من عمره أسلمه والده إلى شيوخ علماء العراق ومدرسيه فقرأ عليهم واستجازهم في علوم اللغة والدين والآداب والفقه وغيره من المقول والمنقول وكانت جامعة إجازته على يد شيخه العلامة الشيخ علاء الدين الموصلى في يوم مشهود . ثم أخذ في الشرح والتعليق ، وأكب على القراطينس تأليفاً وتصنيفاً ، وتصدر للتدريس وهو في الحادية والعشرين من سنن حياته . ولما اجتاحت سادة الكرخ جائحة الطاعون قضى والده فيمن قضى منهم « فلبس الزمن له جلد النمر ، وجعل يكر عليه ويفر ، وجرت لها أمور منها السماء تمور ، ووقعت مواد تشيب لذ كرهالم المداد » فاضطر إلى ترك سكنى داره بالكرخ وسكن بجوار الباز الا شهب

وفي شهر رمضان سنة ١٢٥٠ هـ دعى للوعظ في جامع الحضرة القوتية فأجاب مكرها واثق ان حضر درسه وسمع وعظه ، المشير على رضا باشا والى بغداد فعلقت

به نفسه ودعاه الى زيارته ، والاختصاص بصحبته ، فلي دعوته ، ولزمه ماشاءت أوقاته ،  
وفي أثناء ذلك شرح كتاب دعاه « البرهان في أطاعة السلطان » وقدمه الى الوالي فأجازه  
عليه بنظارة « وقف مرجان » وجلب له رتبة « تدريس الاستانة » من الحضرة  
السلطانية . ثم عين مفتيا للحنفية ، وأخذ في كتابة تفسير روح المعاني في أوقات الفراغ ،  
وإجازة الطلاب ، في العلوم والآداب ، وخرج فريقا من أهل الفضل فذاع صيته ونما  
فضله ، فتصدر حابه طلاب الموارف ، وقد علمه رواد المعارف ، ورأسه الكتاب  
والبلغاء ، ومدحه الأدباء والشعراء ، فكان فيض على سائليه ما نالته يده من الذهب ،  
وما بلغ اليه علمه من الفضل والآداب . واتفق أن قل رضا باشا الى ولاية دمشق وعين  
بده بولاية بغداد محمد نجيب باشا فأسامع ماملة المترجم له بوشاية أعدائه وسعاية حاسديه  
فغزل عن منصب الاتناء واقطع لانعام التفسير ، ثم رُفِعَ عن نظارة « وقف مرجان »  
« فأسبلت عليه سحجف الاحزان ، وقطع الموز نياط قلبه ، فصار عُشْبَةً أُنْثَاهُ  
وَقُويرة كُتْبِهِ ، حتى كادياً كل الحصير ، ويشرب عليه مداد التفسير » وما كانت  
هذه الاساءات لتشفى صدر الوالي تولى الله حسابها به من غله على صاحب الترجمة ، بل  
ما برح يصيب على رأسه جام قمه حتى ألجأه الى ركوب الأخطار ، واقتحام الأسفار ،  
فرارا من ظلمه ، وهربا من عسفه ، وقد كان أمّ تفسيره قاصط حبه وسبيلة الى بلوغ  
مرامه لدى جلالة السلطان

ففي سنة ( ١٢٦٢ ١٨٤٥ م ) شد رحاله الى الأستانة العلية محبة المشير عبد  
الكريم باشا النادر ، ومصطفى بك الربي ، وسليمان بك أفندي \* . وقد كان في محبتهم  
أيضا التواؤب اقبال الدولة أحمد ملوك الهند وعظماؤها ، كان قد اتخذ العراق له سكنا وكان  
( ٥ ) هو والد المرحوم الصدر محمود شوكت باشا من زلزل عرش عبد الحميد والمتول في دم ناظم باشا  
البري منه براءة الذنب من دم ابن يعقوب . وقد كان والده هذا من أكابر كتاب الترك وشعراهم

ذا ثروة طائلة وجاه عريض . فرالمترجم له في طريقه بآمد ، قلموصل ، فباردين ، فديار بكر ، فارضروم ، فسيواس ، فساموس ، وقد كان موضع إعجاب علماء هاتيك الديار وكثيرا ما جرت بينه وبينهم مباحث ومطارات ، ومسائل ومجادلات . ولما انتهى به السير إلى دار الخلافة التي يشيخ الأسلام أحمد تارف حكمت بك وعرض عليه تفسيره وما جاء من أجله فأكرمه ما آمن انصراف نفسه عنه ، لما كان قد سبقه اليه من وشايات المبعضين ، ثم ما لبث أن زال هذا المارض وحل القبول محله ودارت بينهما مباحث ومناقشات علمية وأدبية دلت على توسعهما في علوم الدين والآداب وأجاز كل صاحبهما فيما علم من منقول ومعقول ، ومن ثم كثرت أصدقاؤه من رجال الدولة وزرائها ، ووصار موضع إجلال صدورها وأسرانها ، وبعد نزوله دار الضيافة السلطانية أمر بتقديم مذكرة عن حاله وما يرجوه إلى الصدر الأعظم ، وكان إذ ذلك مصطفى رشيد باشا فكتبها وألحق بها ورقة فيها :

قصدت من الزوراء صدر أعظما \* وقد سامني ضر وقد ساعني دهر

قللت لنفسي والرجاء موفر \* لنا الصدر دون العالمين أو القبر

فحازت إعجاب الصدر الأعظم ، وبملاى ما صدرت إرادة السلطان عبد المجيد

بإعطائه مبلغ ٢٥٠٠ قرشا وله مثله في كل عام ، وبالنعام عليه بالوسام المرصع

ثم آت إلى وطنه حسن الحال ، ناعم البال ، فأنكب على التأليف ، وانقطع للتصنيف ،

ووفد عليه ذوو الحاج من الناس ، وفصل فيما صنف رحلته هذه في عدة كتب . وما

زال يته منأبة للناس وأمنأ إلى أن دعا به فلباه في يوم السبت ٢٥ ذي القعدة سنة

( ١٢٧٠ هـ و ١٨٥٤ م ) رحمه الله ، فزاه الشمر أعوانه الأدباء ودفن بجوار والده

قريامن ضريح سيدي معروف الكرخي تاركاً وراءه ذرية صالحة وأنجالا كراما

حفظوا مجد بيت الالوس وفضله إلى اليوم

## مُمَيِّزَاتُهُ

لكل علم من العلوم، وفن من الآداب، أسلوب من الكتابة خاص به إذا حاد عنه الكاتب التوى عليه القصد، وزلت به القدم ما لم يكن من المجتلين . وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون أن يضربوا في كل علم بسهمه ، وينضجوا الكل فن عن قوسه ، ويلتزموا بيان به ببارته الخاصة به . ولقد رأيت أبا التناء من أقدر كتاب عصره على تكييف مناحيه فيما قصد اليه من العلوم والآداب . فبينما تراه يكتب في التفسير ، بقلم الرازي وابن جرير ، إذا به يقابل في رحله بيراع ابن بطوطة ، وقيس بذراع ابن جبير ، ويحسن في الوصف والتعريف ، أحسان الموفق عبد اللطيف ، أما صناعة الانشاء فقد كان يتظالم فيها وراعى من قدمه من ذوي المقامات البليغة ، غير أنه كان على اصطلاحه بعلوم الدين الداعية الى التوقر والاحتشام ، مما لا الى ما يشرح الصدر من عبارة لطيفة ، أو فكاهة طريفة ، مما أبان به عن رقة طبع ، وحسن ذوق . ومع أن السجع كان ذا السلطان على أقلام الكتّاب ، في ذلك الحين ، فقد كان يحاول أن يكون أقلم فيه تكلفا ، وأدناهم الى الانسجام . وقد قال الشعر الان انه ما كان فيه من المطبوعين



## مُؤَلَّفَاتُهُ

روح المعاني — هو التفسير الكبير المعروف بين التفاسير، أفرغ فيه طاقته من كتب الفقه والاصول حتى وقع في تسع مجلدات ضخام، وعلى هذا يكون أقرب في النسبة الى هذه الكتب ومباحثها منه الى كتب التفسير، ومع هذا فقد ناكها واشهر من بينها شهرة عظيمة . وهو مطبوع في بولاق ومعرفة لدى أهل العلم .

غرائب الاغتراب وزهرة الالباب — كتاب وضعه في تهيئته في رحلته الى الاستانة العلمية وذك فيه من لقيه من رجال العلم وأهل الادب ولا سيما شيخ الاسلام تارف حكمت وما جرى بينهما من المباحث العلمية . طبع حديثا في بغداد .

نشوة الشهول في الذهاب الى اسلامبول . نشوة المدام في العود الى دار السلام — كتابان وصف فيهما البلاد التي مر بها في ذهابه الى الاستانة وايابه الى بغداد وذك من لقيه أثناء ذلك من العلماء والادباء، وما دار بينه وبينهم من المجادلات والمخاورات . طبع حديثا في بغداد .

كشف الطرء عن الغرء — هو شرح لدرء النواصع أعقد فيه على شرحها للشهاب الخفاجي . وهو مطبوع في دمشق ومنتشر .

المقامات الخيالية — قيل انها طبعت في كربلاء لم أرها .

وله غير ذلك كتب ورسائل وشرح وقفاوى وتعليقات وحواش منها المطبوع المشهور، ومنها المطوى المدثور .

# آثار أستاذ

## نخب من نثره

### الاستأنه العلية

ان المتقدمين من المؤرخين بالتوافي عظم هذه البلدة ، وجاوزوا في الوصف حده ،  
 كما بالتوافي شأن الزوراء ، في عصر الخلفاء ، وأنا أقول ، غير مبالغ بقول ، إنها بلدة  
 مؤفة الأرجاء ، راقية الأنحاء ، ذات قصور تضيق عن قصورها سعة الأذهان ،  
 وتعجاذب الحسن هي وقصور الجنان ، وربة رياض أريضة ، وأهوية صحيحة  
 مريضة ، قد تنبت أطيافها ، فتأملت طر بأشجارها ، وبكت أمطارها ، فضا حكت  
 أزهارها ، وطاب روح نسيمها ، فصح مزاج اقليمها . ولتلك رأيت ما فيها من  
 الرياض الأنيقة ، والأشجار المتبدلة الوريقة ، وقد ساقطت إليها أرواح الجنائب ،  
 زقاق خمر السحاب ، فسقت مروجها مدام الطل ، فنشأ على أزهارها حجاب  
 كالؤلؤ المنجل ، فلما رويت من الصباه أشجارها ، ونعمها مع السمات المسكية خمارها ،  
 فدانت ولا تداني المحبين ، وتماقت ولاتماقت الماشقين ، بلوح من خلالها  
 شقيق ، كأنه حمرات من آثار حريق ، ويصطلها بهاريير ناظره ، فيرتاح اليه ناظره  
 وكأن النرجس الغض بها \* أعين العين وما فيه غمض

وجملة أمرها أنها النموذج الجنة بلامين ، فيها ما تشتهي الالهس وتلذذ العين ، وكـ  
 فيها من حير راقـت حيرة ، ومن امام توجت جباهه الاسلام سيرة ، آثار علومهم على  
 صفحات الدهر مكتوبة ، وفضائلهم في محاسن الدين والدنيا محبوبة ، وإلى كل قطر  
 محبوبة ، ولكل قلب محبوبة ، فـامن متين علم وقديم رأى الا ومنهم مشرقه ، ومن  
 بروجهم مطلبه ، ولـامن معين فضل وقوى فهم الا وعندهم مغربة ، واليهـم مغرعه ، وما  
 نشأه من كرم أخلاق بلا اختلاق الا وجدته فيهم ، ولا جلالة اعراق في طيب اعراق  
 الا اجلتيته من معانيهم ، أطلقاهم رجال ، وشبانهم أبطال ، ومشايخهم ابدال ، شواهد  
 مناقبهم باهره ، ودلائل مجدهم ظاهره

فمن حاتم في جوده وابن مامة \* ومن أحنف ان عدلهم ومن سعد  
 وأما النفر وما أدراك ما النفر ، فذاك الذي تنشق من حلوة لى محاسن ثنائه  
 مرارة الخمرة ، وقد ولع لسانه بالافتخار ، فخرى مطلق عنان الفخر في كل مضمار ،  
 وتلاسن البحـران بلامراء ، فالتقم البحر الاسود حجرا بحر مر مرا ، واذا رأيت نمرأيت  
 نعميا ، وملكاً مقميا ، وملكا عظيما ، فالتصور هناك لها الرفع عن التصور سيمه ،  
 فوحسنتها لقد غدت فقيلة الثيرة منها في است قصور أرض السمسمه ، فان الفرق بين  
 هذه وتلك جبال ، فهذه مما تلذبه الخواس العشر وليس في تلك حظ لسوى الخيال ،  
 وقد غدت تسجل ذبول الفخر بأفصح لسان على ساحلى خليج يزرى بالهجرة ، وتنتقل  
 لرائتها أحاديث غرف الجنان قسماً اذ تلى الجنان بأنواع المسره ، وانها على ما أضمرت  
 من دقائق الحسن في سرائرها ، ليرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها ، وقد غلت  
 مقدارها ، وعلت متارها ، وشعخت بأفهام حتى ظن ان لها عند الشمرى العبور ثارا ، وقد  
 اتصلت بهما من ورائها الجنان ، هي فوق ما تتخيله أذهان الامكان ، وان مبتدأ أمرها  
 ليتادى : ليس الظير كالعيان ، وفي كل منها بركة مقعمة من الحسن بركات ، ولها خـد

كاللجين نحلى بسدار من انكاس النبات، وحول كل بركة — وحياتك — روض  
نضر، ومامن روض الا ويلقى فيه ماء الحياة والخضر، وامتداد هانك القصور  
ست ساعات، على ما حدثنى به بعض الرواة الثقة، وأسود غابات اسلامبول،  
وبدور بروجها التي ليس لها أقول، ينتقلون اليها اذا بلغت الشمس نصف برج الثور،  
ولهم اذا بلغت نصف برج العقرب رجوع بعد الاقامة وحور بعد الكور، وفي  
كلا الامرين قد يقدمون وقد تأخرون، وربما نجد فيها قوم مقيمين في القصور  
الاربعة لا يرحلون، وقد اتخذوها منزلاً، واستوطنوها ولم ينو اعينها حولاً، وعرض  
الخليج هناك نحو جسر الزوراء أربع مرات، وانه يزيد على ذلك وينقص في  
بعض الجهات، والزوارق فيه تزيد على اثني عشر ألفاً، وهي مشحونة لطفاً، ومملوءة  
ظرفاً، وانما نحكي فيه الداميس، كما أن زوارقه السلطانية تشبه الطواويس، وفيه  
من السفن النارية عدة، قد اتخذت للعبور بعده، وهي من حيث البوائق، آمن بكثير  
من الزوارق، وفيه من الحيتان اليونسية كثير، ويخرج من هناك من أكلها كما  
يخرج المسلم من أكل الخنزير، وربما يظنها الظان، انها خنازير الحيتان، وهي  
تتطارد جهاراً، ليلاً ونهاراً، فماذا عسى تقول في بقعة لا يزال يضحك نقرها على  
جميع البلاد، ولا يروح في العماراة أمرها كل يوم في ازدياد، وبوشك أن تكون جنة  
يقضى منها العجب، لولا ما ابطيت به من الحريق وقمل الخشب، ولكم تمت فيها من  
القمل على مثل الاسبنة، واعتزنى من عمن الدهشة من حريقها أعظم عنده، وكلا  
الامرين في الساحل قليل، وفي الارض قطع متجاورات كما نطق به التنزيل، ثم  
انها لكثرة الخلق فيها، واختلاف صنوف أهلها، لا تخلو عن لوائى في البحر المحيط  
لنجسه، أو كان جزءاً آمن العدد الغير المتناهي لبعسه، وفيها من التسوان ما ينجس  
انهم حور الجنان، وكلامهم لو تجسد لازرى بالدر ..... وفيهم من عادات

نساء الاعراب ، انهن يبرزن الى الازقة بمجرد قباب ، الا انه ألطف من شمائلهن ،  
وادعى للصوبة بهن من تمايلهن ، فكانه نسيم تم أن يصجد ، فعارضه توقدوجنة  
الخد ، وربما يقول ظمآن النظر اذا أتى منهل مياه خدودهن وورد ، الله أكبر كيف  
نسيم الريح على الماء زرد ، وربما ينشد ، اذا ذاق نظره سحر خدنها المتورد

رق الزجاج وراقت الخمر \* قتشا كلا وتشابه الامر

فكانما سحر ولا قدح \* وكانما قدح ولا سحر

ومعظمهن حرائر ، وان لم يحتجب عن النواظر ، فعدم الاحتجاب عادة قديمة  
في غرب الاعراب ، وهن اللواتي ولا شك في عفتن ، ولله تعالى در من قال  
في صفتن

هن الحرائر لا ربات أمجرة \* سودا لخالج لا يقرأن في السور

وقد حققت ان هن من لا تخرج من بيتها حتى الى الحمام ، ولا يحوم عليها طائر  
نظر أهل الازقة الى أن تصير وكراً لحتمام المعام ، ثم لا يخلو غيل من واوى ، وأى  
بلد عر بض طويل لبس فيه كلب عاوى ، فالمول عليه في رداءة البلدة وفضلها ، انما  
هو عند المنصف حال غالب أهلها ، وحال أغلب أهل هذه البلدة في الحسن لا بطل ،  
وسيان في ذلك على ما علمت النساء والرجال

قوم ذكوانسا وطابوا نحيرا \* وندفقوا جودا وراقوا منظرا

فانم بذلك المعنى ، فقد جمع الفضل حسا ومعنى

حمامات سمسون

ذهبت لازالة الدرن الى الحمام فرأيت دلا كيه طلباء الاتها أو انس ، وغواني غير

انها لا ترد بدلا مس ، لم أر مثلهم في حمامات دار الخلافة ، مع ان دلا كيهل قد ارتدوا بالحسن وانزروا بالطرافة ، فهوى أحد دم الى وأخذ بيده يميني يدي  
فسرت أسرت طويته فغورت . في المحصر منه وأمجدت في نجده  
فاقشعرت جلدي ، وأعظمت ذلك دياتي وغيرتي ، وجعلت أسأل الله تعالى  
المصمة ، وأصعد النظر وأصوبه في تصحيح نحر يم النظر الى المرد ، كما يحكي عن  
بعض الائمة ، مع أنه والحمد لله تعالى لا يزدهني حسن أمر ، ولا يسقيني بجماله  
قوام أمله ، قد جعبي نحو ما جيب لجدى رسول الله ، النساء والطيب ، وجعلت قرة  
في الصلاة ، فلذا رأت كثيرا ما أترحم على الشاعر الاحب ، عصيرنا الشيخ صالح التميمي  
حيث أنشد

سلا عن مذهب الولدان غيري \* وعن دين النذاري قاسألوني  
وأستظرف قول بعض الظرفاء من رجال سويداء الابداء

من قال بالبرد قاني امرؤ \* الى النسا ميل ذوات الجبال  
ما في سواد القلب الا النسا \* ما حيلتي ما في السويداء رجال

لكنني شاهدت ما كاد يحل والعياذ بالله تعالى عصام الصمة عمالم يحله دليل العقل  
والسمع ، وقد رأيت الجائئين الى الحمام كلهم يكرمون الخادم على كبسه ، وهو قائله الله  
تعالى بخطف العقول بايتسامه ولا يروع أحدا بجميسه ، وفي عينيه ذبول تعلق بالقلوب  
لهذا ذبال ، ولعمري انه ينجيه وقد رشع عرقا من حب ، شجرة من فضة نية حملها الذؤلؤ  
الربط ، الى محاسن بلغت في الحسن الثريا ، وشما تلت تكاد تنشق من حلاوته مرارة  
الحيا ، يصحبها غنج ألقاظ ، أخلب للقلوب من غمزات الالفاظ ، وحركات أطراف  
اجلب اللبلاء من لين اعطاف ، فهو من غير تطويل ، ممن يهدي الى الضلال وبضل عن  
سواء السبيل ، فأين هذا من الدلائل في حمامات العراق ، الذين تقطر لحام البيض

عراقاً سوداً أتت بمناجحه أفواههم من البصاق ، فارؤية أولئك لإستقام ، وما دخول حمامهم فيه إلا حمام ، ثم ان هذا الذي قلته انما هو بالنسبة الى الذات النفسية ، والشهوات الطبيعية البشرية ، والا فالشريعة المحمدية والغيرة العربية تأييداً كون الدلائل امرء ، يتأيل بذواته كالنصف اذا تأود ، جسده ألين مسامح الزبد ، ورضابه ولم أذقه أذم مصابيح الشهد ، مع أوصاف يمثل القلم من خندريس حلاوتها ، ويتلجلج لسانه فلا يقدر الا ان ساعده البارئ على تلاوتها ، وعبارات تلتقط بلا اذن السمع حبات القلوب ، واشارات تدخل على الصالح بلارضى الطبع حبات الذنوب ، ثم لم يحكم عقل ولا نقل بالاتفاق ، انه ينبغي ان يكون الدلائل كما كثروا في العراق ، فالانصاف ان ذلك مما لا يتحمله البشر ، اللهم الا ان يكون طبعه الشريف قد قد من حجر ، وكان وجهه اختيار بعض الناس ذاك ، ان الكيسر بما لا يكون خشنا فتقوم مقامه خشوشتها كذب الدلائل ، أو ربما لا يحضر عند ذلك بالصابون اللين ، فيقوم مقامه ذقن ذلك الدلائل الكثيف . . . . . وتفصيل الكلام فيما يلزم داخل الحمام قد نطقه في كتبهم من كل درن الفقهاء الاعلام ، فأترى تجزما يلزمك منه ، ولا أظنك في غنى عنه

## تبينه شعره

### الماء رسول الحب

ولم تزل العشاق تتخذ الهوا \* رسولاً بإبلاغ السلام خليلاً  
واني اتخذت الماء يبلغ جيتي \* إذا ما جرى غنى السلام جزيلاً

وحلته من نار شوق اليهم \* ولا عيج أشجان القراق حولاً  
فمن حملها يسيي التسم لانه \* يهب بهاتيك الطلول عيلاً  
حساد الفضلاء

وإذا التقى بلغ السماك بفضلله \* كانت كأعداد النجوم عدده  
ورموه عن حسد بكل كربه \* لكنهم لا ينقصون علاه  
الشوق الى الأوطان

أهيم بآثار العراق وذكره \* وتغدو عيونى من مسرتها عبرى  
وألم اخفاها وطئن ترابه \* وأكحل أجفانا بتر به المطرى  
واسهرارعى في الديبجى كواكباً \* تمر إذا سارت على ما كنى الزورا  
وانشق ريح الشرق عندهبوبها \* أداوى بها يامى مهجتي الحرا  
دواء الحب

لقد لامنى الاحباب جهلاً وعنفوا \* غداة رأوا جسفى تقاسمه الضنى  
وقالوا عقاقير لديك كثيرة \* فهلاً بأحدا من داويت ذا العنا  
فقلت وغير اللطف لم يبق من دوا \* « بكل تداءىنا ظم يشف ما بنا » (\*)

(\*) رأيت أديباً يسوعين الفاضل الابولوس شيخو محرر مجلة المشرق ينجل الآلوسى أيتامى  
تحمير الشراء ان سموا به \* فى حسن صفته وفي تأليفه  
فكانه فى قرنه من فهمهم \* ونكولهم فى الجزع عن رصيفه  
شجر بدا للين حسن نيانه \* ونأى عن الأبدى جنى مقطوفه  
مع أن من له أقل اطلاع على كتب الادب يعلم أن هذه الايات هي (لناتى) الشاعر  
المروف وتامها

وإذا قرنت أيسه ببطيحه \* وقرنته بقرنيه وظريه  
النيت مثاه بطابق لنظفه \* والنظم منه جليله بطيحه



## الشيخ أحمد فارس

### ترجمته

هو فارس بن يوسف بن منصور الملقب بالشدياق ولد بقرية عشقون من أعمال لبنان سنة ( ١٢١٩هـ ١٨٠٤م ) من أسرة مجيدة من أسر سور بالمسيحية . ثم انتقل به والده الى الحلت بلبنان فنشأ فيها بادية عليه سبيل التجارة فأدخل المكتب فتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، وشدا شيأمن النحو واللغة على أخيه أسعد ، ثم أخذ في مطالعة ما وصل اليه من الكتب العربية فاستنارت قريحته ، وذكت طبيعته . ولما مات والده طلب الميش من نسخ الكتب تارة ، ومن الانخبار في القرى تارة أخرى ، غير انه لم يكن ذا حظ في الكسب من التجارة ، وكان على جانب من حسن الخط . فظل يعاني غصص الحياة الى أن تمت مصائبه ب وفاة أخيه أسعد صبوا في سجن أعدائه المارون لثو كدحتهم واتصله المذهب الانجيلي . فهاجر فارس بسوء فعلتهم وأخذ يندد بهم فغشوا غضب لسانه ، فاقضوا أمره طلبا للنكال به ، فالتجأ الى المرسلين الأمير كان فأجاروه وبعثوا به الى مصر ليعلم في مدارسهم بها فجاء القاهرة في عدم مصلح مصر الكبير محمد علي باشا . ولا ألقى بها عصاه ترف بالفاضل نصر الله الطرابلسي واتصلت محبته بالشيخ محمد شهاب الدين محرر الوقائع المصرية فلأزمه وقرأ عليه طائفة من كتب اللغة والادب مع شروحه وحواشيها فتخرج عليه أحسن تخرج ، ثم أفسح له في صدر

الوقائع فكان ينشئ فيها الفصول الزائفة بأسلوب مستقل عما ألفه كتاب ذلك العصر، ثم سافر إلى جزيرة مالطة ( ١٨٣٤ ) بدعوة الأميركان ليعلم في مدارسهم فالتحق بها وأخذ يعلم ويصنف ويصحح ما يطبع في مطبعتهما من الكتب والمترجمات إلى أن طلبته جمعية ترجمة التوراة في لوندرة لمساعدته في تحريرها ويصدها بالضبط والتقيح فشخص إلى أوروبا ( ١٨٤٨ ) وأقام بها مدة تمكن أثناءها من درس أحوال الأمة الانكليزية والوقوف على طبائنها، ثم سافر إلى باريس بعد أن حصل على حماية بر يطانيا العظمى.

وفي لبنان وجوده في باريس زارها باي تونس أحمد باشا وبسط يده لقراء الفرنسيين ومعونتهم بحزب المطايا، ولما آت إلى تونس بعث إليه صاحب الترجمة بقصيدة عربية حازت إعجاب الباي فأرسل يستقدمه وأمر بإعداد باخرة حربية لحضوره عليها، فلما مثل بين يديه أكرم مثنواه، وأفاض عليه سجالاته وعطاياه، ثم وقعت بينه وبين شيخ الاسلام بالديار التونسية مجادلات في العقائد الدينية أدت إلى اعتناقه الدين الحنيف ودعى نفسه « أحمد فارس » وتكنى « بأبي العباس » ولبت في حاشية الباي إلى أن شبت نار الحرب بين الدولة العلية والروس سياسة ( ١٢٧٠ ١٨٥٥ م ) فنظم فيها قصيدة وبعث بها إلى الباب العالي فنالت رضا السلطان عبد المجيد فأمر باستدعائه إلى الاستانة فلما حضرها الحق بدوان الترجمة وعهد إليه بالتصحيح في دار الطباعة العامرة

ولما كانت سنة ( ١٢٧٧ ١٨٦٢ م ) كان الخديو اسماعيل باشا رحمه الله في الاستانة العلية فاستزاره وأثنى عليه وأعجب به وقال له مامنه « أني أجل المم والفضل في شخصك » ثم هج ب ٥٠٠٠ من الجنيهات ويقال انه هو الذي أشار عليه باتشاء جريدة « الجوائب » فقام بانشائها خيراً قيام واشتركت الحكومة المصرية منها في النفي

نسخة . وفي سنة ( ١٨٨٦ ) وفد على مصر في عهد عزيمتها الخديو السابق توفيق باشا فقال لمن لديه كل رعاية واكرام ، واجتمع به ثمن أفاضل الادباء وأرباب الصحف وغيرهم فبهرهم منه على شيخوخته وانحنائه تحت أقال السنين واعباء الايام - حضور ذهنه وتولذ كائنه ، وحلاوة صممه ، ورقة حاشيته ، ورشيق عبارته ، ثم آب الى الاسنانة فتوفي به اسنة ( ١٨٨٧ م ) وكان لموته دوى هائل رددت صدهاء صحف الاخبار في الشرق والغرب ، ورتاما الكتاب والشعراء وأبنه العلماء والادباء ، ثم قلت جثته عملا بوصيته الى سور يا حيث ووريت بسفع لبنان رحمه الله

## مُمَيِّزَاتُهُ

اذا كان أحمد قارس سور يا في مولده ومنشأه ومثوى رفاقته ، فهو مصري في أدبه وفضله ، في مجده ونبيله ، في شهرته ونباهته ، في نبوغه وعبقريته ، في ذوقه ورقته ، قد جمع الفضل من أطرافه ، وملك في أكتافه ، همه السورى ومثابرة ، وذكاء المصرى وفطنته . إمام في فهم دقائق الالفية العربية وقته أسرارها ، واكتناه مراى ألقاها ، وأدراك معانيها بما لم يعرف في أحد غيره اللهم إلا أن يكون الجاحظ ومن ناصب في مذهبه . سهرت منذ أعوام وجماع من الادباء ليلية من ليلالى الدهر ، وفيهم أديب المصر حفي بك ناصف فذكرت الشيخ أحمد قارس مثنيا على علمه وأدبه ، مفضلا إياه على صاحب القلموس . فقال أديبنا الكبير : لكنه لا يستطيع أن يحجب سائله ارتجالا كما أجاب القير وزابادى من سألته عن كلام الامام على . ولم يرو لنا

« أعيان البيان »

« ٨ — م »

شيئاً من السؤال أو الجواب . ولما وقعت على عبارة الامام على ، وإجابة الحمد عليها ،<sup>(١)</sup> رأيت كلاماً يشبه في فعله ، بلاذهان سحر المقلبي في رموس الخوارج ،<sup>(٢)</sup> فضلاً عن أنه خال من فائدة تصلح عقلًا ، أو تقوم لسانًا ، أو ترهف بيانًا ، كما لا يدل على فضل أو بشير إلى محقق ، فباشككت في أنه من الكلام المدخول على الامام على كرم الله وجهه وهو ما هو صاحب البلاغة التي تكاد تكون وحياً مجزأ ، لنصاعة الفاظه ، وشرف دياجته ، وهو معانيه ، على أننا لم نجرب صاحب «سر الليال» في مثل ذلك حتى نحكم عليه بالعجز عن الاتيان بمثل هذه الالفاظ النائية التي رواها صاحب القاموس عن نفسه مدلبها على غيره لحضور ربه وهو استظهاره للغة . كما ان الفير وزابادي لم يعرف الا بقاموسه ، وكما عرف صاحب «الجاموس» بغير كتاب . نعم قد اعترف صاحب «الساق على الساق» في بعض كتبه بفضل الحمد عليه بما أفاده من كتابه . الا أنه قد فاقه علماً وتحقيقاً بما حصله مما لم يبلغ الحمد علمه . وكما فات الاول ، ما لم يفت الآخر . وهو أول من طرق أبواب معجمات اللغة العربية من المتأخرين واستأثروا منها وجردت نفسه لندوها و مناقشة أصحابها الحساب على ما هو واقعه من

(١) روى صاحب القاموس عن نفسه قال : كنت ببلاد الروم فقلت عن معنى قول الامام على كرم الله وجهه لكتابه «أصق روائك بالحبوب ، وغذا ليرز بشارك» ، واجل هندورتيك الى قميل ، حتى لا أني نية الا وعيتها في حاطه جيللاك» فأجبت على الفور بقولي «الرق فضررت بالصلة ، وغذا المسطر بأباغسك ، واجل ججتك اليأباني» ، حتى لا أنيس نية الا وعيتها في لظة وراطك» قلت وترب ذلك : افسد أيها الكاتب متمكنا ، وغذا القلم بأناطك ، واصغ لما سأليه عليك ، وعه في سويداه فؤادك ، حتى لا يهلك منه حرف

(٢) في يوم من ايام الخوارج حدث رجل من موالي المهلب قال : لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة ، رميت به رجلاً فأصبت أصل أذنه فصرعت ، ثم أخذت الحجر ففرت به آخر على هامته فصرعت ، ثم صرعت به ثالثاً . وقال رجل من الجواح  
أنا بأحجارٍ لقتلنا بها • وهل تهل الاطال ويحك بالحجر

كلماتها، ومواقع لهم من الاغلاط في معانيها ومشتقات ألفاظها، بما لم يهد في سواه من الانصاف والحرية وبعد النظر، حتى كان ذلك سببا لقيام أنصار التقدم عليه، وانشاء الصحف لدافعتيه، وتصنيف الكتب لتجريحه. وأما الكتابة فله فيها آيات التجديد، ومعجزات الابتكار، وكان اميالا فيها الى السهولة وسلامة التعبير، منطبعا على الرقة في الفاظه، والدقة في معانيه، والبصر بمواقع الكلم، صعب مراس المناظرة، اذا عن له أمر أحاط باطرافه تبيانا واقصا حاجتي لا يكاد يرى له فيه ثلم أو يلج له ثغر يتغذ اليه منه. وأما شعره فليس فيه ما في ثمره من جمال الألفاظ، وحسن الاختراع، غير أنه كان اذا رام قصدا تناوله غشا وسعينا، يسرك هزله، ولا يروءك جده. فهو في جبهة الطبقة الاولى من كتاب وقته، وفي صدر الثانية من شعراء عصره

## مؤلفاته

الواسطة في أحوال مالطه — كتاب وصف فيه هذه الجزيرة وصفًا شاملاً يتأدر شيئاً فيها إلا احصاء. وأبان فيه عن أن أصل لغة أهلها العربية شبيبت بلهجات الفاتحين ولحون الطارئين

كشف المخبا عن فنون أوربا — فصل فيه سياحته في بلاد الانجليز ومروره بكثير من القرى والبلدان الأوروبية، فوصف عادات الانكليز وآدابهم وأخلاقهم واسرار تقدمهم وتاريخ تمدنهم بأسلوب عذب، ومنهج سهل. وهو وساقه مطبوعان معا ومتداولان

الساق على الساق في ماهو الفارياق \* — كتاب من أجل الكتب وأمتها، جمع بشر اللهو إلى عبوس الجد . وضعه في طائفة أمر دو مستهل نشاته ، فوصف فيه أحواله الخاصة بمركانه وسكناته ، وما عاينه في عراقه أيامه ، وزياد لياليه ، سبكه في قالب المقامات ، أو على شكل الروايات ، غير أن أكثره مرسل ، صاغه بلباقة فأدقه وأجمله ، وأغرب فيه وأطرب ، وذهب في ابتداءه كل مذهب ، لم يتبع فيه سابقا ، ولن يبلغ شأوه فيه لاحق . طبع في باريس سنة ١٨٥٥ وهو الآن في حكم المعلوم

سر الليالي في القلب والابدال — كتاب لغوى جليل بدل اسمه على موضوعه ، لم يطبع منه غير جزئه الاول وهو معروف متداول

الجاموس على القاموس — كتاب مجمع حافل بالفوائد اللغوية وضعه لاستدراك ما فات الجند في قاموسه ورد ما وهم فيه من الالفاظ الى أصولها . وهو مطبوع متداول منتهى المعجب في خصائص لغة العرب — كتاب كان قد وضعه في أسرار اللغة وخصائص الحروف ومدلولاتها لم يسبق اليه . ذهب فرسة النار التي أصابت به نزله بالاستئانة ، لو سلم منها وطبع لجاه بنفع عظيم . نرى نموذجاً كافياً منه في أوائل كتاب الساق على الساق أو في الجزء الاول من كثر الرغائب

الجواب — هي الجر يدق العربية التي سار ذكرها مسير الشمس . صدرت بالاستئانة العلية منذ خمس وخمسين سنة . لولا ارادة الخديو اسماعيل وأيديه ما كان لها في عالم الصحافة هذا الارتاحم ودوما كان منشئها الاحلى دار الطباعة ومقدمة ديوان الترجمة في الاستئانة . فقد كان يدفع لصاحبها سنوي لمن ماله الخاص فضلا عما كانت تدفعه الحكومة المصرية من الاشتراكات مبلغا قدره ٥٠٠ من الجنيهات كما كان يدفع مثل

(\*) الفارياق لقب منحوت من اسمه « فارس الشدياق » أخذ من فارس « فار » ومن الشدياق « ياق »

ذلك السلطان عبدالعزیز، وباى تونس، على انها كانت تصدر أسبوعياً، بلغت من الثمة وبعد الشهرة وعظيم الاعتبار بحيث كانت عمدة أرباب الصحف الاوربية في الكلام على سياسة الشرق وأحوال العالم الاسلامى. وحتى كانت تتجنى على الباب العالى ولا تحفل بآرائه أحياناً، وهى الجريدة الوحيدة التى جازت بالدفاع عن الحد بواسماعيل فى دار الخلافه حينما خلع سنة ١٨٧٩ ورثته يوم وفاته ولم تخش سطوة الحكومة العثمانية. ويقال ان السفارة الانكليزية بالاستانة دفعت الى منشئها ألف جنيه انكليزى نظير اذاعة المنشور الذى اصدره الباب العالى باعلان عصيان عرابى باشا سنة ١٨٨٢ وان ذلك كان سبب العشل عرابى وسقوطه. أفرغ قارسها ما فى كنانته من جهد فى تحريرها بهارة سهلة لم تكن معهوده فى أقلام كتاب الصحف فى تلك الايام. وجعل للأدب العربية بين أنهارها مكاناً فسيحاً، وهى داناوسيماء طالما فتح عليه أبواب المناقشات من أدباء ذلك العصر. وما زالت تصدر الى ان عطلت سنة ١٨٨٤ وقد قام ولده سليم باختيار موضوعاتها فى كتاب دماه «كنز الرغائب» واقهر فى سبعة أجزاء وهو مشهور ومتداول

وله سوى ذلك مؤلفات كثيرة مدرسية وغيرها منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع. أما ما رأته مطبوعاً منها فهو: غنية الطالب. الباكورة الشهيرة فى نحو اللغة الانكليزية. السند الراوى فى الصرف القرناوى. اللقيف فى كل معنى طريف. النفائس. وأما غير المطبوع فهو: المرآة فى عكس التوراة. كان أوصى أن لا يطبع الا بعد وفاته ويقال انه كان واقفاً فى أجزاء كثيرة. ديوان شعره. باقى أجزاء أسرار الليال. كتاب فى تراجم الرجال واذا ذكرت هذه الآثار الجليلة فلا بد من ذكر مطبعة الجوائب التى عم فيها ما أحيت من دارس الكتب العربية وما نشرته بالطبع من مكنوناتها بين أبناء الضاد حتى ملأت المكتاب بعدان كانت بيضة المنال

# آثار إسلامية

## نخب من نثره

### وصف مصر

قد وصف مصر كثير من المؤرخين المتقدمين ، ومدحها جم غفير من الشعراء  
 الغابرين ، وهأنذا اليوم واصفها ومدحها بما لم يسبقني إليه أحد من العالمين ، فأقول : انها  
 مصر في الامصار ، أو مدينة من المدن ، أو مدرقة من المدر ، أو كورة من الكور ، أو  
 قصبية من القصب ، أو بحر من البحر ، أو ماهة من الماهات ، أو قرية من القرى ،  
 أو قارية من القوارى ، أو طاصة من العواصم ، أو صقع من الاصفاع ، أو دار من الديار ،  
 أو بلدة من البلاد ، أو بلد من البلاد ، أو قطر من الاقطار ، أو شئ من الاشياء . غير  
 ان أهلها يقولون انها مصر الامصار ، ومدينة المدن ، وعاصمة العواصم ، وشئ الاشياء  
 الى آخره . وما أدري فرق ذلك ، وكيف كان فانها مدينة غاصة بالذات السائنة ،  
 متدفقة بالشهوات السابغة ، توافق المحرورين من الرجال خلافا لما قاله عبد اللطيف  
 البغدادي . . . . فتزى فيها النساء ما كالا قط باليمن على الجوع ، والرجال  
 كالشعب بالشيرج على الشبع . ومن خواصها ان أسواقها لا تنشب رجلا البتة ، فان  
 لأهلها العاطفة وظرافة ، وأدبا وكياسة ، وشمائل مرضية ، وأخلاقا زكية ، وأسواقها



عارية عن ذلك رأساً . . . . ومنها ان العالم علم ، والاديب أديب ، والقفيه قفيه ،  
والشاعر شاعر ، والقاسق قاسق ، والفاجر فاجر ، . . . ومن ذلك ان البنات اللاتي  
يُستخدمن في الميرى لحمل الاجر والجبس والتراب والطين والحجر والخشب وغير  
ذلك ، يحملنه على رؤسهن وهن فرحات ، جامحات ، ساجحات ، صادحات ،  
مادحات ، مارحات ، غير آحات ، ولا نرحات ، ولاد الحات ، ولا رازحات ،  
ولا كالحات ، ولا نائحات . ومن كان نصيبها من الاجر نظمت عليه موالا آجربا ،  
أو من الجبس غنت له أغنية جبسية ، كأنها من سائرات في زفاف عروس . . .

ومن ذلك أن البرنيطة فيها تنمي وتظم ، وتفظ وتضخم ، وتنسع وتطول ،  
وتعرض وتعمق ، فإذا رأيتها على رأس لابسها حسبها شونة « قال الفاريق » وكثيراً  
ما كنت أنسج من ذلك وأقول : كيف صبح في الامكان وبدا للعيان ان مثل هذه  
الرؤس الدمية ، الضئيلة الذميمة ، الخسيسة اللثيمة ، الميئنة المايمة ، المستكرمة  
المشثومة ، المستقدرة المهوَّعة ، المستبجة المستفظة ، المستهجة المستشمة ،  
المستزلة المستبحة ، قل هذه البرانيط المكرمة ، وكيف أعماها هو امصر وكبرها  
الى هذا المقدار ، وقد طالما كانت في بلادها لاتساوى قارورة القراش ، ولا توازن  
ناقورة القراش ، وكيف كانت هناك كالترب ، فأصبحت هنا كالثير . ياهو امصر ،  
يانارها ، ياماءها ، ياترابها . صيرى طربوشى هذا برنيطة ، وان يكن أحسن منها عند الله  
والناس وأفضل ، وأجل وأمثل ، وللعين أبهى وأكل ، وعلى الرأس أطبق ، وبالجمس  
أليق ، وغير ذلك قررون تتلق لتتلق ، ويزرق عليها لترزق . « قال » فلم يبن عني  
النداء شيئاً ، وبقي رأسي مطر يثأ ، وطرف دهرى مطر فثأ . . . .

ومن ذلك ان لضابط البلد شقة زائدة على أهلها تقرب من حد النظم . وذلك أنه  
بأمر جميع السالكين في طرقه اليلا ان يخذو لهم فوانيس وان كانت الليلة مقمرة ،

خيفة أن يثر واثق في أسواق المدينة فيسقطوا في هوة أو يجب فتتكسر أرجلهم ، أو تندق أعناقهم ، ومن وجد ليلاطوف من غير ذوى البرايطة وليس بيده قانوس ، غلّت وجهه إلى يده ، ويده إلى عنقه ، وعنقه إلى حبل ، والحبل إلى وند ، والوند إلى حائط ، والحائط إلى ناكر ونكير وتعليه سمير.

ومن ذلك أن لستى حنّافيا أسلوبا في الكتابة لا يعرفه أحد إلا هم ، ولهم حروف كهر وفنائه لا أنها لا تقرأ إلا إذا أدخلها الإنسان في عينه ، كذلك رأيتهم يفعلون . ومنها أنه إذا مات منهم أحد فلا يزال أهل الميت يتدبونه وينوحون عليه حتى يؤوب إليهم ووطبه ملائ من الطير<sup>(١)</sup>

ومن خصائصها أيضا أن الباث بها يستنسر ، والذباب مستصقر ، والناقة تستنهر والجحش يسخر ، والهر يستنمر ، بشرط أن تكون هذه الحيوانات مجلوبة إليها من بلاد بعيدة .

ومن ذلك أن كثير من أهلها يرون أن كثرة الأفكار في الرأس ، يكثر عنها المهوم والا كدهار أو بالعكس ، وأن العقل الطويل يتناول البعيد من الأمور ، كما أن الرجل الطويل يتناول البعيد من الثمر وغيره ، وأن تلك السكوة سبب في الاقلال ، وهذا الطول وجب قصر الآجال ، وأوردوا على ذلك براهين سديدة . قالوا : إن العقل في الرأس كالنور في الفتيلة ، فإدام النور موقدا فلا بد وأن تنفذ الفتيلة ، ولا يمكن إبقاؤها إلا بإطفاء النور . أو كالماء في الوادي ، فإذا دام الماء جاريا فلا بد وأن يتغضب أو ينصب في البحر حتى يمتلئ . أو كالقوس في الكيس ، فإدام القوس أى صاحب القوس يمد يده إلى كيسه ويتفق منه في ما عنده ، إلا أن تربط يده عن الكيس أو تربط الكيس عن يده . أو كالنيس التازي ، فإنه إذا دام نزوه ترفت

(١) الطريق هو سلك مفار يملح ولله المروف فتعهم « باللوحة »

مادة حياته فملك فلا بد من نجفة <sup>(١)</sup> . فنم اصطلاحاً على طريقة لتوقيف جريان العقل في ميدان الدماغ حينئذ من الاحيان ليتوفر لهم في غيره ، وذلك بشرب شئ من الحشيش أو بخصه أو بالنظر اليه أو بذكر اسمه ، فحين يتعاطونه تغيب عنهم المعلوم ويحضر السرور ، وتولى الاحزان ، ويرقص المكان ، فنرى على هذه الحالة ولو لم يكتب في زمرتهم ، ويدخل في دائرتهم وان يكن قاضي التفتاة



قد كنت أظن أني اذا تركت القمار باقياً وأخذت في وصف مصر أستريح فإذا هي أو إياها ، فينبني لي الآن أن أهكث في ظل هذا الفصل الوجه قليلاً ، فخص عنى غبار التنب ثم أقوم ان شاء الله تعالى



قد كنت حامداً لله شاكراً . فأبن القلم والدواة حتى أصف هذه المدينة السميدة الجديرة بالمدح من كل من رآها ، لأنها بلد الخير ، ومعدن الفضل والمكرم ، أهلها ذوو لطف وأدب ، واحسان الى التريب ، وفي كلامهم من الرقة ما يفتي الحزين عن التطريب ، اذا حيوك فقد أحيوك ، واذا سلموا عليك فقد سلموك ، وان زاروك زاروك شوقاً الى رؤيتهم ، وان زرتهم فسحوا لك صدورهم فضلاً عن مجالسهم ، أما علماءؤها فان مدحهم قد اشترى في الآفاق ، وقاتلهم من سواهم وفاق بهم من لين الجانب ورقة الطبع ، وخفض الجناح وبشاشة الوجه ، ما لا يمكن المبالغة في اطرائه . ولكل نوع من الناس عندهم اكرام يليق به ، سواء كان من النصاري أو من غيرهم ، ووربما خاطبهم بقولهم «ياسيدي» ولا يستنكفون من زيارتهم ومجالستهم ومعاشرتهم خلافاً لعادة المسلمين في الديار الشامية ، وبذلك لهم الفضل على غيرهم . وكأن هذه المزية

وهي حسن الخلق، ورقة الطبع، أمر مركز في جميع أهل مصر، فان لماتهم أيضاً مخالفة وعجالة، وكلهم فصيح اللهجة، بين الكلام، سريع الجواب، حلو المعاكهة والمطارحة، وأكثرهم يميل إلى هذا النوع الذي يسمونه «الانقاط» وكأنه الجارزة، وهي مفاكهة تشبه السباب، وهو أشبه بالاحاجي، فان من لم يكن قد تدرب فيه لا يمكنه أن يفهم منه شيئاً وان يكن شاعراً. وكلهم يحب السماع واللهو والحلاعة، وغناؤهم أشجى ما يكون، فلا يمكن لمن ألسه أن يطرب بغيره، وكذلك آلائهم قانتها تكاد تنطق عن المازف بها، وأعظمها عندهم هو العود وقل اعتناؤهم بالنأي، ولهم في ضرب العود طرق وفنون تكاد تكون من المنغيات، غير أني أذم من غنائهم شيئاً واحداً، وهو تكرير لفظة واحدة من بيت أو موال مرارا متعددة حتى يغدا السامع لضعف المعنى الكلام، ولكن أكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن، وبكس ذلك طريقة أهل تونس فان غنائهم أشبه بالترتيل، وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب في الاندلس

ومما ينبغي أن يذكر هنا: ان النصارى المولودين في بلاد الاسلام الناهجين منهج المسلمين في المادات والاخلاق، هم أبداً دونهم في الفصاحة والادب والجمال والكياسة والظرافة والنظافة، الا أنهم أنشط منهم على السفر والتجارة والصنائع، وأكثر اقديا وجداً على تباطي الاعمال الشاقة، وذلك ان المسلمين أهل قناعة وزهد، وفي النصارى شره عظيم إلى اتخاذ الديار الرحبية، وقنية الخيل النجيبة، والجواهر النفيسة، والمتاع الفاخر، فاذ دخلت دار نصراني من المتمولين بمصر رأيت عنده عدة خوادم وخادمين ونحو عشرين قصبة للتبغ من أغلى ما يكون، وقدر نصفهم من الاراكيل الثمينه، وثلاث غرفات مفروشات بأحسن ما يكون من القماش، وآنية فضة للطعام والشراب والراحة، واسرة عالية وطيفة، وثياب فاخرة وغير ذلك، ومع هذا

فلا نجد عنده كتاباً . ولوان مشترياً شاء أن يشتري شيئاً من تاجر مسلم لوجد سعره أرخص من بضاعة النصراني . مع الثمن ، ولكن وجود هذا الشراء قائماً هو في الغالب عند النصراني الغرباء ، فأما القبط قاتهم أشبه بالمسلمين ، وقل من تعاملوا معهم . أما دولة مصر اذذاك فانها كانت في الذروة العليا من الازدهار والعز والتميز والكرم والجد ، فكان للناس من يخدمونها من عظماء من المال والكسب والسخرة مما لم يهد في دولة غيرها ، وكان واليها يولي المراتب العالية وسماوات الشرف السنية لكل من المسلمين والنصارى معاً اليهود ، خلافاً لدولة تونس فان شرفها عام للجميع ، ومع عظم ما كان يكسبه التجار وأصحاب الحرف وما يناله أهل الوظائف من الرزق العظيم فكانت الاسعار بمصر رخيصة جداً ، فلذا كنت ترى الناس قصر بهم وعيهم مقبلين على الشغل واللهو معاً ، قابساتين غاصّة بأهل الخلاعة والقصوف ، ومحال القهوة بمجمع للاحباب ، والاعراس مسموع فيها الغناء وآلات الطرب من كل طرف ، والرجال يخطرون بالحز والدجاج ، والنساء ينزفون بما عليهن من الحلى ، والخيول والبغال والحمر ممرجة ومكسوة بالحرير المزركش . . .

### التمدن

لا ينبغي ان نقول التمدن مأخوذة من المدينة ، والمدينة مشتقة من مدن بمعنى أقام على القول الاصح ، وان كان صاحب القاموس قد اضطرب فيها فجعلها من مدن ورمز من مدن ، وكيف كان فان مرادف التمدن في اللغات الافرنجية من معنى المدينة وهو عديم في الاظهر عبارة عن استجماع كل ما يلزم لاهل المدينة من اللوازم البدنية والمعملية فتوهم مثلاً هذا رجل مقدر ينزل منزلة قولنا متأدب كيس خبير وما أشبه ذلك ، ومع بلوغ

هذه اللفظة عندهم الى أقصى مدى الشهرة وجريها على الالسنه والاقلام ، لم يزل عليها ظلام الالتباس والابهام ، فان كل صاحب صنعة يظن ان وجود صنعيته بخصوصها هو المراد من التمدن ، فاذا كان أحد المصورين مثلاً يذهب الى بلاد ولا يجد فيها من أهل حرفته ، يحكم بأن تلك البلاد غير متدنة ، وكذا المفتي والرقاص ونحوهما . وضد التمدن عندهم هو الحالة الممجية ، وهي الخالية عن الترتيب والنظام ، فالحالة الاولى عندهم هي التي انصف بها أهل أوربا جميعاً ، والحالة الثانية هي التي يوجدون بها على غيرهم ، الا اني أنعجب كيف يكون اجبار الناس مثلاً على نوع معلوم من اللباس أو الاكل من التمدن ؟ وكيف يكون منه أيضاً قهرهم على أن يفعلوا ما لا تطاوعهم نيتهم عليه ، ففسد بك من غرائب هذه الجوانب ما كلف به المسلمون واليهود في الجزائر وما أجبر عليه أهل وارسو من اللباس ، فالأمر الاول ينكره كل من الفرنسيين والانكليز ويحكمون بأنه خارج عن التمدن ، والأمر الثاني ينكره الانكليز ويحملونه من قبيل الشطط المخالف للتمدن . وفي الجملة قلنا نرى في وجه هذا القرن الذي نزين بكثير من العلوم والاختراعات ما يشف عن الحالة الخلقية أعني الممجية في تلك البلاد المتدنة ولا سيما ما يحدث فيها من القتل والاغتيل والسلب والاختطاف والعن والتغاوى . وأعجب من ذلك خلو هذه البلاد بحمدہ تعالى عن مثل هذه المايب والمنكرات مع كونها محلاة عن مورد التمدن في زعمهم ، قاناً أن يقال ان التمدن صار سبباً لهذه الشرور والتمدى ، وأن هذه الشرور مغايرة للتمدن ، فمن القول الاول الذي يطبقونه علينا أعني عدم التمدن ، ينتج انا خالون عن الشرور ، ومن القول الثاني ، ينتج ان امتصفون بالتمدن ، ومع ان علينا رقباء يترى بصون بنا سوء احق مشيعه عنا ، ومع كون هذه المدينة الحروسه قد جمعت فأوعت من جميع أجيال الارض فليس يشيع عنا شيء يوجب اللوم ، على انه حدث من سوء التدبير أو التضر بط في الامور ، ولا أدري كيف صح لكتاب جرنال الاخبار مع كونه جرنالاً للدولة في

الجزائر أن يشيع ما أشاعه من اكراه اليهود على السجود مع ان ذلك مغاير للمحامد التي نحرص عليها الدولة ، فاذا كان مثل هذا الامر يحدث في أيام دولة الامم براطور فإظناك بغيرها

## الهواء

قال بعض العلماء : لا يخفى ان للشمس والهواء تأثيرا في كل المخلوقات من الانسان الى الفقع ، قال : وزعم العلامة فونتانل ان سكان البلاد الزائدة الحر والبر لا يكونون أهلا للعلوم ، فان العلوم الى هذا الان لم تتمد مصر وموريتانيا من البلاد الحارة ، وبلاد السويد من الاقاليم الباردة واملهاها في جبل الاطلس « في أفريقية » وفي بحر البلطيق ليس عن مجرد عرض واتفاق ، ولا ندري ان كانت هذه الجهات ليست حدودها أو انه يصح لنا أن نتجس انه ينبغي مؤلفون ماهرون من أهل لسلاندا أو من بلاد السودان . وقال المؤلف شردان فيما وصف به بلاد القرس : ان حرارة القطر توهن كلا من البدن والعقل وتخذلنا الخيلة التي لا بد منها في اختراع المعاني ، فأهل هذه البلاد لا يمكن لهم المتداومة على الدرس والاجتهاد في المطالعة مما هو لازم لتأليف الكتب العظيمة أو لانشاء الصناعات الجليلة . قال : فكان هذا القائل لم يفكر في ان الشيخ سمدى ولقمان كانا من القرس ، أو ان ارشميدس كان من صقلية حيث الحر يزيد على حر بلاد القرس بثلاثة ارباع ، وقد نسي أيضا ان فيثاغورس هو الذي علم البراهمة علم المساحة وقال بودان : ان تأثير الهواء أصل لكل من الدولة والديانة وكذا قال ديدوروس الصقلي من قبله . ولكن لنا ان نسال هؤلاء الذين يظنون ان تأثير الهواء هو أصل كل شيء ، ما بال القيصر يوليانوس كان يقول انما يسجني من أهل باريس رزاة اخلاقهم وشدة طباعهم ؟ والحال انهم مع عدم تغير هوائهم بشئ صاروا كالأطفال اللاعين في كون

الدولة ترزأ منهم وتضحك اليهم في وقت واحد، فيطعنونهم أيضاً بسدها يصحكون  
و يغنون متهمين على ساداتهم، ثم ما بال المصريين الذين قيل فيهم أنهم أشد رذالة  
من الباريسيين صاروا الآن إلى ما تراه فيهم من التواني والاحجام بسدان تطلبوا على  
الدنيا تحت ملكهم سينستريس على ما في التواريخ؛ ولاي سبب لانتجيد الآن في  
أئتنا مثل ارسطو واما كرينوس وغيرهما؟ وكيف طرأ على رومية بدل فلاسفتها نحو  
شيشرو وكاتولو ولاوى، ان صار أهلها يخافون من أن يفضحوا عما في خواطرهم،  
وصارت سمادتهم اغامى التحديق في زفاف الصور، وفي رخص سمر الزيت؛ وبمكس  
هذه الحال من الترقى إلى التبدل حال الانكليز فان شيشرو والمشار إليه كان يهكم عليهم  
وكثيرا ما كان يسأل أخاه كو بنستوس عن وجود فلاسفة بينهم، اذ كان يظن ذلك محالاً،  
فلم يكن يخطر بباله انه ينبغي من هذه البلاد مهندسون يفوت كلامهم فهمه امع ان هواهم  
يحل عن حاله، وجولندرة الان أدكن عما كان سابقاً لانهم ان للهواء تأثيراً إلا ان تأثير  
للحكومة أشد، وأكثر من ذلك تأثير الحكومة والديانة معا، وكل شيء يتمير مع تمدى  
الزمان، فلعل أهل أمير يكاياتون حينئذ من الاحيان إلى أوربا ليملموا الافرنج العلوم  
والصنائع .

### مقامة في سعادة المرء وشقائه

حدثنا المارسان بن همام قال: أرقت في ليلة خافية الكوكب، بادية المهيدب،  
طويلة الذنب، ملاهى من الكرب، إلى الكرب، فجعلت أمام على ظهري  
مرة، وعلى جنبي أخرى، وأتصور شخصاً ناعساً أمامي يتناهب وآخر يغتر  
نخراً، وآخر يهوى سكرًا، فان التصور فيما قالوا يبعث على فعل ما ترغب النفس  
فيه، وينشط إلى ما تنصبو اليه وتشتهي، ومع ذلك فما اكتسحت غمضا، ولا



فتح في ثناؤب طولاً ولا عرضاً . وكان يحيل لي أن أهل الأرض كلهم رقدوا وأوحى  
 من بينهم أرق ، وأن جميع جيرانى في سكون وأنادونهم قلق ، فقامت إلى الشراب فسوت  
 منه حسوة ، فلم تكن الاغوة ، كما كانت هفوة ، فأنفتت في أسوأ حال ، وشر بلبال ،  
 والهموم قد انتالت على من كل جانب ، والاهكار متطيرة على كل مقارب ومجانب ،  
 فكان يخطر ببالي كل ممكن ومحال ، ويعاودنى ما كنت فكرت فيه من الاحوال ، مرة  
 منذ احوال ، فلما علمت ان النوم قد ندغنى وان نذاومت ، وانه لا بد من رقب العجرا ان  
 أذعنت أو قاومت ، مددت يدي الى كتاب أطالع فيه ، وقلت ان لم يُمننى فينبهى  
 ببعض معانيه . فتناءلت أقرب ما وصلت اليه يدي ، وأنا غير مؤثر أحد الكتب على غيره  
 في خلدي ، واذا به كتاب موازنة الحالتين ، وموازنة الآلتين ، للشيخ الامام العالم ،  
 الفاضل الكامل ، أبي رشد هبة بن حزم ، المشهور بالبلاغ في النثر والنظم ، وهو كتاب  
 لم يسبقه اليه أحد من المؤلفين ، ولم يجار فيه كاتب من المتجلين ، فقد وازن فيه بين حالتى مؤس  
 المرء ونعيمه ، وروحه وهمومه ، ومتاعه ومضاره ، وأحزانه ومساره ، منذ كونه طفلاً ،  
 الى ان يصير كهلاً ، ثم شيخاً قحلاً ، وقد جمل ذلك في جدولين متقابلين ، وأسلو بين  
 متفاضلين ، الا انه لما كان الشيخ قدس الله سره ، ورفع في أعلى عليين مقامه وقدره ، على  
 ما يظهر لى ذاعيشة راضية ، وسعادة وافية ، وهمة ماضية ، رجح طرف اللذات على غيرها  
 واستقل شر الحياة بالنسبة الى خيرها ، حتى أن زعم ان اللذة تكون عن الفعل والتصور معاً  
 بخلاف الالم فان اللم لا يقع منه موقفاً ، وانه كان اذا امتثل خوفاً أيداعها وتدابيره ،  
 مزته نشوة طرب مال بهاسريره ومركه ، وكلكه ومنكبه ، بيد انى ارتيت في كلامه في  
 هذا المحل ، وقلت سبحانه الله لا بد لكل مؤلف من هفوة وان جل ، وذلك انى لما  
 تصورت الشخص المتهم ، والتاعس والمثائب وأنامت نوم ، لم يفتنى التصور عن الفعل  
 قهراً ، ولا وجدت فيه لذة لا قليلاً ولا كثيراً ، على انى أذهب الى ما ذهب اليه بعض  
 المجانين ، من ان لذة النوم لا تكون قبله ولا معه ولا بعده للنايمين ، وهى عقدة للطبايعين ،

لا يمكنهم حلها بإسائهم وأفكارهم، ولا بأسائهم وأنظف أرواحهم، غير أن عبارة المصنف كانت من العلم والحكمة بحيث تغلب عقل الناقد الحبيب، وتربك في تحرى أحد القولين كل تحريير فلما أطلت النظر فيهما وعاد إلى كليلا، وأعملت حد النقد ورجع منغولاً، عزمت على أن استعجلي هذا الاشكال، من بعض ذوى الدراية والجدال، فقلت في نفسي: كما أن يدى نالت أدنى الاسفار، كذلك يكون مروحي عليه أدنى الجار، وكان يسكن بالقرب منى مطران بطرى مقدمه على حليته، ويعظمون فضله وأدبه على طول لحيته، فقصده ضحوة النهار، بادية الاستبشار، فرأته ذابكة تروق، وبزة تشوق، ففرضت عليه الجدولين، وقلت افتنى في هذه القضية، ولك الاجر من رب البرية، فنظر فيهما ثم حرك رأسه، وجعل يرمش ثم يشكونعاسه، وقال لي ما ترجمته: إذ لم يكن ممن تسهوا إلى السجع همته، ما لحنت مغزاهما، ولا دريت فخواهما، ولو كانا بمبارة ركيكة، كان ذلك على أسهل من الجلوس على هذه الاريكة، فقلت: قد أخرفه العلم والتقف، تقدمه في الصف، وتقص من عقله وفهمه، ما زاد في لحيته وكفه، فلا تستعلمن بعده أكثر الناس حقا وهوجا، وما ذلك إلا معلم الصبيان المهبأ، وكان في البلد من انصف بهذه الصفة، وهو مع ذلك ذو كبر وعجرفة، فقصدت محله، والتقيت عليه المسئلة، فاذابه قام يصفق يديه، ويرأى في بعينه، ويقول لقد سقطت على الحبيب، واعتديت برأى بصير، ان شئت ان تعرف أى القولين أرجح، وأصدق وأصح، فزن الجدولين دون جلد الكتاب في ميزان، فأرجح منهم ما فهموا الرجح ما اختلف في ذا اثنان، فحمت من عنده غضبان نادما، ولعنت الارق الذى كان السبب في أن أكون لملى الصبيان مكلاما بعد أن قرأت في غير كتاب، وسمعت من ذوى الالباب، انهم استخف خلق الله عسلا، وأكثروا جهلا، وأبدهم عن الفهم، وأسلمهم إلى الوهم، فسرت في ذلك اليوم، إلى قديم من همة القوم،

قد ذكر عظمته وكبره ، وجمع جته وزورها . قلت انفتى ليها الفاضل الا حقيق  
 أى القولين عندك أحق وأصدق ؟ فقال : أما جفتي مستغنياً وماتان تكونان  
 مستهديان ، بطريق مقتديا ، فأني أقول لك بعد التروى في هذا المذهب المستغنى ، أنا  
 ما نشر لفقها من أهل الكلام ، القائمين بحكم الاحكام ، وتبيين المشابه بين الامام ،  
 وان من دأبنا اظهار الحق ان نسب في التعليل ، وتكثر من قال وقيل ، اذ لا بد من انتشاء  
 عرف الصواب من الاسباب ، ومن الاهتداء الى بعض المذاهب ، بفرص المستحيل  
 وجعل المعدوم كالوجود الواجب ، فتعدى انه لا بد من عد الفاظ القولين ، واحصاء  
 حروف الجدولين ، فما كان منهما أكثر حرراً ، فهو أرجح وأحسن تأليفاً ، والله أعلم .  
 ففصلت من عند الفقيه ، كما فصلت من عند صاحبه السفيه ، وقلت انما اللوم على مستغنيه .  
 ثم قصدت شاعراً كنت أعهد به متلوق ويتشددى ، ويتقصص ويتجذح ، ويتجفجج ويتنبح .  
 وقلت له هاك ما نحرز عليه أجزاء ، يكسبك بين الناس غراء ، فأبى أنى الاثام بين أبداع ،  
 وبالخلق فاصدع . قال : أما أنا فألى من خلاق في الدنيا ولا نهيب ، غير المذبح والنسيب ،  
 ففي الاول غصتي ، وفي الثاني لذتي ، فاصبر على ريشا طالع دجواني كله ، وأصنفه جملة ،  
 فان وجدت المذبح فيه أكثر من النزل ، كان الخبير في الدنيا أقل . فالتفت به صاحبه الفقيه  
 والمعلم ، وقلت كم متكلم مكلم . ثم سرت الى كاتب الامير ، وكان مشهوداً له بالبحرى  
 والبحري ، فأنثيت عليه قبل السؤال مطراً ، وقلت لم يكن غيرك في دمججاء ، فقال ان  
 سعادتي في الكون هي ان أرضى عن أميري ورضى عني ، وشقاوتي هي ان أغضب منه  
 ويغضب مني ، وقد نسبت كل ماجرى على من الغضب والرضى ، لكثرة المشادة  
 والمقتضى ، فان صيرت على في المستأنف شهراً ، لا فيتدنى دفتري ما القام منه حلوا ومرأه  
 وقعا وضراً ، أود تلك الجواب فاقبل عذراً ، فصيرته رابع الثلاثة ، وقلت لأستشير  
 ذا حدادة ، فان أهل المراتب والمناصب قد ذهبت صدارتهم بالبابهم ، فلم يبق فيهم خير

لنأرجع إليهم، فبغت القاريق وهو مكب على النسخ، وفي طلعت مبادئ النسخ. قد رأيت عينية غارتين، ويديه ذابرتين، وعظم خديه نائتا، وجده كالظل زائتا، حتى ريت لحالته، وكدت أمسك عن الكلام أشفاقا من بطلته، لكنه لما رأى قام إلى، ثم أقبل على، وقال: هل من خدمة اقتضت سعي، أو نجوى أوجبت دعى؟ فقلت: قد أقدمنى كذا وكذا، فاكفى ذل السؤال كفى الأذى. فأخذ رقعة من تحت أسفالي، وكتب فيها في الحال

أيتنى مستغنيا في أمر \* بعلمه كل امرئ ذى حنجر  
الخير أن قابله بالشر \* في المركان قطرة من بحر  
ألأمرى الأجرب كيف تسرى \* عدواه في جميع أهل المصر؟  
وليس من ذى محبة ويسر \* عدوى لمن دانه طول العمر  
والطفل أن يُنكركم من ضر \* يلقى ويلقى عنده في قبر  
وعند إشعار وبنت ظفر \* ليس له من لذة وسر  
وكل عضو لقبول الكسر \* أقرب منه لقبول الخير  
وما فساد سرىما يزرى \* كالمين لن تصلحه في دهر  
ونى طفل لايه يفرى \* فواده وكل عظم يبرى  
وليس في مولده من بشر \* يد لحزن موته الأضر  
وما تكون لذة عن فكر \* إذا تحققت ولا عن ذكر  
وانما ذا هوس قد يحجرى \* في خاطر المنفل المنقر  
فهل تصور الشقاء يبرى \* ذا مرض أمرض منذ شهر؟  
وهل لمن يرد وقت القر \* دفء بذكر أوان الحر؟  
فليس دنيا لاهل الخير \* سوى بلاه دائم وخسر

يولد فيها العبد غير حر \* وهكذا يموت رغما قادر  
قال فلما أخذت الرقعة وتأملت فيها، وتحققت معانيها، علمت أن قوله هو الأسد،  
وأن قول غيره هذيان وقد قُلت له بورك في زمن جاذبلك، وهدى المستفيدين إلى  
رشدك وفضلك، وقبح لاهل الثراء، ان لم يحلوك ارفع الذرى. ثم انصرفت من عنده  
داعيا، ولما قاله واعيا

### بدیع الایجاز

انى كثير أما فكرت في فن البديع الذى هو من بمض الادلة على فضل اللغة العربية  
على سائر اللغات، فأحببت هذه المرة أن أنشئ مقالة برمتها من نوع التصريح، ومثاله في  
الكتاب العزيز «ان الينا اياهم» ثم ان علينا احسانهم» فها أنا أدعو جميع من على وجه  
الارض من الافرنج لما رضة هذه المقالة وهى: —

من الناس من تخلف فكره من فنون الاقتراح خواجه، وتلج صدره من شجون  
الاجترار لواعج، وترعجه المآرب الى أقصى المرامي، وترعجه المطالب الى أعصى  
الموامى، وتستغزه وتستغويه، وتستبزه وتستغويه، لكن يفتح لها صبره،  
ويشرح صدره، ويحجب منها بوارح النصص، ويرقب لها سواخ  
القرص، ويحين اضجاعها، ويخير مشروعاتها، ويسير موضوعها، فلا يفيها  
الاحذرا، ولا ياتيها الاظفرا، ويرى الانتظار أحسن معين على تحصيل الامل،  
والاصطبار أبن قرين لتسهيل العمل، ورب عجل أهب الاجل، ولا يخلووا بشار  
عن انهيار، ولا يخلو أوطار مع أخطار، ولا يملو متار في مغار، واذا دانت به، أو  
هانت فنيه، أو حانت أمنيته، لمن غادر التبصر، وبادر التهور، فطال طلبها، ونال أربابها،  
فانما يكون من قل النوارد، ولا يهون لكل مخاطر، فالليب الحازم من تاني قياتنى،  
والاديب العالم من لا يتعنى الامابه يتنى، اذ ليس الاستكثار مظنة للرعاة،

ولا الاستهانة بمئة للنباهة ، ومن يهصر في العواقب ، وتدبر في الثواب ، أين أن  
الرزق يُقدّر على مقدار لا يتعداه ، والرفق حصر في مضار لن يخطئه ، فلا وفور التردد  
يُكثّره ، ولا تدور التمهيد يحوّره ، ولا ملازمة الارق تمجّله ، ولا مداومة الشفق  
أؤجله ، ولا شيء من الأشياء يفقده ، ولا حي من الأحياء يوجد به غير أن الرزق  
محدود ، كما أن الحق موجود ، والخلق محدود ، إلا أنه من الراتب المتبين أدأؤه ،  
والواجب المتعين قضائؤه ، على من اتصف بالسداد ، واعتكف على الرشاد ، وكلف  
بالحلال ، وأقف من الحرام ، وعزف عن الجدال ، ووزف الى السلام ، وصان  
وجهه عن الاجتال ، وزان كنهه بالاعتال ، أن يكّد قاصداً ، ويحدّ راشداً ، كي  
لا يكون كلاً على غيره ، أو علماً لغيره ، فيتلّ لقاءؤه ، ويتلى هجاؤه ، وتشأنه جهته ، وتبدأ  
بهجته ، وتبدو بحاسنه مساوى ، وتقدم ميامنه مناوى ، وحينئذ فاجامع من أثره  
عليه وبالا ، وما شاع من وطرق أدبيه تبالا

ومنهم من اذا طلب بشية ، أو خطب منية ، أمرها عرضاً مباحاً ، وأصدرها  
عزاً متاحاً ، وأعد لها صدغاً لا تعمل فيه المعاول ، وأجد لها زناً لا ترسل عليه  
المقاول ، بين إقبال وإدبار ، وإبطال وإصرار ، فكرٌ وهمٌ ، وعزٌّ وغرٌّ ، وبربرٌ وثرثرٌ ،  
وخرخرٌ وقرقرٌ ، همزة لُهمزة ، بُزّة نُفزة ، لُزمة نُشبه ، حُطمة نُقبه ، مُلجٌ مُلحف ،  
يُججٌ يُجحف ، لا يصليكه به كلام ، ولا يحيك فيه ملام ، ولا تغمه المقامع ، ولا ترده  
الروابع ، ومامن جابه بحمله على الهية ، ولا من ناجه ينقله الى الخيبة ، فلا يزال يندو  
ويروح ، ويندو ويروح ، ويشدو وينوح ، حتى يتصر ما ربه ، ويتصر مطلبه ،  
فهذا في عصرنا يعرف بالحوّل الماهر ، ويوصف بالزّل الظافر ، بل الأول والأخر ،  
اذ المدة في حوز ما قام بالنفس ، والعهدة في فوز ما حام على الحسد ، كيفما كان من  
وسائل الاجتماع ، وهان من وسائل الانتفاع ، ذلك دأب أولى الجشع ، وطب ذوى

الطمع ، فلا يأتون من سؤال ، ولا يصدقون عن محال ، ولا يعرفون من محال ، وما لهم بالعواقب من مبالاة ، ولا في المناقب من مفالة ، سواء أجازوا عن الآم ، أو حاروا في النعم ، أو لبسوا الفضائع ، أو قسموا في القبايح ، حتى إذا هتأزم الأدام ، ومي أم المدام ، سخروا من نولهم بطرا ، وقرءوا عن خوفهم اشرا ، ونسبوا بذله الى الاضطرار ، وحسبوا فضله من الاعتزاز ، وهو كفران مبین ، وخسران مهين

ومنهم من يقر على الكسل ، ويفر من العمل ، ويقول ان الله جل سلطانه ، وهل احسانه ، خالق الاسباب ، ورازق النعاب ، فهو رزقي بغير حساب ، ويرمقي من ضير الذهاب والاياب ، اذا لزمت معاني فهو يفتني ، وان أقمت أمانى لا يُقنني ، فحدي أن أتبيل اليه داعيا ، وجدى أن أتكل عليه راجيا ، فلا أجري ولا أسمى ، ولا أسرى ولا أشقى . وان كان قد تغر عن أمثاله برسم من العلم ، وتغيز عن أشكاله بوسم من القهم ، راد في سرفه ، وزاد في صلفه ، فصا درهم مؤونته ، وناظرهم على مؤونته ، اعتادا على فضائله ، واستنادا الى شمائله ، وانه أكرم منهم وأفضل ، وأعلم وأمثل ، وأحلم وأكمل ، وهذه عنة أخرى ، ومهنة خسرى ، بل فتنه كبرى ، لا جرم ان الله هو الخلاق العالم ، والرازق الكريم ، وانه قدر كل سبب فاحسن تقديره ، ويسر كل طلب فاقن بتيسره ، وانه يلهم خلقه صنيع النعم ، ويفهم رفقه على جميع الالئم ، وان منهم الحاكم والمحكوم ، والمخادوم والمخدوم ، والقاصد والمقصود ، والمحمد والمحمود ، والمجادي والمستجدي ، والمهادي والمستهدي ، الا ان الاليق بن صفت سجيته ، ووقت مبروته ، وزكأصله ، وذكأنبله ، أن لا يكون وكلا عاجزا ، وفشلا عاشرا ، متناوماعن المعالي ، متفانما باليالي ، متوددا الى المناغم والمناغم ، مترددا في البارح والسائح ، أسير الوساوس ، جسير الهواجس ، أليف الظنون ، حليف الشجون ، قرين الاوهام ، خدين الاجلام ، فان ذلك من عوائق النجاح ، ومغاليق الفلاح ، وان ذا الاحسان من هذا وعى ، ان ليس للإنسان الا ماسي

## الذوق

الذوق في الكلام ، كالذوق في الطعام ، في أن كلامهما منشأ الالفة والمادة ، فن قلّة الذوق المعنوي أنه لم يوضع في لغة من اللغات لفظة خاصة به ويضده ، وإنما يذكر أهل المعاني والبيان شيئاً من أثمارها فيقولون مثلاً هذه استمارة حسنة ، وهذا تشبيه بدیع ، أو هذه استمارة مستهجنة ، وهذا تشبيه بعيد ، ولا يقولون أن ذلك من الذوق وعدمه ، مع أنه هو مدارك ذلك وليس لغيره مدخل فيه ، لأن الشاعر الذي يرتكب ما يخيل بالذوق ربما كان أعلم أهل زمانه باللغة وبكلام العرب ، فإتيانه والحالة هذه بما يروق النقاد ناشئ عن العلم والذوق ، وإتيانه بغير ذلك من عدم الذوق لا من الجهل .

فن عدم الذوق في شعر شعراء المصريين أحدهم يتبدى قصيدته مثلاً بالتشبيب في امرأة ثم يذكر أوقات الوصال ثم المهجر ثم عدوان الزمان ، وتقلب الأيام والأحوال ، وحرمان اليبس ، وفوز الجاهل ، ثم ينتقل إلى النزول بعد كرفيصف محاسنه وفضله على الشمس والقمر والنجوم ، ثم ينتقل إلى وصف الخمر ومجالس الانس والطرب ، واختلاس اللذات ، واغتنام فرص السرور ، ثم ينتقل إلى ذكر مفارقة الأحباب ، ونجس غصص النوى ، وذكر الطلول والر بوع والبرق والسحاب والصبا ، والتعلل بنفحاتها والرقب لأوقات الوصال ، وكل ذلك بكلام بليغ ، وتعبير فصيح ، من دون ضرورة ولا إخلال في شيء من قواعد اللغة العربية ، قال الشاعر الذي مارس هذا الأسلوب لا يرى فيه عيباً بل ربما عاب ما يخالفه من أساليب غيره ، وهكذا ترك أهل المعاني والبيان من يتعاطون الشعر يهجون في كل واد ، وإنما تشبوا في قد بعض ألفاظ وأمسكو بجلايب قائلها ، وذلك كنتقادهم لفظة « مستنزرات » في قول امرئ القيس « غداً رها مستنزرات إلى العلا » ولم يميوا عليه قوله « إذا ما بكى من خلقها »



مع انه من السهاجة بمكان . ومهما يكن من السهاجة في كلام امرئ القيس فان الذوق  
 سجية راسخة في العرب الاولين . انظر الى الشغرى الذى عاشر الذئب العليل  
 والارقط الدهلول والرفاء الجيئال ، فانك لا تجد في كلامه شيئا خارجا عن الذوق ،  
 وكذا الملقات وغيرها ، منع ان العرب كانوا خالين عن العلم وانما هم محض ملوك فيهم .  
 وانظر الى كتاب الافرنج الذين بلغوا في هذا المص من المعارف والتمدن ما بلغوا فلا تكاد  
 تجد أحدا منهم ذا ذوق . هذا « التيس » الذى هو عند الانكليز بمنزلة « نوابغ  
 الزخشرى » و « مقامات الحريرى » تراه يبتاهو بخوض في أمور سياسية دقيقة ،  
 ومقاصد دولية أنيقة ، اذا به يطبل بذكر القطن والأنوال والمامل ، ويزمر بذكر  
 الفحم والحجارف والمواقد والمناقل . وانظر الى كتاب الاخبار من القرنيس نجدهم  
 يسفون ، ويدقون ، ويسبون ، ويخولون ، فيأخذون في معنى مبتذل وكسونه  
 الالفاظ الضخمة الطويلة الخوشية ، قسمهم منهم جمعية ولا ترى طحنا ، فكل خمسة  
 أسطر من كلامهم يبنى عنها في العربية سطر واحد ، وما ذلك الا لان الانكليز أقوا  
 الكلام على القطن والفحم والمامل ، والقرنيس أقوا الاسفاف والاخلاء ، فلا  
 تقول ان ذلك صادر من جهلهم بل من عدم ذوقهم . ولو قال أحد بالربية مثلا : انى في  
 هذا الصباح الذى لاحت نباشيره ، وعم سروره ، وقاح عبيره ، وأشرقت شمسه  
 وشعل أنسه ، وغرد طائرهنائه ، وخفقت بنود صفائه ، وحق له ان يذكر في كل سفر  
 يسطر ، وكل مجلد تحرر ، شربت مسهلا ، ولزمت ببقى معزلا . أفيكون ذلك  
 كلاما ، وهل يفضى النظر عنه أحد ممن سلم ذوقه وصفا طبعه ؟ فيبنى ان تكون  
 الالفاظ ، مطابقة للمعاني ، فا كان من المعاني مبتذلا خسيسا فلا يليق به ان يكسب  
 الالفاظ الطنانة فانها تزيد هجته . وهؤلاء الافرنج مع تحجرهم في الفنون واتقانهم الصنائع لم  
 يظنوا الى هذه المناسبة ، فاعجب لقوم قيسون الارض والسما وليس لكلامهم من قياس

فان اجترأ أحد هاتين العرب أيضاً قد أتوا أسلوب الشر والانفعال باستحسنة  
غفيم وهو في نفس الامر مميب. فانه اذا مدحوا بطريقا قالوا انه يفتن أيكار المعاني بما اذا  
مدحوا أميرا ابتدأوا به كرحاسن امرأة أو غلام بالشوق اليه أو اليها ومثيل ذلك  
خير من ج عن الذوق اذ ليس من مناسية بين الأمير والمرأة. قلنا في الجواب أن قول بعض  
العرب يفتن أيكار المعاني ليس بطريقة عامة يستحسنها كل أديب ، فربما عده  
بعض أديباتنا حسنا ، وعده البعض الآخر خشينا ، وهذا هو الفرق بيننا وبين  
الافرنج فان الاخلاء والايمناف والتكرير والمعاظلة عند الفرنسيين والانكيز  
طريقة عامة يستحسنها كل واحد منهم فان لغتهم مبنية على هذا الاصل . أما اصطلاح  
العرب على الابتداء بالنسيب قبل المديح وان يكن طريقة عامة الآن له وجهها ، وذلك  
أن أعزى الاسباب الباعثة على الشعر إنما هو فراق الاحباب « لا يعلم الشوق إلا من  
يكابد هول الصباية الامن ما نها » ولما كان هذا الامر كثير الوقوع عند العرب لان ذاهم  
الرحيل والتبذل من مكان الى مكان شحذوا به كره أذهانهم في مطالع قصائدهم ثم خلطوه  
بوصف عاين المحبوب والتبذل به فن هذا الوجه ساغ وحسن . ولو فرضنا أن  
العرب كانت تسكن المدن ولا تهارقها لما كان لذكر الطول والاعطمان معنى ، نعم اذا  
بالغ الشاعر في وصف المرأة التي فارقتها كأن يقول إنه يقنى أن يكون بعير اغتمها أو أنه يشفق  
على البعير من قتل أردانها أو أنها تسقى الشرب جميعاً كؤوس ريقها عاد ذلك سمعا .  
لاجرم أن ذوق الانسان ليتغير بحسب ما يطرأ عليه من العوارض ويدور مع أحواله ،  
فلا أحداث والشبان مثلا يراحمون الى المبالاة والقلو والقشش ، والكهول والشيوخ  
ياحمون من ذلك ، فلا يستحسنون من الكلام الا ما كان خاليا من الشوائب . وعلى  
هذا نقول أنه لا يمكن وضع حدم معلوم للذوق إذ هو مبني على المادة والالة وهما مختلفان ،  
وانما يمكن التقرب منه كما يمكن التقرب من مرفة حسن العادات من قبيحها بسلامة  
الطبع ومقتله السجية

## مراتب الفضلاء

من الناس من تصدر في المجالس ويحدث كل مجالس ، وينافس كل مؤانس ، فيطرب المسامع ، بما يورده من الفقر التواضع ، ويسلي النفوس بما يسرده من الحكايات ، والنوادر والايات ، ويوصل الاخبار ويروي الاشعار ، ويصل قضية باخرى ، ويقول تلك حربة وهذه أخرى ، ويلفت ويستطرد ، ويقتل ويستشهد ، ويلمع الى وقائع وفنون ، وفيض في حديث ذي شجون ، حتى يقول أن صدره مستودع جميع الاخبار ، وفكره محور لكل الاسرار ، وأنه مورد المسائل ومصدرها ، وخبر الفضائل وغيرها ، وأنه فضاى المشكلات ، ومستغاض اليبات ، ويديع البيان ، وحسان القصاحة والتبيان ، وأن له مصنفات كثيرة اجدعها ، ومؤلفات وفيرة اخترعها ، حيث قالوا إن اللسان ترجمان الجنان ، والإخذه في فنون الكلام منبأة عن المرقان ، فيعظم في عينك قدره ، ويثبت لديك فضله ونجده ، وتهايه بما به التلميذ لا ستاذه ، وتوقره توقير البصيص لجاذبه ، فاذا أخطأ في شيء ، قلت ان الخطأ من فهمك لامنه ، وأنت محتاج الى الاخذ عنه . فاذا أخذ القلم وكتب أبان عن قصوري علمه ، وقطوري فهمه ، فمررت عنه تلك التريجة السبالة ، وخاتمة تلك الفكرة الوصالة ، فلم يجد لارتباط الكلام بابا ، فكانه لم يقرأ في العلم كتابا ، ولادري من فنون القول ايجاز أو لا اطنابا ، وكان لسانه الذي كان يحكم به انما كان مستعمرا ، وتلك القصاحة كانت اضطرارا لا اختيارا ، مع أن من العادة أن الاثر ادلتا لآلئف والانشاء ، يظهر فضل المرفق علمه أكثر من المجالس ويكون ادعى للإبقاء ، فان في الخلوة يصفوا الذهن من كدوا القيل والقال ، وينشرح الصدر من عنت

الارتجال ، فيسهل فيها إلقاء الالفاظ واضمها ، والتأليف بين المعاني فلا يختار منها الا بدائنها ، وإذا التبس شيء من الكلام ، فالكتب تكشف عنه اللطام ، فكيف تكون الخلوة باعثة على التخصير ، والإحام أدعى الى البيان في التعبير ، وإن كثيراً ممن يتفصحون ويتحدثون ، والناس بهم عذرون واليهم عذرون ، ليعتمدون حفظ بعض القصص والحكايات لمجرد سردها على السامعين ، ينه على ما لهم من البيان والتبيين ، والاطلاع على سير الاولين ، والاضطلاع من علوم المتقدمين ، فترى أحدهم ينتهز الفرصة ليث ما حفظه ووعاه ، ويراحم غيره في الكلام لظاهر دعواه ، فإذا كان في المجلس ثلاثة منهم أو أربعة ، سمعت لهم ضجيجاً ومعممة ، حتى كأنك في جيش لجب وبحر مضطرب

ومنهم من يحضر المجالس وهو صامت ، ويسمع ما يقال فيها وهو ناصت ، وإذا عن له أن يورد نادرة على سبيل المحاضرة ، تذكر أنها غير خافية على أحد من الحضور ، أو أنها ليست من القول المأثور ، فيضرب عن إيرادها ، وبقيس عليها غيرها من أندادها ، وهكذا ينفض المجلس وهو لم ينطق ببنت شفة ، ولا أظهر على السكون أسفه ، فيظن جلسه أنه ذوى ، وغيره من المكثرين كان اللوذعى ، فأن الناس يظنون غالباً أن القصار في الاكثار ، والتقصير في الاختصار ، فإذا حضر المجلس مرة أخرى ، لم يرفع له أحد قدراً ، واتخذوه كلا ، وقالوا إن سكوتهم إنما كان جهلاً ، وأن حضوره لما يقلى ، فإن من شهد غفلاً ولم يتكلم فيه ، كان كأنه يتطلب عذماً عليه وحصر مساو به ، ولكن متى خلا الصامت بنفسه ، وأجرى جواد قلمه على طرسه ، أراك من فنون الكلام عجياً ، واذنك من حلاوة البيان ضرباً ، وأنشاك من انشائه ، وسلب لك بأساليبه وانحائه ، فتود لو كنت له تلميذاً وخديماً ، أو سميراً وكلماً ، وقلت لا جرم أن من البيان لسحراً ، وإن من الصمت لسراً ، فليس كل من أورد النوادر كان عالماً ، ولا

كل من تمل بالآيات كان ناظما ، فإلمم الا ما استقر في البال ، لا ما قرقر في المقال ، وهذا الذي يفيد الطالبين ، ويؤدب المتأدبين ، وقلما اجتمع لامرء فصاحة اللسان وبراعة اليراع ، والناس في تفضيلها ليسوا على اجماع ، وعندى أن الثاني بالعلماء أليق ، والاول بالخطباء وذوى المراتب أليق ، فان هؤلاء محتاجون إلى إعجاب السامع ، بالقول الرائع ، وإن لم يتحروا في قولهم التحقيق ، مما لا بد منه للمأذى التنويق ، وفي كلتا الملسكتين مزية ، وفضيلة وقضية

فأما من خلاعهما ، ولم يحرزسهما منهما ، فمادة الناس أن يرموه بالملايب ، ويشنوا عليه الطالب ، وما يكادون يروونه جذبرا بشى عن الاحسان ، لانهم حصروا الفضل في فصاحة اللسان وبراعة الجنان ، وهو عندى في الجملة غير الصواب ، والقائل به إنما يقول مجازفة بدون حساب ، فان كثيرا ممن ليس لهم أحد هذين الشأين ، يحسنون مباشرة الامور والتقلب في الرياسة من دون شين ، فكمن أى ساس العباد ، وعمر البلاد ، وليس له في صناعات الكلام والتأليف يدان ، حتى كأنه لا تأمل له ولا لسان ، وانما هو نور يقدفه الله في قلبه فيرى به سلالم الامور وسقماها ، ومتسجها وعقيماها ، والحري منها بالاجراء ، والنافع منها عند الاستقراء ، فيشعر له عن ساعد المهمة ، ويوقه الله الى اصلاح أمر الامة ، وانما يكون هذا في أفراد الناس نادرا ، ولذلك قل ما ترى لهم منهم ذا كرا ، وأحسن للملكات وأجل الفرزات ما وقع الثبات<sup>(١)</sup> ، ودفع عنهم التزهات ، وألقهم على المودة والاخاء ، وأزال من بينهم العداوة والبغضاء والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(١) اثبات الناس أنشد الشاعر

يا فتيح الله بنى السمات \* عمرو بن بروج شرار الثبات \* ليسوا اعطاء ولا أكيات  
أراد أنهم من شرار الناس وأنهم غير أكياس

## الموسيقى

قبل الدخول في هذا الباب الحرج ينبغي ان استأذن أهل هذا الفن في التطفل على الكلام فيه وان كنت لا أعدمهم غير أنى عرفت منه ما يمكننى من معرفة المستقيم منه من غير المستقيم . فاعلم ان لفظة الموسيقى يونانية منسوبة الى موسى احدى الالهات التسع التى تنسب اليها الفنون الظرفية كالمروض والشعر والغناء والرسم والتصوير، ومرادها فى العربية «الطالحين» من اللحن وعرفه صاحب القاموس بأنه من الاصوات المصوغة للموضوع . وحقيقة معناه امالة الصوت على وجه الترجيع والتطريب وجميع مشتقات هذه المادة تدل على الميل ، ومنه اللحن فى الكلام وحاصله ميل عن جهة الصواب، وقد جاء هذا المعنى أيضاً من لَنتَ وعَصِدُوا أصلهما الذى ومن لَحَّ وأصله الميل فى الحفر ومن لَغَز وأصله الميل بالشئ عن جهته وكذلك اللحن الذى هو كالترىض والكنية، قال الشاعر

ولقد لُحنت لكم لكيما تفهموا \* واللحن يعرفه ذوو الالباب

فكان المراد به الميل عن جهة التصريح والابضاح، ثم قيل منه لُحنت القول ، أى فهمته، و مرادها أيضاً «الايقاع» وكان المراد به ايقاع الصوت على النغم ثم حذف المفعول قال بعض العلماء . ان فن الموسيقى فضيلة من المنطق أخرجها العقل بالصوت لما يمكن اخراجها بالقياس . فعلى تاويل المتعلق بالمعنى الاصطلاحى يكون المراد منه ان أركان هذا الفن ذهنية بناء على ان المتقدمين كانوا يتأطون به بالسمع، ويطبقونه بالذوق، فيرسم السامع ما يسمعه من الاصوات فى مخيلته وذاكرته، دون مشاهدة علامات ورسوم تدل عليه، وهكذا يأخذها التطبيق من معلمه ويطبقه بالرسم عن ظهر القلب والاتباع مع الماكاة التى ترسخ فى مخيلته تلك الترجيمات، ولهذا كان الممول عليه فى تحصيل هذا الفن ملكة الذوق، اما الافرنج فقد جعلوا الان ترجيع الصوت وإيقاعه دخلاً تحت حسن المشاهدة فدلوا عليه بنقوش ورسوم مملومة كما دلت الحروف على المعاني فلم يكن تحصيله متوقفاً

على ذاكرة وعظم معانة كما في السابق، وكذا يتساوى فيه الذكي والتقي، فن عرف منهم مخارج النغم ورأى تلك العلامات أمكن له أن يخرج عليها أى صوت كان، وإذا اجتمع منهم عشر وبن رجلا وكانت امامهم تلك النقوش رأيت منهم متابعة واحدة. ويرد على هذا التأويل أنه لو كانت الموسيقى فضيلة من المنطق لكانت واحدة الاستعمال كما أن المنطق واحد الضوابط والقواعد، على أن الناس متباينون في هذه الفضيلة مثل تباينهم في لغاتهم وعبارةهم فإن ألحان العرب لا تطرب غيرهم بل هؤلاء أيضاً يختفون فإن أهل مصر لا يطربون لألحان أهل الشام وغيرهم وألحان الأفرنج لا تطرب أحدا منهم وعلى تأويل المنطق بالمعنى اللغوي وهو المراد هنا فقد جاء في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة: النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على اخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لأعلى التقطيع فلما ظهر عشتته النفس وحن إلى القلب. والمراد بقوله على الترجيع لأعلى التقطيع هو أن يكون الصوت ممتداً يتحنى به ويمال لا متقطعاً كأصوات الهجاء. فإذا كان فن الموسيقى والحالة هذه فضيلة عن المنطق لزم أن نقول أن لكل جيل محاسن في غنائهم مقصورة عليهم فقط كما أن لكل لغة محاسن في عبارتها لا توجد في غيرها. والواقع بخلاف ذلك. فإن لغتي الهند والصين مثلاً تشغلان على كثير من المحسنات بما لا يوجد في غيرهما مع أن انماهم خالية عن ذلك أصلاً. أما ألحان الأفرنج فلا يطرب لها من الألحان القهاوي على أربعة أنواع. الأول وهو أحسنها ما يتفنن به في الملأى مثل الموشحات عند ناعم مد الصوت، وترجيته وخفضه، ورفعه، وترقيته، وتفضيحه، وترجيفه، وفيه تدخل نبرات تدل على الحماسة والضحى وبض والتعظيم. والثاني وهو قريب منه ما يرتل به في الكنائس ولا يكاد يكون به ترجيف. والثالث ما يتفنن به في البث والحزونات. وفي هذا النوع يستعملون غناء رقيقاً رخياً أشبه بالتجوى فن يسمعه يلحن ما المراد به وإن كان جاهلاً باللغة، كما إذا رأيت

شخصها بمجهشاً للبكاء فانك تعلم اجهاشه بالديهة وان لم تعرف سببه . والرابع ما يتغنى به في المضحكات والمحاورات وهذا يقل فيه التزجيع ويكثر فيه النبر وتطريه انما همون حيث انهم يوقعون عليه ألفاظاً غريبة ويصلونه بحركات مضحكة ومحاكيات مختلفة فيضحكون فيه ويقهقهون ويكونون يتأبسون ويطلبون ويحاكون به قيق الدجاجة وزقزقة العصفور وغير ذلك . وفي كل من هذه الانواع يستعملون المساجلة وهي مطربة جداً وأكثرها في النوع الاخير . وكان لهم غناء مضحكا كذلك لهم رقص مضحك ينسى التكليل حزنها . أما العرب فانهم يقولون ان الرصد يشجى والسيكاه يفرح والصباليات يحزنان وهم جرا والفرق بين الفريقين من عدة وجوه . أحدها ان الافرنج ليس لهم صوت مطلق للانشاد من دون تمسيد تلك النفوس، فاذا اقترحت على أحدهم مثلاً ان يغنى بيتين كما يفعل عندنا في القصائد والموااليات من دون نظر الى تلك العلامات لما جاء بشيء، وهو غريب بالنسبة الى براعتهم في هذا الفن، لان الانشاد على هذا النوع طبيعي . وقد كان عندهم من قبل تلك النفوس، فيا ليت شمري كيف كان غناءؤهم قبل ان ينبغ غيد ورائز والطلياني الذي رسم العلامات وهو حديث المهد ؟ الثاني انه اذا اجتمع منهم عشرة فغنى مثلاً وأرادوا اخراج موشح أخذ بعضهم في بعض أركانه من مقام، وبعض في بعض آخر من مقام آخر، وهكذا فاذا كانت الاغنية مثلاً من الرصد، غنى واحد جزءاً من هذا المقام بصوت جهير، وآخر جزءاً من النوى بصوت بين، وآخر جزءاً من الجواب بصوت عال، فيسمعه السامع من عدة مقامات، ويقال له عندهم «هرموني» ومعناه التالف أي ان الاصوات تتالف على الفئاض مقامات شتى . وفي هذه الطريقة فوائد ومخاسر . أما القوائد فلان السامع يسمع في وقت واحد نعمات مختلفة، باصوات مؤلفة، فهو كمن يسمع قصيدة واحدة من جميع بحور العروض على روى واحد . وأما المخاسر فلان المصمم لا يمكنه كل التحسين من ادراك جميع مخارج



الاصوات المتغابرة، وعندى ان هذه الطريقة على الالات أحسن منها على الاصوات .  
 الثالث ان غناء الافرنج هو مثل قراءتهم في انه يخلو عن حماسة وتبهيج فضلا عن التصبية  
 والتشويق والترقيص، وغناء الحامسة والتبهيج هو الذى به ذكر القتال، وأخذ النار، والذب  
 عن المرض، وحماية الحقيقة . فاذ اسمعه الجبان ولا سيما من الآلات العسكرية هانت  
 عليه روحه . أما غناء العرب فكله تشويق وتصبية وأجدر به ان يكون جامعا لمعنى  
 الطرب وهو خفة تصيب الانسان من فرح أو حزن : فاذ سمع أحد منا صوتا أو آلة  
 شغف قلبه الزمام فبدت صبا به وحننت نفسه كما يحن الالف الى إلهه حتى يصير  
 عنده آخر الفرح ترعا . ولا غرو ان يصعد منه الزفرات، ويحدر العبرات، فان  
 السرور اذا تقام أمره، وطما بجره، وتكامل بدره، دب فيه بحاق الشجن، واختلط به  
 الحزن، حتى يستغرق صاحبه في بحر من الوجد، ويشتمل بنار من الهيام، وعلى  
 ذلك جاء قولهم طربه وشجاءه من الاضداد . الرابع ان الافرنج لا قرار لاصواتهم الا على  
 الرصد، نعم ان جميع الانعام لها مقامات فى آلاتهم بل توجد أيضا انصافها وارباعها، الا  
 مقامين منها الاتهم لا يقرن الا على المقام الاول وقد سمعت منهم الرهاوى والبوسليك  
 والاصفهان، أما غير ذلك فلم أسمع قط . بل قد سمعت منهم بعض أغاني قلوبها عن أغانينا  
 وأوقموها على آلتهم فكانت كلها رصدا، مع ان المساكر السلطانية هنا يخرجون على  
 آلتهم جميع الاصوات اخراجا متحضضا متخلصا لا يشوبه شىء، واذا أخرجوا من  
 الالحان التركية شيئا كان أيضا متحضضا عن غيره، فكيف هذا وقد والله طالما وقت  
 السمع على ان أسمع منهم أنما ناخيت حتى اعترتني الحيرة؟ فاقنى من جهة كنت أرى  
 آلاتهم بدبعة الصنعة على كثرتها وأفكر فى ان العلوم انتهت اليهم والقنون قصرت عليهم  
 وان عندهم فى هذا الفن بخصوصه بدائع كثيرة قد فتننا على ماسبق، ومن جهة أخرى  
 رأيت ان براعتهم كلها انما هى من مقام الرصد، نعم ان هذا المقام هو أول المقامات وانه ينبنى

منه في مصر وتونس أكثر مما يعني من غيره إلا أن فضل غيره أيضاً لا ينكر، ثم أفكر في أن «نايتا» الذي هو مجرد قصبة خالية في الظاهر عن يدب الصنعة الظاهرة في آلاتهم يخرج منه من النغم ما لا يخرج من آلاتهم الكثيرة المتنوعة ولا سيما هذه الآلة المسماة «بيانو» التي يبلغ منها تحسين ليرة فاكثر، ثم أعود أقول لا غرو أن يكون قد فاتهم في هذا الفن محاسن ودقائق كما فاتهم أيضاً في غيره، وذلك ككثرة بحور الروض عندنا، وكبعض محسنات الكلام، وكالتسجع في الكلام المتوزع، أذ ليس عندهم سوى المنظوم، وهو في الإنشاء كالصوت المطلق في القناء وكلاهما فاتهم، وكعجزهم أيضاً عن التطق بالأحرف الحلقية مع استطاعتهم على أن يغيروا في الجوز، وقد سألت مرة أحداً رباب هذا الفن منهم فقلت إن مقامات النغم موجودة عندكم وعندنا على السواء وكذا انصافها فبق الخلاف في استعناها قالوا استعملنا مثلاً نصفاً من الانصاف مع مقام وأنتم تستعملونه مع مقام آخر بحيث يظهر لنا أنه خروج فن ابن نغم الحقيقة؟ قال كان منه إلا أن قال إن هذا الفن قد وضع عندنا على أصول هندسية لا يمكن مخالفتها فلا يصح أن يستعمل فرعاً مع أصل، على أني كثيراً ما سمعت منهم خروجاً فاحشاً على شتّى ففهم . وقد شافني يوماً بمض المادحين إلى سماع قينة بلغ من صيتها أنها غنت في مجلس أمير طور الروسية فلما سمعتها طربت لرغامة صوتها الانشوي وطول نفسها في انشاء الآتي أنكرت منها نبرات فاحشة وخروجاً مكرهاً بحسب ما وصل إليه ادراكى . ولوني قن أن الحان الروم التي يتغنون بها اليوم هي عجب الحان القلاسة اليونانيين لكان ذلك دليلاً آخر على قصور الحان الافرنج، فإن الحان الروم مقاربة لالحان العرب . الخامس أن أصحاب الآلات من الافرنج لا يحسنون اخراج انصاف النغم وأرباعها الممكن مرسومة لهم في الآلة إلا العازف «بالرباب» أو «الكنجة» أما «الناي» عندهم قيمه خروج شتى غير السبعة الاصول لكل اثنين منها سدادة تنطبق على واحد منها، فإذا سدها منخر، جاش منخر غير أن الصنعة في احكام

سدها واستمع لها تقارب صنعة نقل الأصابع عندنا ، وهذه الانصاف والارباع في النغم مثل الاشمام والروم في الحركات ، وفي الجملة كان للافرنج في هذا الفن حركات خارجة عن ذوقنا وأخرى لا يمكن محاكاةهم بها . ومن الغريب انه مع كثرة ما عندهم من الآلات لهذا الفن فقد فاتهم « العود » على محاسنه « والناي » من القصب ، فان نايهم هو كالزمر ليس له صوت رخيم ، على ان أكثر المؤرخين قرروا ان أصل الموسيقى مأخوذ عن صوت الريح في القصب . وكان اختراع الناي أو الزمر في سنة ٥٠٦ قبل الميلاد ونسب إلى هيجينيس . وعندى ان أشجى آلتمن آلات الافرنج هي المسماة « بالكنشريتو » وهي نحو المنفخ فتتح وتطبق لها صوت يحاكي صوت أنثى ويقال انها من غترعات وتسبطون الانكليزي .

ومن المعلوم انه كلما رقت طباع الناس ولطفت اخلاقهم كانوا الى المحاضرة في معضمار الطرب اسبق ، وخواطرهم اليه اسبق ، فان المولى بفر المصطفى واسرار الكلام لا يسمع الا الحان الا ويتصور معها من الحسن ما يهيم به وجدا قبل ان يشمر القبي بمجرد معرفة كونها غناء ولا سيما اذا كان الانشاد مغمرا بالوقت ممجبا . وقد جاء في شرح لامية الحزم للعلامة الصفدي : من لم يحركه العود وأوتاره ، والريبع وازهاره ، فهو فاسد المزاج بعيد العلاج . ومن القلط البين أن يقول الانسان اني لا أطرب لهذه الالحان لجلبي باللفة . فان الطرب انما يكون عن الصوت اصالاة لا عن الانصاف ، ومتى اجتمع الامر ان كان الحظ اوفر . والذي يظهر لي ان الانغام التي كان يفتنى بها في زمان الخلفاء كانت اشبه ببناء المقاربة الآن منها ببناء المشاركة ، والفرق بينهما ان غناء المشاركة فيه مد وتطويل ، وغناء المقاربة فيه درج ونبر ، واللازمة التي يستعملها هؤلاء هي « دى دى » كقول أهل مصر والشام « ياليل » وكقول الترك « أمان » وفي القاموس ما كان للناس حذاء وضرب اعرابي غلامه وعض أصابعه فشى وهو يقول « اعيان اليان »

«دى دى دى» أراد يادى فسارت الابل على صوته . فقال له الزمه ، واخلع عليه ، فهذا أصل الحداء . وفيه دليل على أن البهايم تطرب للتلحين . واسماء الانعام عند المغاربة مخالفة لاسمائها عندنا . وهم يدعون بانهم أخذوا هذا الفن عن أهل الاندلس . وأهل تونس أكثر رسالتهم ، فهم واسطة بين المغاربة والشارقة . أما المواليات فن خصوص أهل مصر والشام وكذلك الناي « والقانون » وكان غناء أهل مصر اطرب واعلى من غناء جميع العرب كذلك كان غناء الطليانيين أعلى من غناء سائر الافرنج وذلك لكثرة ما فى لغتهم من الحركات فى مثل لغتنا صالحة للغناء والروض ولكون أصواتهم أيضاً صادرة عن صدورهم . اما لغة الانكيزف لكثرة السواكن فيها لا تطاوع على الغناء الذى فيه مد وتجميع الالبحويل الالفاظ عن وجهها . وانما هى لغة امر وزجر ، ولغة الفرنسيس وغناؤهم بين . وجميع الافرنج يقولون ان غناء العرب من خياشيمهم . وعلى فرض تسليم ذلك فما يكون منافيا للتطريب فان اللغة الفرنسية لا يتكلم بها الا مع الغنة . وهم مع ذلك اشجى لغات الافرنج ، فربما طرب لها من سممها أول مرة من عمره ، والظاهر ان العرب لا تأنف من الغنة فى الغناء وحسبك ان أصل تغنى تغنى نحو تخملى وتصدى وقد رأيت من الافرنج من كان يطرب للانعام المصرية ولكن غب طول مكث فيها وكان يقول أولاتها محزنة ولا يخفى ان للعادة تأثيرا فى جميع الاحوال وخصوصا فى المنطق والالحن وتأهيك ان الاطفال عندنا وعند الافرنج ترقد على الغناء فتعاد عليه وتالفه وقد قيل المادة طيبة خامسة .

## أخلاق العلماء

من الناس من يعلم العلم وهو مجبول على صفات حميدة فزاد هدى ورشدا وورعا ودماثة أخلاق، وحسن تصرف، واستقامة طبع، ونزاهة نفس، وصفاء عقيدة، وإخلاص مودة، وسلامة نية، وغفة قلب ولسان، وانبساط يد. فثله كمثل الجواهر الشفاف إذا قابله شعاع الشمس. أو كمثل إناء من زجاج نظيف صاف إذا وضع فيه الماء لم يغير من طعمه شيئا، فزاد دائما مقبلا على فح الناس. ساعيا في إصلاح شأنهم، وتسنية أحوالهم، باذلا أقصى جهده في أسكن خواطرهم، ولم شعثهم، وتأليف متفرقهم، وتسلي حزينهم، وإرشاد غاوبهم، وتأنييد ضعيفهم. وليس من همه التردد على أبواب الامراء، والمخضوع لحجابهم، وملاينة خدمتهم، ولا استعطف ذوي الثروة والعز، حتى ينال منهم وظيفة أو رزقا. ولا التشديق بالآيات والنوادر حتى يعجب السامعين، ويحملهم على اكرامه وتعظيمه. ولا الترضى لما لا يعنيه حتى يقال فيه أنه ذو همة وسعي، وانما همه كله في مراعاة ما يقتضيه العلم، وهو فضل الخير لوجه الله تعالى. فهذا هو العالم الذي يحمدها ويميتا، ويبقى اسمه مذكورا بالغير في كل مكان وزمان، وهو الذي تحريك الناس بنقل أقواله، كابر تاحون لخدمته أفعاله، وكلما ذكرت سعيه حسنة، وخلة مستحسنة، ذكره بها، ونسبوا إليه كثيرا من أمثاله، فان من طبع الناس ان ينسبوا الى من عرف بالحماد والفضائل في عصره، كل حمد وفضل عرفه القريه

وممن من يتعلمه وهو مجبول على بعض صفات ذميمة فيتهذب به بعض التهذب ويغير به بعض التغير، فشأنه أن يبقى فيه علمه وشره كالقرنين المتكافئين، فرة يقوى

علمه على شره وذلك إذ أئذ كرم امر به من قصص الصالحين ، وسيرة أهل السمات  
والخير فيؤثر الاقتداء بهم ، ومرة يقوى شره على علمه إذ يطمس الله على قلبه فينسى  
ما قرأه وسمعه ويتبع هواه ، فثله كمثل الشمس في شهر الغيم تبد ومرة وتختفى  
أخرى ، وهذه الحالة هي التي تحير الناس في وصفه فتزى بعضهم بمدحونه كل المدح ،  
وبعضهم بدمونه كل الذم ، وكل في نفس الامر صادق ، إلا أن المادة أن خلة واحدة  
مستبجته ، تمحو خلا لا كثيرة مستحسنة ، فكأى من محسن مجبول على الاحسان  
زلت به قدمه مرة فصارت حسنة كلها في أعين المتمتعين عليه سيئات .

ومنها من يتعلمه وهو على الاخلاق الذميمة فلا يزداد به الا طيشاً وتزأ الى الشر ،  
واضطراباً في الرأي ، وحدة في الطبع ، وشراسة في المعاملة ، وتظا ولا على حقوق  
الناس ، وتها على الطعن فيهم ، فثله كمثل شمعة موقدة معرضة لمواصف الرياح فلا  
تزال الرياح تبث بها عنة ويسرة ، حتى تنفئ الناظر اليها إطفاءها بالبرة .

ثم إن كل علم نافع وكل نافع ممدوح ، إلا أنه ينبغي النظر في حقيقة معنى النافع فإن من  
يقصد العلم لينفع به نفسه دون غيره لم يبق ذلك النفع الخاص مستوجبا للمدح العام ، وكيفية  
اقتصار الانسان على نعم نفسه هو أن يزدري بشيئه حتى يصير مرجع المسائل اليه ، وأن  
يستحل أموال الناس بما تسول اليه وسواس قسمه من أنهم يصرزوها على وجه الحق ،  
وأن يهددم باظهار عيوبهم في الاماكن التي ينتابها حتى ينلوه كلما يترحه عليهم ، وان  
ينرى زيدا بمرور ، وينرى عمرأ على زيد ، ويترى بصهما الزايا والبلايا فير زامن  
كل منهما ، وأقبح من ذلك أن يصرض لغيره إذ اعرف أنه ينال رزقا فيسقى في قطع رزقه  
وإن لم يد عليه ذلك بمائدة ، فضع نفسه هتاع غير حقيق وإنما هو باعتبار ضرر غيره ،  
وهو مثل ابليس لآخاله ، لان ابليس لا نعم له من وقوع البشر في المهالك الموبقات الا  
الشبهة بهم ، أو مثل الجمل الذي يرتاح لجل الاقدار ويأق من راحة الطيب

ومن العيب كل العيب أن يظل العالم مترقبا لغيره ، ومتر بصالح لغيره ، ولا لذة لمن ذلك ولا نفع سوى مجرد وقوع الضربين يكرهه . فإذا أردت أن تختبر جليسا لك لتعرف من أى صنف هو من هذه الأصناف الثلاثة فاذكر له نعمة إنسان وفضله وعلمه فإن رأيه قد فرح بذكرها ، وتبقى بقاءها عليه ، فهو من الصنف الأول ، وإن رأته قد سكت أو نسب ذلك إلى بطر الزمان ، وعوارض السعد ، فهو من الصنف الثانى . وإن رأته قد امتعض فهو من الثالث ، وهو الذى لا يحب خير أحد ، وهو الذى عليه كالقرط فى أذن السنور ، أو كالنعومة فى بطن الثعبان ، وهو الذى يجب الاحتراز منه كما يحترز من الجاهل بل أكثر ، لأن كلام الجاهل لا يؤثر فى أحد ولا التأثير لكلام العالم ، إلا أن الحق عصمة كل متصم به ، وفعل الخير جنة كل من تحصن به ، فإذا واطبت على حب الحق وفعل الخير فلا تنحش شر أحد من الناس ، وما عليك إذا تحببى الناس عليك وأنت ترى عند الله ، فعليه وحده عول ، وبه اعتصم ، واليه التمسى .

### كيف ندرس

#### الادبيات العربية فى كليات إنجلترا

نصو ومثلا أن قارئاً يقرأ على الشيخ قول أبى تمام

همة تنطح النجوم وجد \* آلف الحضيض فهو حضيض

فيقول الشيخ بلغته : النطاح يختص بالحيوانات التى لها قرون كالثور والتمسك والوعسل ونحوهما ، وقد ذكر فى التوراة مرات كثيرة ، ويمكن أيضا أن ينسب الى ما ليس له قرن . فقد روى لناوس الذى قسم جنس الحيوان الى سبعة أقسام : أن الحيوانات الجماء تنطاح بجياها . وقد أطلقت العرب اسم الكبش على آلة من آلات

الحرب لما أنها تنطح الجدار . والتجوم معروفة . وقد كانت العرب تهتدى بها في أسفارهم قبل أن عرفت خاصية إبرة المغنطيس . ولما كانوا يشتغلون بالعلوم الفلكية والطبية لم يكن في أوربا من يشم لها رائحة ، ثم لما فتحوا اسبانيا أوجزيرة الاندلس أخذ عنهم العلم بمض من الافرنج ومنهم من سرى في سائر بلدان أوربا ، وكان اقراض الملك من قرطبة سنة ١٠٣١ بعد أن دامت العرب فيها أصحاب أمر ونهى وسيادة نحو ٢٧٥ سنة . أما الألف واللام التي في التجوم فهي أداة التعريف ، وهي في اللاتينية والاسبانية « ال » للمذكر « ولا » للمؤنث ، واللغة اللاتينية ليس فيها أداة تعريف ، فأما اليونانية ففيها عدة أدوات ، ويوجد في لغتنا ألفاظ كثيرة مقبوضة بهذا الحرف منها ماهو عربى وذلك نحو الكتا « الحناء » والكحل والقائد والجبره « الجبر » والقرآن والتلى والقرئيم وأوالك زيم ، ومنها ماهو من لغة أخرى . فأما اللغة الاسبانية فليست فيها من هذا النوع ألفاظ لاتمد . فاما عدم النطق باللام في التجوم فلكون النون من الحروف الشمسية . ثم أن أول من قرر طريقة سير النجوم حول الشمس وسير القمر حول الارض ونسبة بعضها الى بعض ، وعلة المد والجزر ، والنور والجاذبية ، والاعتمادية ، ان فيلسوف نيوتن ولد في سنة ١٦٤٢ ومات سنة ١٧٢٧ وكان ذا جود ومثابة على العلم لا تنظر . أما قوله جد آلف للحضيض فالحضيض هنامتناه الارض من تسمية الكل بالجزء ، وورود في التوراة كثير . وغوى البيت أنه أى الممدوح ذو عناية بالارض أى بحرفها وحياتها وانشاء المدن فيها وتسوية الاحكام بين أهلها لان الارض كثيرا ما تذكر ويراد بها سكانها وذلك أيضا مستفيض في التوراة (\*)

(\*) روى الشيخ فارس في بعض كتبه قتال : ان عامة الانكليز يقرأون التوراة والانجيل بلسانهم ولكن قلا منهم من يفهمها ، وقد جرى مرة ذكر ذلك بمحضرة جماعة ادعوا بأنهم لا يفهمون شئ من فهم الكتاب الاول وان سادة بلادهم وغلبة أحوالها إنما تسببت عن ذلك ، فقلت لهم : أما السادة والنبطه فقلت بأحكامكم فيها ولا أسلم لكم بأنكم أسعد من غيركم . وأما أنهم فما آخلكم تهمون ماتقراون في التوراة . قلوا : سئنا عن شئ منها ؟ فقلت : على شرط



وهكذا يمتد على انعكاس البيت بهذا التصدهو وتلازمته وبعدها قضاء ساعة ونصف على تأويل هذا البيت يقومون وهم سامدون الروس عجبا وغرا ويظنون أن شيوخ الجامع الأزهر والاموي والزيتون هم دون هذا التحرير

### مفاضلة

#### بين الرجل والمرأة

قال بعض الفحول من العلماء : ان المرأة أشرف من الرجل وأنعم ، وأنبى وأحلم ، وأفضل وأكرم . أما وجه كونها أشرف فلا ن شاهد في تأنيها وإقناع في محل مرفوع بحيث يمكن لها ان تراهما أو تريهما الا ان شاءت من دون تطاطي رأس وانحناء ، وفي ذلك من العز والشرف ما لا يخفى ، ألا ترى ان بعض الادباء قال : ان من عز « لا » ان يقولها الانسان وهو رافع رأسه ، ومن ذل « نعم » ان يقولها وهو خافضه . اما شاهد الرجل فهم انكوسان في محل منخفض بحيث لا يقدر ان يراها الا اذا تطاطأ وانحنى . وأما وجه كونها أنعم فلا ن ساقيا اللتين هما عمودان لهيكل الجسم ، وبطنها الذي هو منبت لتكون النسمة ، وعجزها الذي هو مورد للانعجاز ، نكون أنعم من ساق الرجل وبطنه وعجزه . وأما وجه كونها أنبل فلا ن شاهد في تأنيها مدة نسمة أشهر . وأما وجه كونها أحلم فلا ن سمة الحلم ترى في شاهدة تأنيها . وأما وجه

أن لا يسوءكم . قالوا : لا نخش من الاساءة من هذه البلاد بالحري . قلت : ما معنى « الفرقة » حين طلب شاول من داود أن يمر ابنته مائة « غلقة » من أهل فلسطين فضى داود وقتل منهم مائتين وجاء بنظهم الي شاول ؟ فقالوا : لا ندري . قلت بل لا تدرون أيضا كيف أن الرجل يمر المرأة فان عادكم بخلاف ذلك قالوا : بين لنا هذا . قلت : ههنا نساء وأغشى أن أفسر لكم معنى اللفظة فتقبض النساء . قالوا : ان كان ذلك كلاما فلا حرج . فسررت لهم حيثة منهاها . فما كان من احدى النساء الا أن أخذت الكتاب ورمته به الارض وقالت : ماذا الله أن يكون هذا الكلام كلام الله

كونها أفضل فلانها خلقت من الرجل وعقبه ، وهو خلق من تراب ، لكنها اذا ماتت — معاذ الله من ذلك — تستحيل الى تراب كالرجل ، لا الى أصلها الذي أخذت منه أى لا تصير رجلاً ولا ضلعاً . وأما وجه كونها أكرم فلأنها أرق فؤاداً ، وأرحم قلباً ، وألين طبعاً ، فذارت أحداً محتاجاً الى شىء من عندها لم ترض به عليه ، وناهيك ما جاء عن مادم السيدة زبيدة اذ قال :

أزيدة ابنة جعفر \* طوبى لزارك الكتاب

تعطين من رجلك ما \* تعطى الا كف من الرغاب

فلما أنكر الوصفاء عليه ذلك وهو باضربه اتهمهم وأحسنتم اليه لعلها انه لم يخفى الوصف . وقال فحل آخر : ان المرأة تعمر في الغالب أكثر من الرجل ، وسبب ذلك أنها لما كانت مفطورة على اللين والطفولة والنومة ، كان لها ان تتلقى ما يستقبلها من الحوادث بالصبر والثبات ، فتكون به ميلها أى تارة تميل الى هذا الشق وتارة الى ذلك ، فتثقل كثر الفصن الرطيب بميل مع الريح فلا يتصف . فأما الرجل فإنه لما كان مفطوراً على القسوة واليبوسة ، فتى دمه أمر تصلب له واقتسح فلا يلبث ان يمطب به ، فتثقل كثر الشجرة اليابسة اذا قويت عليها الريح . ومن خواصها أيضاً ان الخمرة لا تبلغ منها قدر ما تبلغ من الرجل ، واختلوا في تعليل ذلك ، فذهب قوم الى ان في دم المرأة جاذبية تطلب على الخمر فتجذبه سفلاً فلا يصعد الى دماغها . وزعم بعض ان في المرأة نوعاً من الخمر يسمى رضاباً وهو فيها أقوى جداً ، بحيث اذا خالطه الشراب أى شراب كان ذهب بقوته ، والقطرة من هذا النوع تباع أحياناً بدرجة ، وأحياناً برأس انسان أو بعنقه

## شكوى ونواح

قد تملت القاريق من ناديتكم ، وأخلص من بين أيديكم ، وعنجر في وجوهكم جميعاً ،  
وأصبح لا يخاف لكم بعيداً ، وبقى الآن أن أذكركم ما أسططتم به من الظلم والظلمان ،  
والجور والمعدوان ، على أخى المرحوم أسعد . إذ أودعوه السجن في داركم الوزيرية  
بقنوبين نحو ست سنين . وبمعدان أذققوه جميع ضرب الذل والهوان والبؤس  
والفئسك في صومعة صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها إلى موضع يبصر فيه النور أو يستنشق  
الهواء الذين يمنهما الخالق على الأبرار والتجار من عباده . قضى نحبهم وما كان  
سجنكم له إلا لخلافته لكم في أشياء لا تقتضى عذاباً ولا اعتباراً . وما كان لكم عليه من سلطان  
دينى ولا مدنى . أما الدينى فإن المسيح ورسله لم يأمر وأبسن من كان يخالف كلامهم  
وإنما كانوا يمتزلونهم فقط . ولو كان دين النصرارى نشأ على هذه المساواة الوحشية التى  
اتصفتم بها الآن أن أتم رعاة التائبين وهداة الضالين لما آمن به أحد . إذ لا أحد من الناس  
يحبوا إلا إذا كان يرى الدين الذى خرج إليه خيراً من الذى خرج منه . وكل إنسان فى  
الدنيا يعلم أن السجن والتجوع والاذلال والتوعد والتأويق والتشنيع ليس من الحميم  
فى شىء . وناهيك أن المسيح ورسله أقروا ذوى السيادة على سيادتهم ولم يرهم . ولم يكن  
دأبهم إلا الخض على مكارم الاخلاق والأمر بالبر والدعة والسلام والائاة والحلم . فأنها  
هى المراد من كل دين عرف بين الناس . وأما المدنى فلأن أخى أسعد لم يأت منكراً أولاً  
ارتكب خيانة فى حق جاره أو أميره أو فى حق الدولة . ولو فعل ذلك لوجب عا كنه  
لدى حاكم شرعى . فإساءة البطرك إليه إنما هى إساءة إلى ذات مولانا السلطان لا ناجيها  
عبيده مستأمنون فى أمانته وحكمه . وكلنا فى الحق سواء . إذ البطرك ليس له حق  
فى أن يخطف من بيتى درهماً واحداً لو شاء ، فأنى له أن يخطف الأرواح . وهب أن أخى

جادل في الدين وناظر وقال انكم على ضلال فليس لكم ان تبتوه بسبب هذا . وانما كان يجب عليكم ان تنقضوا أدلته وتدحضوا حجته بالكلام أو الكتابة اذا أنزتموه منزلة عالم نحشون تبعته . والافكان الاولى لكم ان تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك . بل أصررت على عتوكم في تشكيله وزعمتم ان فراركم داركم مرة لتجاة نفسه كان زيادة في جنابته وجبر برته فزدم تجبر عليه وظلما . وكاني بكم معاشر السفهاء تقولون ان اهلاك نفس واحدة لسلامة قوس كثيرة محمدة يندب اليها . ولكن لو كان لكم بصيرة ورشد لعلمتم ان الاضطهاد والاجبار على شيء لا يزيد المضطهد وشيعته الا كلفا بما اضطهد عليه . ولا سيما اذا علم من نفسه انه على الحق وان خصمه القاهر له على ضلال ، أو انه محتل بالعلم واقتضائل وقرينه عطل عنها . فقد فاتكم على هذا العلم الدقيق والسياسي وعرضتم عرضكم للنفذ والتسويد . وذكركم للامت والتفنيد . مادامت السماء سماء والارض أرضا . وان أخى رحمه الله وان يكن قد مات فذكره ان يموت وكلما ذكره ذكر من أهل الرشد والبصيرة ذكر معه أيضا سوء فعلكم ، والخاصكم ، وغلوكم ، وجملكم ، وشناعتكم ، وقد لعمرى أخرج عنكم بؤنة من شيعتكم هذه الموحمة على سفك الدم أكثر مما لو بقي حيا وحسبك بالخواجيم خائيل مشاقه الا كرم وبغيره من ذوى الفضل والبراعة مثالا . ألم تأخذكم يا غلاظ الاعناق رأفة في شبابه وبجالة . ألم تأرقوا بكم التارزة لصفرة وجهه حين تجتمعه عن النور والهواء حين ذوت غضاضة جسمه وبضاضته ، وحين لم يبق من ترارته غير الجلد والعظم وبخلتم عليه أيضا ان تطلقوه بهما . ألم تشفقوا عليه اذا رأيتم انامله قد ضنبت لموزما كان يجمع به حمر دبركم ، ولقد طالموا الله اخذت القلم نقطت ما يعجب به الملوك . ولقد طالموا الله صعد المنير فطبت فيكم ارنجبالا والعرق يتصبب من جبينه ذاك الصليت . ولشدا ما أبكى سامعيه تذكريا وترهيدا ، وطالما ألف وعرب لكم كتب اركية وعلم حتى رهبا نكم واخرجهم من ظلمات الجهل . ألم يخز

وجوهكم الصافية ما كان يقرق في وجهه من ماء الحياء فكان أشد خفرا من مخدرة .  
 وانه كان عزيزا في أهله مكرما عند الامراء محببا الى الخاصة والعامة . نزه النفس ، كريم  
 الخلق ، فصيح اللهجة ، أنيس المحضر ، أمثله بحبس سمت سمين و بذل و ينكل  
 و يموت والله يعلم بأى شيء مات ؛ ما بال الكتائب الفرنساوية ، والهنداوية ،  
 والانكليزية ، والمسكوبية ، والرومية الارثوذكسية ، والانصارية ، والرومية  
 الملكية ، والقطبية ، واليمقوية ، والنسطورية ، والدرزية ، والمتواليه ، واليهودية ،  
 لا تفعل هذه المنفعة والشناعة التي تفعلها الكنيسة المارونية ؟ أم هي وحدها على  
 الحق و الناس أجمعون على الباطل ؟ ألسنم تزعمون ان هلك فرنسا هو مجر الدين  
 وناصره . والناس من أهل مملكته الكاثوليكين منازلوا بطعمون كتبنا يشددون فيها  
 بميوب رؤساء كنيسهم ، وقيادهم ، وسفاههم ، وخشهم ، وشراههم ، والحادهم ،  
 بل ان كثير منهم قد ألغوا تاريخ خاصة بما كان عليه الباباوات من الفسق والفجور  
 وسوء التصرف و بكفرهم بخلود النفس والوحى وبالمية المسيح

### محاكاة الكلاستان

﴿ حكاية ﴾ رأيت قوما يتسابقون حشدا ، ويتزاحمون خفدا ، فن بين ضاغظ  
 جاره ، ومهطع كأنه يشن الفارة ، فقلت نا الله ما اجتمعت هذه الجماعة الا لامر عظيم ،  
 ولا قصدت الا مقصد خير عظيم ، ثم قلت لنفسى بعد استصواب حدى  
 انهنض الى المكرمات مستبقا \* ولا يصدنك عائق عنها  
 وان تجد عصبية سمعت جهة \* فاسع اليها ثم استند منها  
 فخاريتهم وأنا أظن انى أكون أول الفائزين ، ومقدام البارزين ، فلما بلغت حلقة

الرجال ، وكانوا ما بين حُرقة وطويل وطوال ، خزقت صغهم ، وخرقت مصطفهم ،  
واذا في وسطهم خطيب ، كنت أعرفه منذ عهد قريب ، فأول ما وقع عليه الطرف ،  
وَأَنتَ مِنْهُ الظرف ، قلت له السلام عليك يا خطيب يا امام ، فاجابني بديها  
وعليك السلام ،

﴿حكاية﴾ بينما كنت أطوف في مدينة القاهرة ، وأقظر ما فيهم من الحسن الباهرة ،  
وأحدق في وجوه الشوافن ، في الراشن ، اذ لحت في روشن عادة فاقت النساء بالظرف  
والجمال ، والصباحه والدلال ، فقلت منشدا ، وأنا على غير هدى  
بالله رقى لخرم دق \* قد أسلمته الى البلى عينه  
تصدق بالوصال علك أن \* تشفى حشاه فقد دنا حينه

ثم غشى على من شدة اللوعة ، ثم أفتت طمعا ولم أرح أسير الهوى وطوعه ، وناديتها  
بلسان مبين : ألا انى اليك من التاتحين الماشقين الخاضعين . فقالت واني لك لمن الساققين  
الصافقين الصافين

﴿حكاية﴾ كنت أمشي في أسواق الاسكندرية ، وعرضي لالسنه الناظرين  
الى كالدرية ، اذ كنت لابسا نملا بالية وثوبا صفيقا ، وقد انحل حزامى فكان يكنس  
طريقا فطريقا ، فصادفت عجوزا تلحظني فقلت علام القوم يضحكون ، وفيهم يهيمكون ،  
فقال وقد قهقهت وعن أنيابها المتهمة جلقت ، من مكنتك هذه الحرير ، وطورك  
الذى لم ير له نظير ، فقلت

من أجب المعروف فليكرم الضيف بيناسه وابلاغ سوله  
ليس يبنى قرى ولا بذل مال \* منتهى ما يؤم في تأهيله  
فقال أمان شئت أن تقول لك أهلا وسهلا ، فانت لدينا مؤهل ومسهل والا فلا  
ثم هرات عنى وعن عني اخضت فاتبعتها اللعنة التي بها التحفت

﴿ حكاية ﴾ قصدت الرشيد ، لما فهمان الحظ العتيد ، والحدائق الناضرة ،  
والمسارح السارة ، فلما دخلنا الاح لعيني غلام كالقمر ، بنجل الحور بالخور فقاهلت  
نضرتة ، وعجبت من عدم شهرته ، فانشدت بمسمع منه

لبعض الناس فعل دون ما اسم \* وبمضهم له اسم دون فعل  
وأردت أن أفتح معه الكلام ، فاستدلت منه على الحمام ، فقال لي بلهجة فصيحة ،  
وعبارة محيطة ، أ أنت جنب منذ خروبيك من البيت أوفي الحال ؟ قلت

ان كان يمكنك اصطناعي عاجلا \* فافعل ولا تسأل عن الاسباب  
فلربما أخرت معروفًا وما \* قدمت غير مساءة الاحباب

فدلتني عليه فاذا أبوه قيم فيه ، فنوه عنده بي ، وأثنى على أدبي ، فلما خرجت من  
ذلك النعم ، تخرج آدم من الجنة وهو ملهم ، بشي الرجل ، وأدبني تلك الليلة الى  
طعامه ، فليت دعوته وأجزلت له الشكر على انعامه ، وسرت اليه وفي أمعاني وقوب ،  
ولا ضراسي رقوب ، فلما حظيت بأنسه ، وحصلت في مجلسه ، وضع الحوان ، وهو يمد  
من الطعام بألوان ، فاكلنا وشر بنا ، ولعبنا وطر بنا ،

﴿ حكاية ﴾ مازلت مذعرت حلول الاستراط ، ومرى المراط ، أنشوق الى رؤية  
دمياط ، لما بلخني عنهامن كثرة سمكها وأطيارها ، ورخص أسمارها ، وكان بي  
نهم الى أكل السمك شديد ، وقرم الى المصفور ما عليه من مزيد ، وقد قال في الاول ،  
من أجاد القول جدا وهزل

ما ان ندمت على شراء الحوت في \* وقت وان أفرغت فيه الكيسا  
ان كنت أتحق فيه فلما واحدا \* ألقاه فيه قد استحال فلوسا

فلما كدأ بلهم ساحلها ، حتى رأيت صيادا قد ألقى شبكته في البحر ، وهو مبتئس  
ولها وفي طلعتة سمكة الضيجر ، فتقدمت اليه ، وسلمت عليه ، فقلت لأجذب الشبكة باسم

الله على بختي ، وان كنت أعهد به دائماً من بختي ، فان اشتملت على حيتان صغيرة ، أديت اليك قيمتها موفورة ، وان حوت الكبيرة ، كان لي أن أنال منها بما تحبها من وفرة ، فرضى بذلك ، وقال حسبى الله الوالى المسالك ، فلما أخرجها إذا بها استوعبت من كبار السمك ما لم يكن عهد منذ درج وسلك ، فجاد على منه بحصة ، وقد أجرضته من الشرط غصة ، فاوقدت جنبه ناراً ، وبعثت الى السوق من اشترى لى خبزاً وعقاراً ، وملحاً وأزاراً ، ومازلت اشوى وألتقم التفافاً ، وأشرب استغافاً ، حتى منيت بالهليضة والزحير ، واستحال على التقدم والتأخير ، فى المأب والمصير

﴿حكاية﴾ وجدت فى صدرى ضنكاً من بحالة الرجال ، ومطارحتهم الحديث والامثال ، وقد جبل الانسان على حب التبدل والتحول والتنقل ، فيسام النسيم إذا طال ، ويرى فى المتابعة الثبور والوبال ، وفى الادماء الدمن والوبال ، فتحررت بحالسة الصبيان والحوض معهم فى صار وكان ، فلم أكد أخرج من غرفتي حتى رأيت زمرة منهم يلعبون بالفتال والاوناد ، ويضحون ضحيج الناس فى يوم الجراد ، فتوهمت أن فى صمما أولما ، إن لم أسمعهم على قرهم من العرفة ، ولو أنى سمعهم لعظم على لعظم على هذه الصفة ، فدعوت أحدهم ، فشد الى حفزا ، وكنتى ركزا ، فسكن روعى عند سماع نفمته الرخيمة ، وأيقنت أن حاسة سمعى بقيت فى سليمة ، فخدمت الله تعالى على لطفه بى ، وزاد فى عشرة الاولاد أربى ،



## نيزم شعره

## وصف باريس

## هرفيا

اذى عبقري الارض أم هي باريس  
 زبانية سكانها أم فرنسيس  
 وهل ذى نساء في مواحلها ترى  
 والا فكل حين تخطر جاموس  
 وهل ذا شرار يجلب المم في الدجى  
 الى البال ان تبصر به أم نباريس  
 وهل زفرة الدنيا ترى في هواجس  
 تمر ككمير ظالع أم مطافيس  
 نعم انها مأوى الجميم وشاهدى  
 شتيون في ساحتها ومناجيس  
 وأعمدة تلقى الشياطين عندها  
 كان لها فوق الحباثت تأسيس  
 شقاء لمن منها تبوأ منزلا  
 وتمسا لمن فيها له تاح تمريس  
 هي المنهل المسموم حتف لظالمى

## حرفيا

أذى جنة في الارض أم هي باريس  
 ملائكة سكانها أم فرنسيس  
 وهل حور عين في منازلها ترى  
 والا فكل حين تخطر بلقيس  
 وهل ذى نجوم ترجم المم في الدجى  
 عن البال ان يخطر به أم نباريس  
 وهل زهرة الدنيا ترى في هواجس  
 تمر كبرق خاطف أم طواويس  
 نعم انها خلد النعيم وشاهدى  
 رياض وحوض دافق وفراديس  
 وأعمدة تحبوا السحابب دونها  
 كان لها فوق السماكين تأسيس  
 هنيئاً لمن منها تبوأ منزلاً  
 وطوبى لمن فيها له تاح تمريس  
 هي المنهل المورود من كل ظالمى

وللزائر بها الخير أجمع مبجوس	هو العيش قاغم طيبه في ربوعها
فانك فيها ما أقت لمرعوس	فانك فيها ما أقت لمرعوس
إذا كان ثوب العمر منك فان من	قشيب حظاها لين العيش ملبوس
وفيها من القر الكرام أعزة	ججاجح ضرابون يوم الوغى شوس
لقد فطروا طبما على الود والوفا	جميعاً فإيروها عوض تليس
لئن سُبِقوا سبق الوجود فانه	ليسبق جسمائله وهو مدعوس
لهم في سماء العلم شمس براعة	وفي الأدب الطامى المياب قواميس
فكم فيهم من عالم متقن له	لتطليس آثار الممارف تطريس
إذا ما أُنْجِلَتْ آفاق أمر فانا	يجليه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل ذى استقامة	تيم قوام الدهر إذ هو منكوس
تدال قوام الدهر أحذب منكوس	وتعسكه أن لايجور كنانا
يحاول لؤما أن يعيل به فلا	تعدل في كلتا يديه قساطيس
ورب عيّر لفظه فوق منبر	ورب خطيب لفظه فوق منبر

بين ولو بلغته وهو معكوس	يسوء ولو بلغته وهو معكوس
بشف خفي الغيب عما يقوله	بشف خفي الغيب عما يقوله
فيصره من طرفه بمد مطموس	فيصره من طرفه بمد مطموس
وكم فاتح منهم وما بارح الخي	وكم طامع في الملك منهم سفاهة
كتائبه أعلامه والقرطيس	كتائبه أعلامه والقرطيس
وكم بينهم من ليث حرب إذا سطا	وكم من طفيل لكل وليمة
جرىء له فيها احتناك وتضريس	جرىء له فيها احتناك وتضريس
جام اذا هيجو حياة إذا اتقوا	جام اذا زبروا حياة اذا اجتدوا
أسود اذا صالوا جبابرة هيس	أسود اذا لاسوا جبابرة هيس
إذا سمحوا لانوا وإن حسوا قسوا	إذا سألوا لانوا وإن سئلوا قسوا
ويربون فضلا إن يغيرهم قيسوا	ويربون شحا إن يغيرهم قيسوا
أولوهمه دانت لهم همم الورى	أولو جشع من دونه جشع الورى
ونفرهم في ذاك كالدهر قدموس	وصينهم في ذال كالدهر قدموس
لقد أكرموا هذا اللسان وأهله	لقد جهلوا هذا اللسان وأهله
فما زال يحظى عندهم وهو مدروس	فما زال يخفى عندهم وهو مدروس
غفوت عن الايام سالف ذنبها	وجيدت على الايام عبا بميشها
فقد شفعت فيها وفي الناس بارس	فقد أخبثته والبرية بارس

### الفارياق

هذا كتابي للظريف ظريفا \* طلق اللسان وللسخيف سخيفا  
أودعته كلها وأفظأ حلت \* وحشوته قطا زهت وحر وفا  
وبداهة وفكاهة ونزاهة \* وخلاعة وقناعة وغز وفا  
كالجسم فيه كل عضو تشق ا \* مستور منه ونحمد المكشوقا  
فصلته لكن على عقلى فما \* مقياس عقلك كان لى مرفوا  
« أعيان البيان »

غري من الوصاف في ذاصفوا \* لكنهم لم يحسنوا التصنيفا  
 إذ كان ما قالوه مبتذلا ولم \* يتقص منهم واصف موصوفا  
 لكن كتابي أو أنا بخلاف ذا \* نكفي الحق الحد والتعريفنا  
 لا عيب فينا غير أنك لا زى \* صنعوا لنا في فننا وحرينا  
 فهو الينم المسحيل اخاؤه \* وهو القريد فكن عليه عطوفا  
 عهدى الى ولدتي أن يتحديا \* أسلوبه وبدفته يطينا  
 إني برىء منهما أن بعدلا \* عنه ويخذأ عليه حليفا  
 لو كان يشق جامد لجماله \* لنذا الورى طرا به مشغوفا  
 وحياة رأسك ان رأسى عارف \* أنى به لن أستفيد رغيفا  
 كلا ولا أقطأ ولا حشفا ولا \* خزا على وتدى ولا كرسوفا  
 لكن بقرنى حكة هاجت على \* أنى أعالج مرة تأليفا \*  
 من كان يؤجر كى يؤلف خطبة \* فهو الخلق بان يعد عسيفا  
 ماراج من قولى نخذه وما تجد \* من زائف فاتركه لى ملفوفا  
 لابد أن تجد الصيارف مرة \* بين الدراهم درهما مزوفا  
 ولرب ديار يجر إليسك من \* تهوى بلعيتيه وليس مشوفا  
 لا يلقن بزجاج عقلك ما ترى \* فيه من الصدم القديم كشيئا  
 ماذا على مُهد الى إخوانه \* شيئا ألد من المدام طريفا  
 سهر الليالى محكما تمصيله \* وهم رقود يحكون جخيئا  
 أرايت ذا ككرم برد هدية \* ويسوم مهديها له تعنيفا  
 أليس أن الدهر أصبح مازحا \* بهذى ويأتى المضحكات جنوفا  
 فاشتق من خرف الجنى خرفا ومن \* حصف تهى الاغفار منه حصيفا

دع عنك تعميس الأسود وكن أخا \* لأبي الحصين مراوغا يهفوقا  
من أضحك السلطان صوت ردامه \* فهو الذي في الناس عد عريفا

### الحرب العثمانية الروسية

سنة ١٨٥٥

الحق يعلو والصلاح يعمر \* والزور يمحى والقصاد يدمر  
والبنى مصرعه ذميم لم يزل \* آتية عرضة كل سوء يشير  
والوعد تبطره من النعم التي \* يغني بها الحر الكريم ويشكر  
طفت الطغاة الروس لما غرم \* في الأرض كثر سوادهم ونجبروا  
كادوا ويرجع كيدهم في نحرهم \* فطلام دون القواضب ينحر  
المعتدون ولا نهى تنهام \* الظالمون القاسطون الفجر  
نقضوا العهد وكان ذلك دأبهم \* لؤما وللمدوان بغيا أضمروا  
يامسلمون تثبتوا ان جاءكم \* نبا من الروس المدا وتبصروا  
لا يفررنكم كثير مجموعهم \* فالحق ليس بضيره المستكثر  
يامؤمنون هو الجهاد فبادروا \* متطوعين اليه حتى تؤجروا  
هذا جهاد الله يحمي عرضكم \* فاسخوا عليه بكل علق يذخر  
في لن تناولوا البرحق تنفقوا \* مما نجون الدليل الاظهر  
وتسكوا بالمررة الوقتي من الصبر الجميل على القتال ونمروا  
واغزوهم برا وبحرا واحشدوا \* ركبا وفرسانا ونسرم انمروا  
لولم يكن منكم سوى هزلما \* غلبوا فكيف بكم وأنتم أكثر

من كل فتاك اذا اعترضت له \* يوما شعوب بل شعوب يدمر  
 أتم عباد الله حقا فاعبدوا \* للدين فهو بكم يمز ويجبر  
 واحموا حقيقتكم حفظ دماركم \* فرض عليكم ليس عنه تأخر  
 غاروا على الاسلام حتى زفوا \* أعلامه فلكم به ان تفخروا  
 غاروا على حرم غدرة لكم \* قد طالما أحصين عمن يهر  
 أقودهن اليوم عليح فاجر \* وسيوفكم بدمائهم لا تقطر  
 الصبر محمود ولكن حين تنهك الحارم لا أرى أن نصبروا  
 لآخر في عيش يقارف ذلة \* حاشاكم أن تمشلوا أو تدبروا

### رناء حمار

راح الحمار وخلى القيد في الوند \* وما أرى أثره في الناس من أحد  
 فهل أنا راكب من بعده وتدا \* أم مجزئ قيده لو كان من مسد؟  
 أم كيف أدخل دارا كان لي سكنا \* فيها وانزل عندي منزل الولد؟  
 سرهته بيدي كالطفل من شفق \* كالطفل من شفق سرهته بيدي  
 وجهه بشمير لا يخالطه \* ماس ولا عسجد خوفا من الدرد  
 وكان يوقظني منه التهاق اذا استقلت نوما بصوت مطرب غرد  
 كم حادني عن مضيق حين أبصر من \* حولي الجمال تيل الارض بالزبد  
 وسارني في طريق بل جانبها \* أهل الجمال بماء الورد وهو ندى  
 وكم جرى قارها اذ لاح عن بعد \* زقاف خَوْد اليها بالغ الامد  
 واذا تبين نمشا للجنازة لم \* يمرر به مع أليم الوخز في الكتد

ماضيل يوما عن استقراء معلقه \* أكان في روضة غناء أم جرد  
قد رايت حذقه حتى ظننت به \* مسخية مثل بمض الخلق عن أحد  
وما شكافط من وخز ولا ضفت \* رجلا من جوب وعث طال أوجد  
شلت يدا من به ولي وغادرتي \* أمشي وأنشب في أوحال ذا البلد  
أعلم أنني من بعده جزع \* وأن فرقة نار على كبدى ؟  
وان صوت المتنادى اليوم بزعم أن \* ألبس لك في جنح الدجى وعد ؟  
لا يفررنك رغد أنت تعلمه \* مادام شهرا على طرف ولا عد  
يفديك كل حمارند من بطر \* أوضج من لب أو خار من جهد  
أوحار من شبق قلاب جفلة \* كراف بول قديم جف كالنقد  
مصنيع الرأس ممشوق القوائم لم \* يحرن اذا سمته خسفا ولم يحمد  
أليانه بالطرق أعرف من \* مولا ان لم يمه القيد ذو العقد  
يأليت لي خصلة من ذيله أثرا \* أرنو اليها كما برى الى الخرد

### الجمال وأهله

خلق الجمال لمين صب جنة \* ولقلب نار تزد تسمر  
يأليت بغنى المرء يوما واحدا \* عنهن من شئ يباع وبشترى  
ليت الجمال لمن مثل الملح في \* قدر الطعام مهوًا ان كُتِرَا  
بل ليتن خلقن أقبح ما يرى \* كي لانهن تحمرا وتحمرا  
ليت العيون النزل ضيقة وما \* في الثمر من در عظيم سفرا  
يأليت لم بصلت جبسين فوقه \* شعر كليل كل غر غررا

يأليت مافي الجيد من عنط بدا \* وقصا لأعيننا وشبنا منكرا  
والحسن ان القبح أحسن ملحا \* أن ليس يكي المين مامنه يرى  
فلاي دأع كان شغل عقولنا \* وقلوبنا بهوى الوئاثر أ كثرأ  
ولم اختصم بكل علق مضنة \* وبكل حلى فاخر دون الورى  
مناخرجن وعقلنا بخرجن إذ \* بدخلن أو بخرجن سُفّه من مرى  
ولاي شىء لم يكن قود على \* من لحظها قلب المتبم قد فرى  
ولاي شىء حل رشف الربق من \* نغر الرشوف وكان ذلك مسكرا  
وعلام تنز الشناط على شج \* يمسى ويصبح بالفرام محسرا  
أين للمعلى والمكارم أين من \* نغر الانام بمزة ونجبأ  
يقتاده اسم الخلود إن ذكرت له \* طوعا وكرها وهو يهزم عسكرا  
أملت على حوادث الامم التى \* غبرت قتل مقال من قد حررا  
يارب قد فتن النساء عقولنا \* قامسخ محاسنهن قبحا يزدرى  
أو فاجملن غشاوة نقشى على \* أبصارنا أولا فأعم المبصرا

### دمعة على طفل

الدمع بعدك ماذ كرتك جار \* والذكر ماواراك ترب وار  
ياراحلا عن مهجة غادرتها \* تصلى من الحسرات كل أوار  
خطأ وملت فأين بعدك مهجتي \* مافي حشاي سوى لهيب النار  
رمقا أقل الجسم منى قادحا \* فكأنه وقر من الاوقار  
ما بعد فقدك رائى أوراتى \* شىء من الظلمات والانوار



أبني ما يجدي التصير قولهم \* حكم المنية في البرية جار  
 كلا ولا بني قر بعدك من حمى \* ما هذه الدنيا بدار قرار  
 كم قد حملتك فوق راحي اذ غدو \* وت ورحلت ثمت حرت خير محار  
 ولكم سهرت الليل من جزع فا \* أغنى بكأى عليك أو أسهاري  
 ولكم جأرت لبرء دائك ضارعا \* ولغير نعم كان طول جؤاري  
 ولقد حضنتك في الجنادس خوف أن \* يطرأ عليك من الحوادث طاري  
 وجمال وجهك لي بخيل اني \* في روضة أفق ضحاه نهار  
 ان لم يصورك المصور لي فقد \* صورت بالأثور من اشماري  
 أو ان يكن واراك لحد ضيق \* فالارض عندي اليوم أضيق دار  
 أو ان تكن عنى حجبت فانا \* بقيت حلاك خوالد الافكار  
 لا أنسينك أو أحين فإني \* حين على خلا من استذكار  
 ولا رثينك ما بقيت وان أمت \* فليتلون رثاك بعدى القاري

### بؤس الأديب

ليت شعري ماذا يفيد البيان \* مع خواء البطون والتبيان  
 وفنون البديع من غير أكل \* تستشيط اللهى به واللسان  
 هالك أكف استمارة برغيف \* وبخس نخس قفتازان  
 أبها العربون هبوا فإمن \* ضرب زيد عمر ابرص الخوان  
 أين أين الكباب والرز والبر \* غل تصفو من فيضهن الجفان  
 أنا في وحشة من الناس وحدي \* لا تراني فلانة وفلان  
 عيشة لو رأيته في منام \* ماشعنتي من بعدها الاحلان

### لغة أهل مالطه

تبا لها لغة بغير قراءة \* وكتابة عين بلا انسان  
تبليبل الالباب في تركيبها \* ويكل عنها حد كل لسان  
أذنبها ورؤوسها عريسة \* فسدت وأوسطها من الطلياني  
غادة مالطية

بدت في الثياب السود والوجه زاهر \* وماست بقدر ينجل القصن الفضا  
لها منطق عذب على قبح لحنه \* وفي حسن من سواه عن لحنه اغضا  
أوباش انجلترا

رمتني النوى في كبرج ملازما \* ليني نهارا أن تراني أوباش  
فصمت بي حتى اذا الليل جنتي \* خرجت على أمن كآني خفاش  
القلب والحزن

ورب حزن يصون القلب عن سفه \* كما يصون اناة واهيا صداه  
وما اقضى من لذات الهوى عجلا \* سيان غايته عندي ومبتداه  
المرأة والحجاب

لا يحسب النمر البراق للنسا \* منأ لمن عن التماذي في الهوى  
ان السفينة انما تجري اذا \* وضع الشراع لها على حكم الهوى

### الاغاني

يا بدر مالك تارت في حسنك الفتان \* فارحم فتى ولهان مبلبل البال  
عذب بما ترضاه إلا الخفا أخشاه \* قد طال ما أصلاه وأنت لى سالى  
يا يوسف الحسن حوشيت من سجن \* هددت بالحزن أركان آمالى  
من ذا الذى أغراك بصد من يهواك \* الطرف منه باك وجسمه بالى  
حقى م ذا المهجران والصد والحرمان \* حسن بلا احسان كالرى بالاك  
محبك الواجد منك الرضا فاقد \* ياليتنى واجدد اتهام عذالى  
أضئانى السهد وعزنى الوجد \* ما القصد ما القصد سواك يا غالى  
يا فاتن المشاق باللحظ والاحداق \* تبارك الخلاق لحسك الكالى  
أفديك بلال والروح والال \* رضاك أشهى من طول أجالى

### غيره

إلى هنا يا بدر لى أنت المني \* كل جنى منك الرضا الا أنا  
يا فاتنى بالدل لما يخطر \* وشا جنى إذ جرت شذرا تنظر  
قد شاقنى منك الحيا الازهر \* واستاقنى وجدى الى حد المنا  
بى كالم ألقاك عنى ممرضا \* وجدنا لكن جمعى أمرضا  
يا ذى اللى حتام لا تبدى الرضا \* صل مفرما ألبسته هذا الضنى  
سبحان من أناك ذا الحسن القريد \* كم قد فتى صباه أسمى عميد  
أنت الحسن والشوق فى قلبي يزيد \* ان الشجن للعظم منى أو هنا  
كلت فى ذا العشق تريح الجوى \* حتى تفى لكن هبات الوفا

هل منصى مما به يقضى الهوى \* أو مسقى خدن على نيل المنى  
يا بدر لا تجمع مقال الماذل \* وارع الولا ناهيك وجدى قاتلى  
فقت الملا حسنا فقق بالنائل \* جد بالطلا من فيك يا حلو الجنى

غيره

يا فاجر الجفون ما بدا لك \* حتى جفوت عاشقا جمالك  
ويا قضيب البان ما أمالك \* عن مفرم مؤمل وصالك  
عذب بما ترضاه يا غزالى \* الا الجفا شامة العذال  
أنعم بوصل منك يوما بالى \* أم طول العمر ربي بالك  
علام تحفوني ومالى ذنب \* وما لقلبي عن هواك قاب  
بحق من أولاك ما تحب \* دعنى أقبل مرة أذبالك  
لم يبق لى على الصدود طوق \* وعال صبرى عنك هذا الشوق  
وليس لى إلى سواك توق \* وهل لعينى أن ترى أمثالك  
أحرمت طرفى فى الليالى غمضا \* وقلت أرضى عله أن يرضى  
يا هل ترى صدك عنى فرضا \* فن بقتلى يارشا أفق لك  
ناشدتك الله أنلتى سولى \* وكن رفيقا بى أيا مامولى  
يكفى الذى تراه من نحولى \* يعيد رب العرش منه حالك

## الامير عبد القادر الجزائري



## ترجمته

هو ناصر الدين الامير عبد القادر بن محي الدين ينمى نسبه الشريف الى الامام الحسن  
سبط الرسول صلوات الله عليه

ولد في يوم الجمعة ٢٣ رجب سنة ( ١٢٢٢ ١٨٠٧ هـ م ) بقرية القيطننة من  
أعمال وهران بالقطر الجزائري في بيت مجد مؤثر وعلم وفضل فنشأ على حب المعارف  
وأخذ العلوم العربية والدينية عن مشيخة وهران ثم خرج به والده الى الاقطار الحجازية  
مجتازا في طريقه بمصر في عهد ساكن الجنان مجد على باشا فاكرم نزلهما ، ومنها ذهب الى  
دمشق ومكث بها مدة ٨٠٠ فيها صحیح البخاری علی الشیخ عبد الرحمن الکریری

من محدثي الجامع الاموى كاسمع المترجم له علوما شتى في التوحيد والتصوف على الشيخ خالد النقشبندى السهروددى . و بمداياه من هذه السياحة عكف على الدرس والمطالعة . قرأ كتب الفلسفة والجغرافية والتاريخ والفلك وغيرها من المعلوم والآداب ، فبرع فيها براعة فائقة ظهرت آثارها في مجالى أقلامه . وما زال عاكفا على دروسه وكتبه ، ملحوظا من أهل بلاده بين الاجلال والاعظام ، مرفقا عندهم فضلا عن علمه وفضله ، وغزارة اديه ، بالفرنسية ، والرامية ، وشدة اليأس ، وقوة المراس ، والمهارة في ركوب الخيل ، واللعب على ظهورها ، واقتناص الوحوش في اخياسها ، الى ان شن الفرنسيون القارة على الجزائر سنة ( ١٢٤٦ ١٨٤٣ م ) يريدون اكتساحها واخضاعها للملكهم ، فهب الجزائريون في وجوههم للدفاع عن بلادهم ، والذود عن حياضهم ، وأجمعوا أمرهم على مبايعة الأمير عبد القادر بن محي الدين قادهم وخاض بهم غمرات القتال وصمد لقراع الفرنسيين سبع عشرة سنة كانت الحرب فيها بينهم ماسجلا ، ولم تضع أوزارها الا بما ضده الدولة المراكشية للفرنسيين على اخضاع الأمير ونزل عرشه ، انجز د سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن ابن هشام جيشا لجبا مؤلفا من خمسين ألف ونيف من مقاتلة المراكشيين بقيادة ولى عهده محمد ولم يكن قد بقي مع الأمير عبد القادر من الجنود أكثر من خمسة آلاف فصادم بهذه الفئة القليلة تلك الجيوش الجرارة وصبر لها صبرا الكرام الى ان علم ان المقاومة لا تجدى نفعا فاذعن للفرنسيين بالتسليم وتم التعاهد على ذلك في ديسمبر سنة ١٨٤٧ وسافر الى فرنسا في ثمانين من رجاله وحاشيته واستقبل يوم دخوله باريس بما لم يهد من الخفاوة والتكريم على عهد الامبراطور نابليون الثالث . وكان مدة اقامته بها محل اكبار الفرنسيين من جميع الطبقات ورتبت له الحكومة الفرنسية مبلغا من المال لينفق منه سنويا ، وبمدان قوت عرى الصداقة بينه وبين

الحكومة ورجالها ولاسيما الامبراطور نابليون ناقت نفسه الى سكني بلاد الدولة العثمانية فوفد على الاستانة وحظي ببقاء السلطان عبد المجيد خان ونال منه كل رعاية واکرام ثم ذهب الى بروسه للاقامة بها فلم يطل فيها المنقام فأم دمشق واتخذها له عريسة وطابت له فيها السكنى . ولما حدثت فيها فتنة سنة ١٨٦٠ بين الاكراد والدروز وبعض المسلمين وبين المسيحيين كان الامير عليه الرحمة عصمة للمظلومين وكان فئاؤه ملجأ للمعكوبين فاكثرت دورته على رحبها بالمحقين بها وفيهم قتاصل الدول ورؤساء الاديان على اختلاف نحلهم ومذاهبهم فكان يثقف عليهم عن سعة ويرد العوادي عنهم ، وظل يعمل دأبا على اطفاء جذوتها حتى همدأت نواثر النفوس وأعيدت الى اعمارها المدي والسيوف وجاء رجال الدولة للتحقيق والاقتصاص من الظالمين فوجدان من كان في حماه نحو الخمسة عشر ألف منهم أربعة آلاف في دورته والباقيون في قلعة الحكومة ملحوظين برعايته ، وبهذا العمل الجليل استحق الثناء الجليل من كافة بني الانسان وجاءته كتب الشكر ووسامات التقدير وآيات الاعتبار من جميع الدول والحكومات وفي سنة ١٢٨٢ هـ سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج . روى ولده الامير محمد انه في اثناء اقامته والده بالقطار الحجازية توفي ملك اليونان فاعتقد مجلس النواب في أثينا للنظر فحين يولونه عليهم ملكا فكان اسم الامير في ضمن المنتخبين لذلك ونادى كثير منهم باسمه ، وكذلك فعل الاسبانيون حينما وقعت الفتنة بينهم فشكر الامير اللامتين حسن اعتقادهما فيه واعتبارهما له

وفي سنة ( ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م ) دعاه الخديوي اسماعيل فحين دعاه من أعيان العالم وملوكه وأمراءه اشبهوا الاحتفال بفتح قناة السويس واجلس في الخفة الخاصة بامبراطور النمسا وأميراطورة فرنسا وولي عهد المانيا وايطاليا وكان فيهم موضع الاجلال والاعظام . وكان منذ استوطن دمشق القيحاء يكتتب ملوك الدنيا وأمراءها والعلماء

والادباء والشعراء والكتاب ، ويختلس أوقات الفراغ للتأليف والانشاء والاجابة على الاسئلة الواردة عليهم من انحاء العالم، و بيته كعبة المحتاج وحصن الخائف وهو يعطى المعارف ويمتخ العوارف الى ان دعاه به فلباه في ١٩ رجب سنة (١٣٠٠ هـ ١٨٨٨ م) تخفق نيمه في الآفاق وأسف عليه الملوك والامراء وراثه الكتاب والشعراء وأبنه العلماء والادباء بحيث لو جمع ذلك لوقع في كتاب ضخم ، وقد فصل ولده الأمير محمد تاريخ حياته في كتاب دعاه « تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر واخبار الجزائر » وهو كتاب كريم يجدر بكل شرقي تلاوته و بكل غربي ترديد النظر فيه

## مُمَيِّزَاتُهُ

إذا ظفرت فالأوروبيون بنوا بغيرهم و ما يجنونه من ثمرات عقولهم، فنحن نكافهم بنفس  
أبطالنا التي تصنوا لمظمتها العقول، وتقف عندما ودعته من جليل الاسرار وقفة الحائر  
المبهوت، ولا شك في ان ابن محي الدين كان من ذوى النفوس العظيمة التي يدلبها الشرق  
على الغرب ، ناهيك عن يقول فيه المارشال سوليت الفرنسي سنة ١٨٤٠ : لا يوجد  
الآن احد في العالم يستحق ان يلقب بالاكبر الا ثلاث رجال كلهم مسلمون، وهم الأمير  
عبدالقادر، ومحمد علي باشا، والشيخ شامل\* رواده بالمر في تاريخه .

(\*) هو الشيخ محمد شامل أوشوبيل الداعستاني زعيم طائفة من القوقاس ومولى الروس حرياعوانا  
ما بين سنة ١٨٣٤ وسنة ١٨٥٩ هجرها جوشهم في عدة مواقع وساجلهم الظفر في بعضها وما زال مخني  
الجانب من حكومة القيصر قائما بإدارة حكومته في دراغو الي أن اغرت الدولة الروسية بعض قبائل القوقاس  
بالمال فشقوا عصا الطاعة عليه فكان ذلك سببا لنظر الجيش الروسي به واخضاعه له قاسر وأخذ إلى بطرس  
برج ليرامالقه بمر قولا قلا، أراما كبر منزلته وأكرم غابة الاكرامو خصص له قصر في مدينة كاجا  
ورأب اقدره ١٠ آلاف روبل وفي سنة ١٨٦٨ زایل كاجا قاصدا كيا ومنها ذهب الي مكة المكرمة  
وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٨٧١



فبطل الجزائر وان كان من ارباب السيف، فقد كان اخوا القلم، لا يمتداحدهما حتى  
 يجرد صاحبه، فيبرى بالاول الرؤس والهأم، ويبرى بالتاني النفوس من سقام الاوهام.  
 ومثله في ادبائه الامراء كمثل سيف الدولتين حمدان، غير انه كان اوفر ذماما، واوفى عهدا  
 وميثاقا من مدوح المتنبي. ويستشف من خلال خطبه وكتابه، ومن بين قصائده  
 ومقاطع اياته، الطبع ونخامة التعبير، غير انها كادت تخلو من رونق التجويد وبهاء التمييق،  
 وأتني لمن اذهب زهرة حياته في مقارعة الفرسان، ومثاقنة الاقران، وخوض المعامع  
 والحروب، وحمل الزايا والكروب، دفاعا عن الاعراض، وديادا عن الاوطان، ان  
 ينظر في شعره او نثره نظر تحسین او تجميل؟ ومن ذا يقول للامير: جود كتابك؟ ومع  
 هذا فليس دون الطبقة الاولى من ادباء عصره

## مُؤَلَّفَاتُهُ

وشاح الكاتب وزينة العسكر المحمدي الغالب — هو نظام سنة لجيشه جمعه  
 بمض كتاب جنده في كتاب ودعاه بهذا الاسم. وهو يدل على ما كان للامير من بعد  
 النظر وناقب الراى في امور الحرب ونظام الاجناد  
 المقرض الخداد — رسالة ترد بها على الطاعنين في دين الاسلام عن عمواعن فضائله  
 وتشبهوا بما ليس منه في شى من بدع المارقين واهل النفاق  
 الصافات الجياد — كتاب وضعه في محاسن الخيل وصفاتها  
 ذكر العاقل وتنبيه العاقل — رسالة ضمنها كثير من حقائق العلوم وعجالي القول  
 فيما بحث بها الى جمعية العلماء في باريس حينما ارسلت اليه بانها قيدت اسمه عندها في

سجل علماء العالم، وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية وهي قليلة جداً  
وله غير ذلك كتب ورسائل واجوبة ومسائل في التوحيد والتصوف وغيرها من  
العلوم والآداب

# آثاره

## نخب من نثره

رسالته إلى الجزائرليجيو

إلى الجزائرليجيو وسائر قواد العسكر الفرنسيين في الجزائر ، السلام على من  
اتبع الهدى واجتنب الردى

أما بعد فقد بلغني أنكم جئتم من فرنسا إلى الجزائر لتألبوا بما ينبغي على المؤمنين ألق  
جندى زيادة على عساكركم السابقة فيها . فاعلموا أنني بموثة تعالى وقوته لأخشى  
كثرتم ، ولا أعتبر قوتكم ، علمي أنكم لا تضروني بشيء إلا أن يضركم الله به ، ولا يلحقني  
منكم إلا ما قدره الله على وقضاءه ، وأني منذ أقامني الله في هذا الأمر وجعلني ضدكم  
ما قاتلكم بمسكر يكون عدده ثلثا عساكركم التي تكلفونيها ، ومدة ملكي كالأربعين  
ثمان سنين ، ومدة ملككم تعدى مئاة من السنين ، وعساكركم كثيرة ، وآلاتكم  
الحريرية قوية ، ومع هذا البون العظيم الذي بيني وبينكم فاني أعرض عليكم أمورا

فاختاروا واحدة منها وهي : إما أن تعطوني ما أحتاجه من أدوات الحرب بالشراء ثم أنظم  
عسكراً يكون نصف عسكركم الذي نحاربون به . وحينئذ نحارب . واما ان بقوا  
في مواضعكم التي تغلبتم عليها وأبقى أنا في بلادى التي تحت حكمي ، ثم لا يقرب أحدنا من  
الأخر مدة اثنتي عشرة سنة فيبلغ عمر ملكي عشرين سنة . وحينئذ أقاتلكم فان غلبتكم فلا  
عار عليكم اذ يقال غلبكم رجل له قوة عشرين سنة ، وان غلبتم أتم فتكونوا قد غلبتم رجلا  
له قوة فيحصل لكم الفخر عند الملوك ، وأما اليوم فانتصاري عليكم بعد فضيحة لكم عند  
الدول ، وانتصاركم على لا بعد فخر أحيث انكم غلبتم رجلا عمر ملكه ثمان سنين ولا  
قوة عنده يناقاكم بها . ومن الامور التي اقترحها عليكم انكم بعمثون من قبلكم من بعد  
عسكري ثم اخر جوامن عندكم في مقابلة كل واحد رجلين من عسكركم وأعطيتكم العهد  
انى لا أزيد عسكرا واحدا على ما تمدون . وحينئذ الغالب على الوطن . ومنها ان يخرج  
المرشال للبراز ويخرج له واحد من خلفائي فان غلب صاحبكم فلا تازعكم في طريقكم  
من الجزائر الى قسنطينة ، ومن أراد من المسلمين أهل تلك النواحي البقاء تحت حكمكم  
فلا تعرض له ، وان أراد الخروج منها ويلحق ببلادى فاقم لا تعرضون له . ومنها  
ان ابن الملك يبارزنى فان غلبته فانكم ترجعون بمساكركم الى بلادكم وتكون سائر  
المدن التي في يدكم الآن بما فيها من الذخائر والمهمات ، وان غلبني فانكم تستريحون  
منى ويبقى لكم الوطن من غير منازع . فان اخترتم واحدة من هذه الامور فلا بد أن  
يحضر واقصا للدول ليشهدوا عليكم بقبولكم ذلك ، وأما نحن فلا نخالف كلمتنا ،  
وان استضعفتمونا ولم تبالوا بما قلناه اعتادا على قوتكم فنحن قوتنا بالله القادر على كل  
شيء هو ولينا وانصرنا



## خطبة اليأس والتسليم

لما ضاقت الدنيا في عين الامير من صنيع سلطان المغرب الأقصى ومما لانه  
 الفرنسيس عليه جمع اليه أهل شوره وقام فبهم خطيبا وقال :  
 يا قوم ان الاحوال كآثرون ، والاخبار على ما تمسمون ، فما الرأي وما الحيلة ؟  
 فقالوا: الرأي لسيدنا قالذي رآه نحن معه فيه . فقال : لا أرى الا التسليم لقضاء الله تعالى  
 والرضى به ، ولقد أجهدت نفسي في التنب عن الدين والبلاذ ، وبذلت وسعى في  
 طلب راحة الحاضر منها والباد ، وذلك من حين اهتز غصن شبابي ، وافتر عن شبابة  
 الهندي ناني ، وأقيمت على ذلك ما ينيف على سبع عشرة سنة أقتحم المهالك ، واملا  
 بالجيوش الجراحة العجاج والمسالك ، استحقق العدو على كثرتة ، واستسهل استصعابه ،  
 وأتوغل غير خائف أوديته وشما به ، وأرتب له في طريقه الرصائد ، وأنصب له فيها  
 المسكائد والمصائد ، تارة أقصص عليه اقضاض الجراح ، وأخرى أنصب اليه  
 انصباب الطير الى المسارح ، وكثيرا ما كنت أيتته قافيه ، وأصبحه فارد غليلي منه  
 وأشقيه ، ولا زلت في أيامي كلها أرى المنية ولا الدنيا ، وأثمر عن أقوى ساعد  
 وبنان ، وأقضى حق الجهاد بالهندي والسنان ، الى أن فقدت الماخذ والمساعد ،  
 وفي الطارف من أموالى والثالذ ، ودبت الى من بني دني الا فاعى ، واشغلت على منهم  
 المساعى ، والآن بلغ السيل الزبى ، والحزام الطيبين ، فسبحان من لا يكيده كائد ،  
 ولا يبيد ملكه وكل شىء بائد

ان يسلب القوم العدا \* ملكى ونسمنى الجموع (\*)

فالقلب بين ضلوعه \* لم تسلم القلب الضلوع

أجلى تاخر لم يكن \* بهوى ذل والخضوع  
 ماسرت قط الى القتا \* ل وكان من أمل الرجوع  
 شيم الاولى أنا منهم \* والاصل تتبعه القروع

محاسن الاخلاق وعامد الآداب

في الشريعة الاسلامية

إن شريعة محمد عليه الصلاة والسلام مشقة على محاسن الاخلاق وعامد الآداب  
 وكل ما يكون به الوفاق والائتلاف والاتفاق ، والخلوص بين العباد ، وتصلح به  
 المعيشة الدنيوية ، وتعمر به البلاد سواء في ذلك أهلها أو غيرهم . فدين الاسلام  
 يحتوى على كل شيء مستحسن لم يشكر منه عدو ذوق عقل سليم شيئا ، بل كل جاحد  
 له وكافر به إذا سمع مبادئه صوبه واستحسنه دون طلب برهان عليه لوضوحه ،  
 فهو دين جامع لكل ما تفرق في الأديان والشرائع الساقطة كما قال المسيح عليه السلام  
 ما جئت لا بطل التوراة ولكن جئت لا أكمله ، فكذلك محمد عليه السلام ما جاء  
 ليبطل التوراة والانجيل بل جاء ليكملهما ، فالتوراة جاء بالقصاص ، النفس بالنفس ،  
 والانجيل جاء بالعفو ، إذا لطمك أخوك على خدك الا بصر ضع له خدك الايمن .  
 والقرآن جاء بالقصاص في قوله : « كتب عليكم القصاص في القتلى » الآية ،  
 وبالعفو في قوله : « فن عفوا وأصلح فاجره على الله » . الى غير ذلك مما يطول تتبعه ،  
 وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ، تمرى بها  
 بان الأنبياء قبله بمثلها بمكارم الاخلاق وقيمت عليهم بقية فبعث بما كان معهم وبتمامها  
 قاله الحكيم الترمذى ، فإمن خلق حسن ولا صفة حسنة سواء يدرك العقل حسنها أولا  
 مما يحصل به طيب الحياة الدنيا إلا جاء الشرع بمدحها والامر بها والوعدها بالجنة ،

ومامن صفة نعمة أو خصلة لقيمة مما يحصل به التنافر بين العباد الاجاء الشرع بئنها  
والنهي عنها ، والتوعد عليها بالنار ، ويان ذلك في مثل الصدق والوقاء والاحسان  
والآثار والاقتصاد في الامور ، والاشتغال بمسب النفس عن عيوب الناس ،  
والانصاف من نفسك ، واثاق المال لصيانة العرض ، والامر بالمعروف والنهي عن  
المنكر ، واصلاح ذات البين ، واماطة الاذى عن الناس ، والاستشارة والادب  
والاحترام ، والاجلال لافاضل الناس ، وادخال السرور على الناس ، والارشاد  
لهم بالطيم والترية ، وإفشاء السلام ، واكرام الجار ، واجابة السائل ، والاعطاء  
قبل السؤال ، واستكثار قليل الخير من الغير ، واحتقار من نفسك ، وبذل الجاء ، وبذل  
البشاشة والبشرى وجوه الناس ، والتواضع ، والتعاون على الخير ، والثاني ، والتواضع ،  
وتزيل الناس منازلهم ، والصبر والتغافل عن زلالي الناس ، وتحمل الاذى ، وترك  
الاذى ، وترك للسخر ، وتجنب العجب ، وترك معاداة الرجال ، والجدال ، والتكلف ،  
وتجنب مواضع التهم ، وتجنب الظلم ، الى غير ذلك كالتبات في الامور وجلب المصالح  
للعباد ودفع المفاسد عنهم والحلم والحياء وحفظ الامانة والمهد وحماية المرضى  
والصمت عما لا يعني والتعلل في المقال والتأمل فيه وحسن الفطن وطيب المعاشرة  
وطلب المعيشة ورحمة الضعفاء ، والصغار والرضى بالدون من المجالس والرفقة وخدمة  
الضعيف والاسحاب والفقراء والرفق في المعيشة والرافة والزهد في الدنيا والسخط  
والسماحة والصبر عن الذنب والصدقة وصلبة الرحم وطهارة الباطن والفة والسذل .  
والنفور والهمسة والقيام بحق الحق تعالى والخلق وقبول الحق وقول الحق وقضاء  
الحوائج للناس وكظم الغيظ والمدبرة والمخاطبة بنية الكلام والمعاشرة بالمعروف ومعرفة  
الحق لاهله ولن عرفه لك والمكافاة وهضم النفس وترك الحقد والحسد وحب المال  
وتجنب العداوة والبغضاء وترك التذلل للاغنياء وترك الشح والبخل وتجنب الغل

والكذب والقدور والغش والايذاء وتجنب الظلم والجفاء والجور والطيش وترك المجلة  
والبنى وتجنب الحدة ومجد الحق وانكاره وترك اثاره الفتن وتجنب ضيق الصدور  
وترك سوء الظن وتجنب قلة الرحمة وقلة الحياء وتجنب الحرص والحق وترك حب الرئاسة  
وتجنب كفران النعمة وترك طلب الملو على الناس وترك الطمع وتجنب الجهل وترك  
المسكر والحيانة والمخادعة وغير ذلك فان الاخلاق الحمودة والمذمومة غير محصورة  
فيما ذكرناه « الى أن قال » وبقى الامم وان كانت تني بالهدوء وتستقيج القدر والكذب  
فالامة العربية أكثر وأشد من جميع الامم في ذلك فانهم في جاهليتهم كانت لهم قوس  
زكية وأخلاق مرضية وأفعال كريمة وهم عظمة وعقول راجحة وآراء ناجحة وشرف  
صميم وأهمة من كل خلق ذميم طبعوا على خصال الفضل والمروءة قبل أن تكون بينهم  
النبوذة . . روى عن شبيب ابن أبي شبة قال : كنا في مجلس اجتمع فيه كثير من الاشراف  
فورد علينا ابن المقفع وكان من اشراف الفرس وحكمتها وعلماؤها فقال لنا : من أفضل  
الامم ؟ فنظر بعضنا الى بعض وقلنا لله يعيل الى أصله قلنا فارس فقال ليسوا هناك  
ملكوا كثيرا من الارض وحووا عظيميها من الملك ولبنوا في ذلك دهرافا استنبطوا  
بعقولهم شيئا . قلنا الروم . فقال أصحاب صنعة . قلنا الصين . فقال أصحاب طرفة . قلنا  
الهند قال أصحاب فلسفة . قلنا السودان قال شر خلق الله . قلنا الخزر قال نعم سائمة . قلنا  
فن ؟ قال العرب . فضحكنا فقال ما أردت موافقتكم ولكن إذا خافني حظي من النسب  
فلا يفوتني حظي من المعرفة والادب . وذكر المؤرخون أن يزدجرد بن سابور ذي  
الاکتاف لما ولد له ابنه بهرام جور أخبره منجموه عن مولده وسعادته وجدوم مصير  
الملك اليه بعد شدة ومحنة وانه ينشأ بين أمة نائية ذات هم عالية وحلوم زكية وقوس  
أبية ففكر يزدجرد في خصائص الامم ومزاياها فرأى أن العرب أولى الامم بتلك  
الاخلاق التي وصفها له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الى النعمان الاكبر بن

امرىء القيس فاستحضره مع جماعة وافرقة من رؤساء العرب وساداتها فوصلهم وبرهم وسلم اليهم ابنه بهرام جور وأمرهم بكفالاته فاسترضعوا له نسوة الى أن كبر وكان من أمره ما يطول ذكره . . . وإذا كان طبعهم ماذكر في زمن الجاهلية فكيف بعد ما هذب طبعهم الوحى والآيات القرآنية ولذا تراهم فى الجاهلية والاسلام أكثر مدحهم بالصدق والوفاء وأشد ذمهم بالعدو والكذب ولهم أسجاع وأشمار تخرج عن حد الاحصاء « فنها » انه قيل لبعضهم ما قيمة الصدق قال طول العمر فى الدنيا . قيل له فاقية الكذب قال موت عاجل . وقيل لبعضهم : ما أفضل الروعة قال : رغبة الرجل فى الوفاء بوعده وعهده . وقال بعضهم من وفا بالهد ، فاز بالحد ، ومن عرف بالصدق ، قبل كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه ، وقال بعضهم أربعة من علامات اللؤم استعمال القدر وافشاء الامر واساءة الجوار وتجنب الاختيار

### من رسالة له الى وزير الایالة التونسية

ان ما بيننا من الودعتين عرى الحقائق ، فلا يحول عنه مركز نبوته عائق ، وقد ارتبطت فى الله معاقده ، وأسست على المحبة لاجله قواعد ، ولقد أوليتم فاخلصتم ، وعرفتم حقوق الاخوة فابذعنوها و بأعبائها قمت ، ثم تكرمتم بما يدل على ذلك دلالة الروض على الزهر ، والشاطيء على النهر ، وهو التيشان العالى الشأن الذى تفضلت به الحضرة الصادقية أبدها الله على ولادى الاكبر السيد محمد وكونه من الزينة الاولى ، صار شرككم عندى من كل شكر أحق وأولى ، نساله تعالى أن يبقى تلك الذات السنية ، سامية الركاب ، عالية القباب ، بمنه تعالى وكرمه



## نبذة من شعره

### مقصودة في الفخر

توسد عهد الأمان قدمرت النوى \* وزال لعوب السير من مشهد النوى  
وعر جياتا جاد بالنفس كرها \* وقد أشرفت مما دعاها الى النوى  
وكم قد جرت طلقا بنا في غياهب \* وخاضت بحار الأكل من شدة الجوى  
وكم من مفازات يضل بها القطا \* قطعت بها والذئب من هولها عوى  
لذا قد غدت مثل القسي ضوامرا \* وتلك سهام للعدا وقمها شوى  
الى أن بدت نيران أعلامنا لها \* وما ضوء نيران الكرام له انزوا  
ولاسيما أهل السيادة مثلنا \* بنوا شرف المحض المصون عن الهوى  
فقال أيا ابن الراشدى لك الهنا \* كفى فترك التسيار واحمدو بحى النوى  
ألا يا ابن خلاد تظاولت للملى \* وباينت مأواك الكريم وما حوى  
فن أجل ذا قد شد فى ربنا لها \* عتالا ونادينا لك المز قد نوى  
وحل بكهف لا يرام جنابه \* فن حل فيه مثل من حل فى طوى  
فانا أكايل الهداية والملى \* ومن نشر عظام ذوى المجد قد طوى  
ونحن لنا دين ودنيا نجما \* ولا نغر إلا ما لنا برفع اللوا  
مناقب مختارة قادرية \* تسامت وعباسية مجدها احتوى  
فان شئت علما تلقى خير عالم

وفى الروح أخبارى غدت نوهن القوى .

لنا سفن بحر الحديث بها جرت \* وخاضت فطلاب الورد بمن به ارتوى  
وان رمت فقه الاصبحى ففج على \* بحالسنا تشهد لداء العنادوا  
وان شئت نحوا فانحنا تلقى ماله \* غدا يدعن البصرى زهدا بما روى  
ولانا سقينا البيض فى كل معرك \* دماء العدا والسرأسمرت الجوى  
لم تر فى «خندق النطاح» نطاحنا \* غداة الثقينا كم شجاع لهالوى \*  
وكم هامة ذاك النهار قد دنتها \* بمجد حسامى والقنا طمته شوى  
وأشقر نحتى ككلمته رماحهم \* مراراً ولم يشكو الجوى بل وما التوى  
بيوم قضى نجبا أخى قارتقى الى \* جنان له فيها نبى الرضى اوى  
فما ارد من وقع السهام عنانه \* الى أن أتاه القوز برغم من عوى  
ومن بينهم حملته حين قد قضى \* وكم رمية كالتجم من أفعه هوى  
ويوم قضى نحتى جواد برميمة \* وبى أحدقوا لولا أولوالياس والقوى  
وأسيافنا قد جردت من جفونها \* وردت اليها بعد ورد لقد روى  
ولما بدا قرنى ييمناه حسربة \* وكفى بها نار بها الكبش يشتوى  
فايقن أنى قابض الروح فانكفا \* بولى فوافاه حسامى مذ هوى  
شددت عليهم شدة هاشمية \* وقد وردوا ورد المنايا على النوى  
نزلت «برج العين» نزة ضيفم \* فزادوا بها حزنا وعمهم الجوى  
وما زلت أرميهم بكل مهند \* وكل جواد همه الكر لا الشوى  
وذاد أبنا فيسه الحياة لديننا \* وروح جهاد بعد ما غصنه ذوى  
جزى الله عنا كل شهم غدت به \* غريس لها فضل أتنا وما الزوى  
فكم أضر موانار الوغى بالظبي معى \* وصالوا وجالوا والقلوب لها اشتوى

\* خندق النطاح اسم مكان جرت فيه واقعة بين الامير وبين الفرنسيين سالف فيها النصر  
بطل الجزائر

وانا بنو الحرب العوان بها لنا \* سرور إذا قلمت وشائننا عوى  
لذلك عروس الملك كانت خطيبي \* كفجاة موسى بالنبوة في طوى  
وقد علمتني خير كفاء لوصلها \* وكرد عنها خاطب بالهوى هوى  
فواصلها بكرا لدى ترجت \* ولي أذعنت والمعتمدى بالنوى نوى  
وقد سرت فيهم سيرة عمرية \* وأسقيت ظاميا الهداية فاروى  
وإني لارجو أن أكون أنا الذي \* ينير الدياجى بالسنا بعد ما لوى

### البادية والحاضرة

يا عذراً لا مرمى قد هام في الحضر \* وعاذلاً لحب البدو واقفر  
لا نذمن بيوتا خف محلها \* وعدحن بيوت الطين والحجر  
لو كنت تعلم ما في البدو تمدنى \* لكن جهلت وكفى الجهل من ضرر  
أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا \* بساط رمل بها الحصباء كالدرر  
أوجلت في روضة قد راق في منظرها \* بكل لون جميل شيق عطر  
نستشغن نسيما طاب مُنْتَشِئاً \* يزيد في الروح لم يمرر على قدر  
أو كنت في صبح ليل هاج هاتته \* علوت في مرقب أوجلت بالنظر  
رأيت في كل وجه من بساطها \* سر بلبن الوحر رعى أطيب الشجر  
فيها وقصة لم تبق من حزن \* في قلب مضنى ولا ضنكالدى ضجير  
نباكر الصيد أحيانا فتبغته \* فالصيد منامدى الاوقات في زعر  
فكم ظلمنا ظليبا مع نعماته \* وان يكن طائرا في الجو كالصقر  
يوم الرحيل إذا شدت هواجنا \* شقائق عمها مزن من الطر  
فيها المذارى وفيها قد جعلن كوى \* مرقعات باحداق من الحور

تمشى الحداة لها من خلفها زجل \* أشهى من الناي والستير والوتر  
ونحن فوق جياذ الخيل تركضها \* شليلها زينة الاكفال والخصر  
نطارذ الوحش والنزلان نلحقها \* على البعاد وما تنجو من الضمر  
نروح للحى ليلا بعد ما نزلوا \* منازلها ما بها لطف من الوضر  
نراها المسك بل أتقى وجاد بها \* صوب الصمام بالاصال والبكر  
نلق الخيام وقد صفت بها فعدت \* مثل السماء زهت بالانجم الزهر  
قال الاولى قد مضوا قولا بصدقه \* قل وعقل وما للحق من غير  
الحسن يظهر في بيتين رقيقة \* بيت من الشعر أوديت من الشعر  
أمانا ان أمت عند العشي نخل \* أصواتها كدوى الرعد بالسحر  
سفائن البر والانجي لراكبها \* سفائن البحر كم فيها من الخطر  
لنا المهاري وما للريم سرعتها \* بها وبالخيل فلنا كل مفتخر  
نخيلنا دائما للحرب مسرجة \* من استغاث بنا بشره بالظفر  
نحن الملوك فلا تمدل بنا أحدا \* وأى عيش لمن قد بات في خفر  
لا نحمل الضم من جار تركه \* وأرضه وجميع العز في السفر  
فان أساء علينا الجار عشرته \* نبين عنه بلا ضر ولا ضرر  
تبيت نار القرى تبدو لطارقنا \* فيها المداواة من جوع ومن خطر  
عدونا ماله ملجأ ولا وزر \* وعندنا عاديات السبق والظفر  
شراها من حليب ما يخالطه \* ماء وليس حليب النوق كالقمر  
أموال أعدائنا في كل آونة \* نقضى بقسعتها بالعدل والتدر  
ما في البداة من عيب تدم به \* الا المروءة والاحسان باليدر  
وحمة الجسم فيها غير خافية \* والميب والدامتصو وعلى الحضير

من لم يمت عندنا بالظمن عاش مدى \* فنحن أطول خلق الله في العمر  
مدينة تلمسان

الى الصون مدن تلمسان يداها \* وليت فهذا حسن صوت نداها  
وقد رفعت عنها الازار فلج به \* وبرد قوادا من زلال نداها  
وذا روض خديها فتق نوره \* فلا ترض من زاهي الرياض عداها  
ويطالما صانت قباب جمالها \* عداة وهم بين الانام عداها  
وكم رائم رام الجبال الذي ترى \* فارداه منها لحظها ومداها  
وحاول ثم الخال من ورد خدها \* فضنت بما بيني وشط مداها  
وكم خاطب لم يدع كفا لها ولم \* يلتم طرفا من وشى ذيل رداها  
وأخر لم يستد عليها بمصعة \* وماسها مساً أبان رضاها  
ولم تمنع العذرا اليه بمطقة \* ولم يتمكن من جميل سناها  
وشدت نفاق الصدصون لحسنها \* فلم يتمتع من لذذ لماها  
وأبدت له مكرا وصدا وجفوة \* وسدت عليه مانوى بنواها  
وخابت ظنون المفسدين بسعيهم \* ولم تنل الاعداء هناك مناها  
قد اقصمت من تلمسان حبالها \* وبانت وآلت لا يحل عراها  
سوى صاحب الاقدام في الرأي والوغي \* وذى الفيرة الحامي حماها  
ولما علمت الصدق منها بانها \* أنا التي الكرى وحزرت علاها  
ولم أعلم في القطر غيرى كافلا \* ولا عارفا في حقها وبهاها  
فبادرت حزما وانتصارا بهتي \* وامهرتها حبا شفاء دراهها  
فكنت لها بعلا وكانت حليتي \* وعرمى وملكي ناشرا للواها

ووشعتها ثوبا من المزارفلا \* فقلمت بأعجاب تجبر رداها  
ونادت أعبد القادر المتقد الذي \* اغتث أناسا من بحار هواها  
لأنك أعطيت المفاتيح عنوة \* فزدني أيا عز الجزائر جاها  
وهران والمرسة كلاهما حوت \* غدت حائزات من حماك مناها

### من رسالة الى ولده

أحباب قلبي كم بيني وبينكم \* من أبحر وصفها قد صبين عن حد  
تحرار فيها القطا والى يدركها \* حتى الجهات بها تخفى عن التصدد  
ما كنت أدري بأن الدهر يبعدكم \* عني ويتركني من بعدكم وحدى  
قد خاتني الصبر ما أجدى بمنفعة \* سوى الدائم قد سالت على خدى  
والطيف مثل لى أوصافكم فبدا \* بشرى ومذقت غير الحزن ما عتدى  
هل النزال الذى أهواه يسمفنى \* بالوصل يوما كى قد كان فى العهد  
هل النور الذى أهواه يسمدنى \* بالقرب من بعد ما أبدى من الصدد  
يا ذا النور الذى فى القلب مرئى \* أرتع به لا ترع قال صب فى بعد  
انى وإن كنت منى نافرا فلقد \* أرضى بطيف خيال منك لا يجدى

### من رسالة الى ابنة عمه

أقول لحبيب تخلف من بعدى \* عليلًا بأوجاع القراق وبالبعد  
أما أنت حقًا لو رأيت صبايقى \* لهان عليك الأمر من شدة الوجد  
وقلت أرى المسكين عذبه النوى \* وأنمله حقًا الى منتهى التصدد  
وساءك ما قد نلت من شدة الجوى \* وقلت فما للشوق أرمك بالجد

فانى وحق الله دائم لوعة \* ونار الجوى بين الجوانح في وقد  
غريق أسير السقم مكوم الحشا \* حريق بنار الهجر والوجد والصد  
غريق حريق هل سمعتم بمثل ذا \* ففى القلب نار والمياه على الخد  
حنيني أنبى زفرنى ومضرنى \* دموعى خضوعى قد أنابوا لى عندى  
ومن عجب صبرى لكل كربة \* وحلى لا تقال تجل عن العد  
ولست أهاب البيض كلالا ولا القنا \* بيوم تصير الهام للبيض كالعمد  
ولاهالى زحف الصفوف وصوتها \* بيوم يشيب الطفل فيه مع الرد  
وأرجأه أضحت ظلاما وبرقه \* سيوف وأصوات المدافع كالرعد  
وقد هالى بل قد أفاض مدامى \* وأضنى فؤادى بل تعدى عن الحد  
فراق الذى أهواه كهلا ويقما \* وقطبي خلى من سعاد ومن هند  
خلفت محلا لم يكن حل قبلها \* وهبات أن بحل به الغير أو يجدى  
وقد عرفت الشوق من قبل والهوى \* كذا والبكا يا صاح بالقصر والمد  
وقد كلفتى الليل أرعى نجومه \* إذا ما به المرتاع بالمد والصد  
فلو حلت رضوى من الشوق بعض ما \* حملت لذاب الصخر من شدة الوجد  
الاهل لهذا البين من آخر فقد \* تطاول حتى خلت هذا الى الحد  
الاهل بجود الدهر بعد فراقنا \* فيجمعنا والدهر يجرى الى الضد  
وأشكوك ما قد نلت من ألم وما \* تحمله ضمنى وعالجه جهدى  
لكى تلمى أم البنين بانه \* فراقك نار واقتربك من خلد

### وصف قصره بدمره

عج بي فديتك في أباطح دُمَرٍ \* ذات الرياض الزاهرات الثُضر  
ذات المياه الجاريات على الصفا \* فكانها من ماء نهر الكوثر  
ذات الجداول كالاراقم جريها \* سبجانه من خالق ومصور  
ذات النسيم الطيب العطر الذي \* يغنيك عن زبد وسك أذفر  
والطير في أدواحها مترنم \* برخم صوت فاق نعمة زمزم  
مغني به النساك يزهو حالها \* ما بين أذكار وبين تفكر  
ما شئت أن تأتي بها من ناسك \* أو فاتك في فكه متطور  
أين الرصافة والسدير وشعب بو \* وان اذا أنصفتها من دُمَر

### ألم العراق

ألا ان قلبي يوم بنم وسرتموا \* غدا نعلم خلف الظمون يسير  
يقامى مرار الموت من ألم الجوى \* فما لي إلا أنة وزفير  
رحلتم ولوتدروا رحمتم فينكم \* لخطي يوم للبلاء عسير  
وكنت ليوم البين أعددت عدة \* وفي الظن ما أعدته لكبير  
نغان الذي أعدته لهراقم \* وولت جيوش الصبر وهي غرور



## ابراهيم مرزوق بك

### ترجمته

ولد سنة ( ١٢٣٣ ١٨١٧ م ) ونشأ محبا للادب فأخذ العلوم عن أديبه عصره وشيوخه فبرع في الكتابة وأجاد الشعر وكان من قوة الحافظة بحيث كان يستظهر من مختار الشعر على ما قيل عشرين ألف بيت سوى المتون العلمية وغيرها من الانباء والآثار . رحل الى السودان وقام بمظاهرة الحكمدار مظهر باشا على تأديب الثوار في كسله واطفاء فتنتهم واصلاح حال البلاد في عصر الخديو اسماعيل وله فيه وفي آباءه الفرائد الكرام مدائح سنية . توفي بالخرطوم سنة ( ١٢٨٣ ١٨٦٦ م ) وقد عني بجمع شعره في كتاب الادب محمد بك سعيد بن المرحوم جعفر باشا مظهر وسمعه « بالدر البهي المنسوق بدويان الاديب ابراهيم بك مرزوق » وطبعه سنة ١٢٩٧

### مميّزاته

قليل من أديبه هذا المصّر من يعرف ابراهيم مرزوق بك ، وأقل منهم الذين يعرفون له قدره ويحلونه منزله اللامعة به من الفضل والادب . مع أنه كان من خيرة شعراء وقته ومحسني كتابه على طريقة السجع المعهودة في أقلامهم في ذلك العهد . فله الحصول

الرائقة ، والتصانيد الفائقة . ومارأيت فيما قرأت لشعراء عصره من كان يبلغ مكانه ، أو يدانيه في اجادة التشطير ، وإحكام التخييس ، فقد جمع فيهما إلى حسن المطالع ، غمامة الصدور ، وجمال الاعجاز ، مع لطيف التوليد ، وبديع الاختراع . فكما النادرة ، طريق البادرة ، منسجم الخمرات ، رقيق الغزليات ، وصافا لجمال السرور وحلبات الانس والحبور . ولولا ما أصابه من الزمن ومحنته ، والنهر واحنه ، لبرز في أول زمنه ، على ان هذا ليس بمانعه من أن يمد إلى أولى طبقاتهم في الأدب ، بداليتعلق منها بسبب

## مُؤَلَّفَاتُهُ

رحلة السلامة ونحلة الكرامة — رسالة وصف فيها حالة السودان ومارأه فيه من ملاحظات وهي على الطريقة السجمية طبعت في وقتها ولا توجد الآن . ولا أظن ان له سواها من التصانيف بعد قصائده ورسائله



# آثار أعلامه

## نخب من نثره

### مدينة الخرطوم

اخذت ناغوارب الاقتاد ، وجبن الصخور والاثاد ، مستدين في المهامه والقار ،  
مستدين الى أعواد الاكوار ، مصطحين مايفت في عصف الاضطار ، وقلب  
قلب القرار على النار ، من شمت الطريق ، وحزن نث الضيق ، الى أن وصلنا بالمقدر  
المحتوم ، الى بندر الخرطوم ، فكانت الخفوة بالقذى ، المحروسة بالاذى ، لاتها  
القرية الظالم أهلها ، المستحيل مثلها ، بسبب هواها الوخيم ، ووبائها المستديم ،  
فكنت تراها أقذر من بيت الدجاج ، وأهون من تباله على الحجاج ، لما بهامن  
الحشرات ، المجهولة الامماء والصفات ، التي ليس منها خلاص ، ولا للجروح  
قصاص ، لتواردها من الست الجهات ، الى شن الفارات ، ويكاد المقسم بها وقت  
القيظ ، يقيز من النيط ، ويستنيث من السمير ، في أوقات الزمهرير ، فهي بين ريح  
متخافه ، وزعازع متوافه ، وظلال من الضباب ، كانه يوم الحساب

بلاد لامعين من رعاها \* ولا حسن بأهلها اليسار

إذا لبس الدروع ليوم يؤس \* فاحسن ما لبست لها القرار

فلومكثت غير بعيد ، وأجلبت بنجيل المصمم والوليد ، واستعديت بذى القرنين ،  
واستعجدت من وراء الصدفين ، ونشرت أباسم الخرسماني ، وخرجت في رايات

« أعيان البيان »

« م — ١٣ »

السفاني ، وبعث بالرياح السواقي ، ورمت بثلاثة الاتافي ، ورصدت الكواكب ، وميزت بين المغلوب والغالب ، وزحفت في جنود صقّين ، وقالت الى يوم الدين ، لما كنت ظفرت على حشراتها بالفتوح ، ولوعمرت عمر نوح ، فانا كنا في مصادة الامطار ، ومزاحمة الاقدار ، لولا أن من الله بحضور سعادة جعفر مظهر باشا الحكدار ، فانه قد شمر عن ساعد الاجتهاد ، وبث الطلائع والرواد ، واستدرك ما فات ، في دفع الاتافات ، وبذل جهده في تنقية هذا البلد ، والدوام ولد ، وأكب بهمة عليها ، ونظر بعين العناية اليها ، ومامل أنها بهمة ان لم تكن كإرم ذات العماد ، فلا بد أن تعد في مقدر البلاد ، وينال أهلها الرفاهية ، ويقتمون بثمرات الامنية ، ويذايحون في تمدن باقي الدول ، ويقاومون بالعمارية أكبر الملل ، في ظل الساحة الداورية ، وحسن توجهاتها البسنية ، أعان الله تعالى الحكدار على ذلك ، ووقفه لما هنالك

وأما أهلها الآن ، فهم على حال من غير من الزمان ، زاعمين انهم أرداف أفيال ، وأبناء أقيال ، فترى منهم الملحف للحاجات ، من طريق العادات ، ومنهم من يلزمك في الصدقات ، فان أعطوا منها رضوا ، والا أعرضوا ، عليك اعتراضوا ، ويمشي الناهي ، وهولاهي

وكم ترى كلما أمعنت في رجل \* مثل النعامة لا طير ولا حمل  
يمر كالثور والاطواد تنشده \* انا محيوك فاسلم أبها الطلل  
وأدخل من هذا القبيل ، في الربيض والطويل ، الى ملايزه وفي المين ، ولا ينفق بدرهمين

ان ترره تجده أخلق من شيب القواني ومن تعني الطلول  
ومني أضررت عن هذه الخباياث ، وعز زتها باثالث ، رجعت الى العساكر السودانية ،

والسلالة الشيطانية، فالقول بيان ، وليس الخبير كالبيان ، ضروب من الانعام ، لا يميزون بين الحلال والحرام ، قد كان استدرجهم الامهال ، وتوسع لهم المجال ، حتى طغوا في البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، فتوطنوا حجور المظالم ، وارتضوا اخلاف المآثم ، حتى صاروا بمديرية التاك « كسله » أظلم من جند السفينة ، وأجرأ من الزيد على حرم المدينة ، ولكن سطوة القوة العسكرية بنفوذ الصحة الخلد يوبة ، قد أوقعت بهم الحين ، في أقل من طرفه عين ، حتى صاروا كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ، كلا قد دخلت منهم البلاد ، واستراحت العباد ، والذين اعتصموا بالتوبة والتموا بالابوة ، صار جلاؤهم عن مدرج أوكارهم ، وأخرجوا من ديارهم ، وبدد شعلهم ، وفارقوا أماكنهم ، فاصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ، وتلك عاقبة المفسدين ، والحمد لله رب العالمين

### من رسالة الى شرف باشا

الكرم يصون وجهه الحر عن الابتذال ، وفيه بمزكومه ذل السؤال ، والعبد منتظر اشراق طارق السعد ، لو توفقه بنجاز سالف الوعد ، وقد عيل الاضطبار ، وطال الانتظار ، والمأمول في سيدي أن لا ينجيب قاصده ، وبجر كرمه لا يظما وارده ، وقد أشاع القاصي والداني ، أني بلغت بهمة الاماني ، حتى وفدت على مراسلة الهاني ، من أصدقائي وخلاني ، وحاشا كرمه الجم ، واحسانه الذي عم ، ان يرضى بمودي صفر اليدين ، ورجوعي الى أهلي جُفَى حنين ، سببا وقد علم الجميع ، أني التجأت الى ركن مجد منيف ، وتمسكت من حسن التفاته بوعدي بكرم شريف

## نيزمه شعره

تخميس قميس

على سينية ابن خطيب داريا

بحق عهد بيتنا مانسى \* وفرط تعذيك للانس  
وشر بك الياقوت بالاكؤس \* «هات استنى الصبا بعامؤسى  
على بساط الزهر والترجس»

واهم بها عنى صروف الجوى \* وخل من بالوم فيها غوى  
واسق كايم القلب فى الدواء \* «فالوقت قد راق ورق الهوى  
وجاد بالوصل الزمان المسى»

ان الصبا فى حسن نسياره \* قد جمعد الماء بتياره  
وحسرك النفس بمزمارة \* «والروض قد وافى بأزهاره  
يقيه فى زاه من الملبس»

أما ترى تاج الربيع انقصد \* وألبس التهر دروع الزرد  
وخلق الارض ثوب الجسد \* «كانما الاغصان غيد وقد  
لبسن آتوايا من الاطلس»

كانما عصفورها شارب \* بهزأ بى كائننى نائب  
والروض خود والحايا خاطب \* «كانما شحرورها راهب  
يردد الانجيل فى بُرس»

والترجس النفس لنا رائق \* وبالتصابي لحظه ناطق  
والدوح منه لونها رائق \* « كأنما مصفرها عاشق  
صبب أثواب الضنى قد كسى »

كأنما الازهار لما زكت \* من شوكة الورد جميعاً شكت  
والبلبل الصائح خوفاً سكت \* « كأنما الخيلان نار ذكت  
لكن بغير الطرف لم تقبس »

كان طرف الدهر عنا قذى \* وقد رقينا برق العائد  
طائر قلبي فرّ من متندى \* « كان غصن البان قد اذى  
أهواه في ملبسه السندى »

لو خفت مثلي طرفه الادعجا \* أولو رأيت فرقه الابلجا  
والشمرلو أبصرت لما سجا \* « كان بدر التم تحت الدجى  
جينه الباهر فى الهندس »

فيا نديما لى بمخلوجة \* مصباحها ضاء بديحوجة  
نفسى لا ترضى بمشجوجة \* « فمأطنها غير ممزوجة  
عذراء تجلو صداً الاقصى »

بحق ارشادك فى نهجها \* ورشفها كالشمس فى برجها  
لا تمن الماء على شجها \* « فان يكن لابد من مزجها  
فن رضاب الشادن اللامس »

فلو سقيت المصدم المعسرا \* كأنسا دهاقا ذهباً أحمرأ  
لصار فى الحال ملك الورى \* « فاشرب وناولنى الى أن ترى  
طلق لسانى عاد كالأخرس »

واشرب وشم نجم المنا طالما \* واسق فتى في غمها طامعا  
وكلما قلت أمل كن طامعا \* « ولا تكن مني بذا قانعا  
حق تراني ضحكة المجلس »

وخل أهل الفقه نهذى به \* ومل الى الشعر وتهذيبه  
في حلية الكاس وتهذيبه \* « هذا هو العيش ومن لى به  
في دبرمار الياس أوبطرس »

واقفها عنك أذى حتهم \* والروم قضى العمر في عشقهم  
وفهم قارع وفي حتهم \* « رهبان دبر طيب أخلاقهم  
أصفى من الراح لمستانس »

أما تراها للصفا منهاجا \* فلا تطلع في شربها من هجا  
واشرب وامهر بكرها بالهجا \* « مع فتية شبه بدور الدجا  
إذا بدوا في اسود للملبس »

فبع قيس الكتب واشترطلا \* واهجر شيوخ الفقه هجر القلي  
واحبب ظباء نغم قد حلا \* « أكثر أفاضلهم اشرب فلا  
تسمع فيها أفت أودرس »

فالمر عند الفطن التابه \* مستودع لا بد من نهيه  
فصرفه في الراح أولى به \* « مالى وللفسقه وأصحابه  
ياخس منهم أن أن تيامى »

قلبي في سخط الهوى قد قضى \* ياليتني حق التصابي قضى  
في نعمة الله وزمان الرضا \* « وفي سبيل الله عمر مضى  
في نجس الماء ولم ينجس »



عمر مضى لو بالصفا قلته \* مر سريما ما تأملت له  
بالنحو والمنطق أشغلته \* «يا وبع قلبي ما الذى قلته  
فضول اسم لو بنا ققمس»

وشمل درس العلم قد شتتا \* وليس يستموض ما فوتا  
فهاثما من كف ذاك القفى \* «الى م ذا النحو وحى متى  
أدرسه ياليت لم أدرس»

كم رحمت أسعى لابساً «مقلتي» \* فقال لى المولى بالشيرة<sup>(١)</sup>  
مستهنأ بى ردلى زوجتى \* «بعدا ليقارى وفرجيتى  
ومشيتى كالخائف الملبس»

والظبي جرجى بين اترابه \* كالشمس أو كالبدر مع شبهه  
بسخر من مكثى على يابه \* «وكى المهدول مما به  
من كتب محفوظها قد نعى»

وبضحك الناس بتأنيبه \* على جوى قلبي وتمذيريه  
وعارضى الزائد فى شبيهه \* «وطيلسانى حين أمشى به  
شبيهه درجانس أو جرجس»

أرى المجوس جهلوا قدرها \* لو انصفوها عبدوا نارها  
كم كست الندمان أنوارها \* «لو علم المسكين مقدارها  
ما راح فى حاناتها مكتسى»

فالكاس أضحى للصفا كافلا \* وسد بابا للامى مقفلا  
فلا تراعى مجلسا حافلا \* «قم ياندبى واسقنيها فلا  
وقفت ان حيث ذا المجلس»

(١) بريد بلقة الصماء الكبيرة على التبريد المائى والثيرة «الحشيتة» وحسن البرهة

واشرب وأرو الأرض في صبيها \* واقف بها الأترار عن صبيها  
وخلق البيت سرورا بها \* «وعقد عن لام في شربها  
فليس يدري لذة الاكؤس»

وهاتها ولا تلح من نها \* وان تجد نفس شكت أيتها  
فاصبب على الكأس أودنها \* «وان يكن قد نجسوا عينها  
فماطينها ويك واستنجس»

مضناك يا مولى الملاح اسقه \* راحا روض الصبب من خلقه  
والله تواب على خلقه \* «فقل لمن قدراح من حمقه  
من رحمة الله بها ميسى»

المبد ان تاب فامثله \* قد أخبرت عن ربنا رسله  
فياجهولا ساء جهله \* «ان الذى أنسى فضله  
من شأنه العفو الى من يسى»

### صفو ليلة

بالسلة هي كانت ليلة العمر \* بقصر شبرا ونهر النيل والقمر  
والجو طلق الحيا والصبا جمعت \* لطف الاصيل لنا مع رقة السحر  
حيث السماء بها الافلاك سائرة \* ككالك دائرة في لجة النهر  
والبدر مكمل فيها وقد نظمت \* من حوله نيرات الانجم الزهر  
كغادة من بنات الروم حلتها \* من لازورد عليها اخس الدرر  
والنهر يجري لجينا من سباء ومن \* يد النسيم عليها أبدع الصور  
والموج يبدى فنون الرقص في مرج \* يجلو صدا النفس والافكار والبصر  
والماء صيب باغبان الربا كلف \* فلم أقدمها يجري على قدر

وكلما خر للشكوى تجوده \* أكامها من تار النور بالبدر  
 مثل المرائس يجلو حسن بهجتها \* مر الصبا في بديع الوشى والخبر  
 تكاد تسلب لولا ان يلبها \* راق يمونها من آفة الحور  
 فالشهب ساطعة والقضب راکمة \* والطير ساجدة نشدوا على الشجر  
 وللنسيم على الاغصان ولولة \* كأنها هويتو المشق في سور  
 فصوته وهزار الروض حين شدا \* قدوافها نعمة الشادى على الوتر  
 فكان بالمودم ذا كله طربى \* طوراً وطوراً بما يحلوم من السمر  
 ومن أحب على لهوى يساعدى \* والدهر عبدى فلا أخشى من الغير  
 وراحه ولما كلما اجتمعا \* بخار لبي بين الشكر والشكر  
 وكيف أمحو لى من شهد ريقته \* خمر تألف بين الطيب والخمر  
 عجبت للشر برويى بكوثره \* والغديرى لظاه القلب بالشرر  
 ومن جنى خده وردى وفا كحق \* مما يحسى به من يانع الثمر  
 يقول ثم واقترح ماشئت تلقى كما \* تهوى بلا ملل منى ولا ضجر  
 فيألفها كلمات صكلها تحف \* بحسن رقتها قد حيرت فكرى  
 اشهى من البرء بعد السقم عندى بل \* بعد المنا والاسى أحلى من الظفر  
 بها خلعت عذارى بل لبست بها \* نوب الخلاعة لم أركن الى الحذر  
 وبت أعتر فى ذيل المجون كما \* يهوى شبابى وبعت النسك للكبر  
 فالشمس راحى وبدر أتم حاملها \* واللهم تقلى ومندىلى من الزهر  
 وكلمة اجد من أهوى لسفك دى \* جدبت بالكاس فى سفك الدم الهدر  
 مازال يشربها صرفاً وأشربها \* ممزوجة باللى والتمنج والحور  
 فيألفها لیسلة ما كان أطيبها \* عندى وما كان احلى لذة السهر

### غلاة الجلال

سل عن عفافى بنده وفراشه \* هل حدثنى همى بحرام  
لو كنت بل لا كنت تبصره وقد \* نضى الغلائل عنه فى الحمام  
وعليه من عرق دروع افرغت \* وسطا وصال بصعدة وحسام  
لأبت قامة فضة من لؤلؤ \* حلت شبكا فى أم نظام  
ما ذاك الا واليا متراكم \* والجو مشغل يندر تمام  
عجا لطفه ذاته ولعده \* جبل حنين فى نجيل قوام  
ما زال سكرى من سلاف حديثه \* ولطافه لامن عتيق مدام  
ابدا يقابل در دمي كلما \* أشعكو بلؤلؤ نقره البسام  
كيف الصلص من هوى رشأ غدا \* سلطان حسن نافذ الاحكام  
رشأ حوى نظرفا وحسن شمائل \* أما الجلال فأوفر الأقسام

### جنة مصر

عبدن نزهة مصر أضحى جنة \* تزهو بابهج حليلة وجمال  
بالمهل المذب الشهى بهادت \* بالحسن والاحسان شمس نوال  
شخصت لها الابصار لما أصبحت \* فى حسنها الزامى بدون مثال  
شرفت بساكنها المقدى من غدا \* بحر النوال ومنية الآمال  
لا زال عفووظ الجناح ممتما \* بالعز والاسعاد والاقبال  
أجرى من الاحسان فيها كورا \* عذبا هنيئا طيب السلسال

### شرف النفوس

ان الفضيلة في الانام غدت على \* شرف النفوس الشم أقوى حجة  
 فاذا أدعيت بان أصلك يافى \* من سادة الابطال أهل المهمة  
 أوضح لتانور الشهامة مثلهم \* وعلى رفيع المجد أحسن غيرة  
 ودع المظالم في البرية واحترم \* تلك الشريعة واقف كل رذيلة  
 واذا أدت الفخر فاسهد دائماً \* لطلابه واهجر لذيد المهجة  
 فتكون ذا شرف فلك دلائل \* دلت على شرف وكل فضيلة

### منشية الاسكندرية

بسكندرية للصفاء منشية \* غراء واضحة البها غناء  
 سطعت شمس الحسن في ارجائها \* وبدوره فلها سنى وسناء  
 ولماها الصافي اذا لعبت به \* شمس الاصيل مع الضياء لآلاء  
 حيث التفت رأيت ازهى روضة \* سال النضار بها وقام الماء

### فعل الهوى

خلعت عذارى في الهوى متهمكا \* ونزعت وجدى بالملاح عن الكتم  
 وطاب الى اللوم فيه ولذلى \* وقوع جهول بالحبة في ذمى  
 فيا صهوتى زىدى ويارشد خلتي \* وسفه عذولى في الصباية يا حللى

### عينا الحب

لم أنس تقسيم عينيهِ فواحدة \* الى الرقيب وأخرى بالوصل تمد  
غزبه حوله واللعظ يسعنا \* بما نشاء وكل بالرام سعد

### فلكية

انظر الى الشمس لـ البدر قابلها \* وكان قصدها ان يظهر الشفعا  
ما استحکم الاً مر حتى حال بينهما \* وجه الرقيب الكثيف الجرم فانكسفا

### تجاهل العارف

رأني ومن تخشى بساجني الاسى \* قتالت شفاه الله من ذا المتيم  
فقال فلان صاحبي فتهدت \* وقالت ايا روى تعيش وتسلم

### التناقل

أخلوبه ليلي ولي ما أشتى \* ويمر بي في الصبح لا ابتكم  
واذا التفتينا والرقيب فقطه \* هجر واما لحظه فسلم

### غفو القادر

اذا الله أولاني اقتدارا على امرى \* اساء جعلت الغفو شكر الما أولى  
لاني لم أفضله ان جئت مثله \* وبالحرما أخرى الكمال وما أولى

## المعلم بطرس البستاني



ترجمته

هو بطرس بن يولس البستاني من أعيان مسيحي سوريا ورأس هذه الأسرة  
البستانية الكرجة ولد بسنة (١٢٣٥ ١٨١٩ م) في قرية الديسة من قرى لبنان

وأخذ بمبادئ القراءة والكتابة عن الخوري ميخائيل البستاني ، ثم التحق بمدرسة عين  
ورقة فدرس بها قواعد العربية وشدايش تأمن المربية واللاتينية والابطالية والبروانية  
والانكليزية وغير ذلك من الفنون والآداب . ثم حبب اليه الامير كان وعلم في  
مدارسهم ، وأظهر من البراعة والاجتهاد ما جعله موضع إعجابهم ، ومن ثم أُرمت أسباب  
الصداقة بينه وبين الدكتور قانديك الشهير وظاهر كل منهما صاحبه على مشاريعه العلمية  
والادبية من تأسيس المدارس وأنشاء الكتب والمصنفات وسواها . ثم عين مترجماً  
لتنصلي أمير كافي بيروت ولم يشغله ذلك عن وضع الكتب لتلاميذ المدارس وتدريب  
ما يرى فيه النفع للمتأدبين . ثم صبت نفسه الى التوسع في تأليف الكتب ونشر الآداب  
والمعارف فأكب على التصنيف ونشر الصحف طو بمضها بمضاهمة لا تعرف الملل كما  
ترى ذلك مفصلاً في باب « مؤلفاته » وما زال يعمل ويكد في خدمة البلاد بنشر الآداب  
بين طبقات أهلها الى ان وافته أجله فتوفي سنة ( ١٨٨٣ ) وما انتشر نبيه في الآفاق  
حقاً بأنه الادباء وروادهم الشراء

## مُجَرَّاتُ

لوشاء الكاتب ان يصف ما ممتاز به البستاني الكبير وصفا بصافح الحقيقة ، ولبسه  
من خصائصه الادبية ثوباً نسيجه به الاصابة ، لتأني عليه القلم ان ينظمه في سلك المجيدين  
من الكتاب ولو كانوا أبناء عصره وأتراب زمانه ، وذلك لان من يصرح طرفه فيما ترك  
من المؤلفات ، وينم ظره فيما لم ينشأ ، يرى انه لم يكن يعمل على ان  
يحسب فيما كتب من البلغاء ، أو يعد فيما أنشأ من الكتاب الا بيناه ، ولا يسمع الكاتب



الآن يلحقه بأولئك الذين يمتونهم بمادة الأفكار ومحركي النهضة العلمية والذين تظهرهم طبائع الأحوال في كل جيل ، وقد سجدت الأذهان ، وحسدت الخواطر ، وسبحت المستولى في بحار ما ألفت ، ووقدت حركات النفوس عند حد ما عرفت ، فيحملون من عرفاتهم منارا ، ويمدون للأفكار طرائق قددا ، ثم لا يلبثون أن تذهب بهم الأيام ولا يبقى لهم مما يذكرون به من الآثار إلا ما يكون شاهدا على قوسهم ، مشيرا إلى ذكرهم بالخلود والبقاء ، أو التلاشي والفاء ، على أنه مع هذا كان من جبابرة الناهضين

## مؤلفاته

محيط المحيط — قاموس عربي جليل أفرغ فيه قاموس القيروز ابادي غير أنه رتبته ترتيبا حسنا على نخط الاساس والمصباح وأضاف اليه طائفة من الالفاظ المامية والكلمات الاعجمية الدائرة على الالسة ورفعته الى السلطان عبد العزيز فثابه عليه بالوسام المجيدي الثالث وجازته من المسال . شاع هذا الكتاب شيوعا عظيما حتى أصبح الآن نادر الوجود . وقد بلغني ان المعلم عبد الله البستاني الشهير في سوريا بالفضل والادب قد أمضى زمانا وهو ينظر في هذا الكتاب فظن تهذيب واصلاح ويرد كثيرا من الالفاظ الى اصولها وقد عزم بمدا التهاية من تصحيحه ونتيجة ان يقدمه للطبع لعل الله يوفقه لاتمام هذه الخدمة التي تذكر فتشكر

قصر المحيط — اخصر من سابقه وجعله قاموسا مدرسيا وهو معروف متداول دائرة المعارف — سفر جليل من أجل الاسفار وأحفلها . فكر في وضعه بمدا اتها ثم من قاموسه المحيط ثم كتب نموذجاعته ورفعته الى محمدن مصر الخديو اسماعيل

والتمس من لدنه الاعانة قصدت ارادته رحمه الله بلمداده بما يكفل ظهور هذا الكتاب في جزر الوجود فاشتركت الحكومة المصرية بألف نسخة وأمدته بمكتبة عظيمة حوت أجل الكتب وأقمها للاستعانة بها على تحرير الدائرة ولم تقف هذه الاعانة عند هذا الحد بل اقتدى رجال الحكومة بمولاهم وسراة الامة المصرية بمن يزعم وفاضت أيديهم بالمساعدات المالية فأخذ البستاني في تحريرها بمعاونة نفر من المتأدين وطائفة من خريجي مدرسته الوطنية في بيروت وكان غيب سراً فيها ان وقفت به حياته دون اتمام الجزء السابع منها فأتته وأصدر الثامن ولده سليم ولحق به ثم اتحد ولده الآخر ان نجيب ونسب مع ابن عمهما العلامة سليمان افندي معرب الا لياذ على السير على نهج منشئها الاصدار باقى أجزائها فأصدروا التاسع ثم جاؤا مصر وأصدروا العاشر والحادى عشر ثم وقف بهم الجدل عند هذا الحد واشتغل كل منهم بشؤون حياته . ولعل باقيا ان يصدر أبداً على ان مآظمر منها الى الآن لا يزيد على النصف بشئ يذكر وبهذا فقد دل ما صدر منها على علو همة منشئها وقصور خلفائه

جرائد — غير سوريا . هي على ما قال أول نشرة عربية ظهرت في سوريا إذ أنشئت سنة ١٨٦٠ م — الجنان . مجلة علمية أدبية سياسية أنشأها سني ١٨٧٠ وعهد بادارتها الى ولده سليم — الجنة . صحيفة سياسية أنشأها بعد الجنان ببضعة أشهر — الجنينة . جريدة أنشأها بعد الجنة بزمان قليل وولى زمامها العلامة سليمان افندي البستاني . وقد بطلت هذه الصحف منذ عهد بيد

روبنسن كروزي — قصة ترجمها بمباراة لا ترفع عن العامية بشئ . وهي في موضوعها وغايتها أشبه بقصة السندباد الواردة في كتاب ألف ليلة وليلة ولا فرق بينهما الا ان عبارة السندباد أسلم من عبارتها وأزق . وهي مطبوعة منتشرة وله غير ذلك كتب ورسائل وخطب وترجمات مدرسية وغيرها أكثرها معروف لدى الطلاب

# آثاره

## نخب من نثره

### آداب العرب في عهد الرشيد

كان لهرن الرشيد شهرة عظيمة في الرغبة والهمة والنشاط في احياء العلوم والآداب ونشرها في مملكته المتسعة ، وكان هو نفسه ماهراً في الشعر والموسيقى ، ومغرمًا بهذين الفنون المستظرفين ، وقد كتبت في ألبه تصانيف كثيرة في علوم المملكة الاسلامية ، وقد جمع في بلاطه جمعا غفيرا من أكابر وخول العلماء ، فكان أقرب الناس منه وأحبهم اليه العلماء ، فكان يحسن متواعم ، ويمجزل عطاءهم ، ويرفع منزلتهم ، فاضحت العرب مديونين كثيرا له في أمر قدمهم السربيع في الآداب لانه سن شريعة انه حينما بنى جامع في مملكته بينى بجانبه مدرسة للآداب . وكان كلما سافر الى مكان أوقفه الحج يستصحب معه ما تهم علماء زمانه ، وكان يعتبر العلم أينا وجد ، والعلماء مهما كان مذهبهم ، فلم يكن يزدرى بمعرفة من يخالفه في أمر المذهب فان رئيس مدرسه وأول مدير للعلوم في المدارس المالية في مملكته كان رجلا نصرانياً نسطورا يادمشقيا اسمه يوحنا بن ماسويه وقد اقتدى بمثاله هذا الذي يدل على جودة عقله وكرم أخلاقه خلقاؤه ، وهكذا لم يعض الا قليل حتى امتدت الآداب التي كانت تلم في العاصمة منتشرة الى اقاصم الخلافة

ولكن أوغسطس الآداب المربية هو الخليفة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد  
 قائمها أنصبت الخلافة اليه ثم مابدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم في مواضعه  
 وكان منذ نومة أنظاره مولما بالمطلعة والدرس وقد اتخذ في حياة والده محابة له من مشاهير  
 علماء اليونان والعجم والكلدان ، ولما تبوأ تخت السلطنة لم تلهمهماتها وعظمتها عن  
 الاعتناء بالعلوم والقيام بحفظها وحق أربابها ، فكانت الشعراء والفلاسفة والمهندسون  
 تتوارد اليه الى بغداد من كل بلاد وملة ، وقد أمر سفراءه ونوابه في أرمينية وسوريا  
 ومصر أن يجمعوا ما يمكن وجوده فيها من الكتب الأكثر اعتباراً ويمنحوا بها اليه ،  
 فكانت ذخائر آداب الأقاليم التي تطلب عليها تجمع بكل اعتناء وتوضع أمام عرشه  
 كأعظم جزية وأنظر الصحف والمدايا عنده ، فكانت ترى مئات من الجمل داخلية بغداد  
 حاملة كتباً من آداب اليونانيين والعبرانيين والعجم . وقد داخل ملوك الروم وسألم  
 صلته بالديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليه منها ما حضرهم فاستجادها مهرة الترجمة  
 وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن ثم عرض الناس على قراءتها ورغبهم  
 في تعليمها وهكذا كان بلاطه ببغداد مؤلفاً من الملمين والشرائح والمترجمين ، فكانت  
 بغداد مدرسة علمية كما كانت عاصمة مملكة . وكان يحلو بالحكامو يأسس بمناظرهم  
 ويلتذمذا كرتهم علمائهم بان أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده ، وقد  
 صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهقوا في ما يرغب فيه أهل الصين والترك  
 ومن زرع منزعهم من التنافس في دقة الصنائع العملية والتباهي بأخلاق النفس الغضبية  
 والتناظر بالقوى الشهوانية اذ علموا ان البهاائم تشاركهم فيها وتفضلهم في كثير منها ،  
 ولهذا السبب كان أهل العلم مصاييح الدجى وسادة البشر توحش الدنيا لفسقهم .  
 قيل ان المأمون اذ كان يلم بوجود خزائن متسعة من التصانيف العلمية في مكتبة  
 القسطنطينية فلما عقد الصلح مع ميخائيل الثالث ملك الروم جعل أحد شروط الصلح

والمأهدة ان الملك ميخائيل يعث اليه بمجموع من التصانيف المتبعة النادرة الوجود الموجودة في المكتبة المذكورة وما صدق ان وصل ذلك اليه حتى أمر أحقق علماء بلاطة بترجمته الى لغته العربية المشرفة ، قيل وبعد تقيم ترجمة تلك المكتبة للمعتبرة فبغير مفرطة على شرف لغته أمر بإحراق النسخ الأصلية ، وفي أيام المأمون أنشئت مدارس كثيرة كلية في بغداد والبصرة وأما كن أخرى وجمعت مكاتب شتى في مواضع مختلفة ، قيل ان المأمون عرض مبلغا وافرا على ملك الروم ووعد به بالصلح الدائم والمصادقة اذا بعث اليه بليون الفيلسوف اليوناني الشهير .

ومن الخلفاء الذين حملوا عن العلم والعلماء وصرفوا الهمة في اكتساب الآداب واتقانها ألواتق وكان ماهرا في الشعر والموسيقى وكان لميل زائد الى التنجيم ، قيل انه لما اشتد مرضه أحضر النجمين فنظروا في مولده فقدروا له انه يبش بحسين سنة ستأهة من ذلك اليوم الا انه لم يعيش بعد قولهم الا عشرة أيام . وآخر خليفة اتى آخر نور على أبناء بلاده هو المستنصر قانه ز بن بغداد مدرسة عظيمة سماها المستنصرية ، قيل ولم يكن في الممالك الاسلامية نظير لتلك المدرسة في صورتها وألاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهاءها وأوقافها وقد رتب فيها جمعا غفيرا من المدرسين والفقهاء وبنى لهم داخل المدرسة حماما خاصا ورتب للفقهاء طيبيا خاصا يفتقدون كل يوم وأقام لهم من المشاهرات والخبز والطعام ما يكفهم ويفضل عنهم

هذا وان كثيرا من الوزراء والنواب حذوا حذو ملوكهم في قوة العلوم وامتدادها في الأماكن البعيدة عن العاصمة ، فان مصر مثلا بقيت أجيالا كثيرة مزينة بالعلم والعلماء حتى كنت ترى فيها مدارس للعلوم في كل مدينة وبلدة وقرية ، قيل ان أحد بن طولون نائب مصر كان يوزع كل شهر على مشايخ بلاده ألف دينار وكان يرسل الى بغداد لاجل التوزيع على علمائها وقرأتها نحو ٧٧٠٠٠٠٠ دينار وكانت فوائد التعليم في هذه

المدينة تخدق في أوقات غنته الى ستة آلاف تلميذ من كل رتبة من ابن الشريف الى ابن الصناعى ، وحسن مدارسها يظهر في كثرة عدد الشعراء والمؤرخين والاطباء والمنجمين الذين خرجوا منها ، فقد كانت تنشأ مدارس صغيرة وكبيرة ومكاتب في كل بلدة . والبصرة والكوفة كادنا تساويان العاصمة نفسها في الشهرة نظرا الى عدد المعلمين المشهورين الذين خرجوا منها وكثرة التصانيف المعبرة التي ألهاها علماءها . وكذلك دمشق وحلب وبلغ وأصفهان ومعز قد كان بها كثير من المدارس والمكاتب المعبرة وقد خرج منها جمع غفير من فحول العلماء المدققين الذين لا يسعنا الوقت لذكرهم . ولا ينبغي ان ننفل عن ذكر القيروان وقاس ومراكش من أعمال المغرب التي كانت مزبنة بمدارس سامية ومكاتب معتبرة لأجل تعليم المغاربة الذين كانوا قد عابوا ولا يزالوا الى الآن في أعلى طبقة من الحذق والنباهة وبواسطة مدارس المغاربة ومكاتبهم المشهورة قد حفظ للغة الافرنجية في القرون المتأخرة ذخائر ثمينة وكنوز فاخرة من العلوم والفنون

غير ان البلاد التي تطلأت فيها الاداب العربية بأكثر لعمان وإشراق ، وقيمت فيها مدة طويلة بعد أن درست في البلاد الشرقية هي بلاد أسبانيا ، فان «كردوقا» و«سيفيلي» و«غرناطة» كانت تفاخر احدها بالآخرى في عظمة مدارسها ومكاتبها ، وقد كان في مدينة كردوقا وحدها نحو مائة وسبعين رجلا من فحول العلماء من أهلها ، وكان فيها مكتبة عظيمة تحتوي على نحو أربع مائة ألف كتاب ، وكان في حوزة المتوكل الذي تسلم زمام الحكومة في المجلس الثاني عشر مكتبة معتبرة تحتوي على كتب قيمة كان منها مائة وعشرون مؤلفا في الالهيات والتاريخ والفلسفة ولم يزل نسخ منها عفوطة الى الآن في مكاتب أور بالمعتبرة ، وكان في مملكة الاندلس وحدها سبعون مكتبة وسبع عشر مدرسة كلية

فما تقدم بيانه يتضح لنا شدة حرص العرب في تلك الايام على اكتساب العلوم

والآداب واجتهادهم في نحوها وانتشارها ، واذ احقنا النظر فيها واصل اليانمان فضلات علومهم ، وآثار جهادهم ، نرى انهم وان كانوا قد أخذوا علوما وفقونا كثيرة من اليونان والسجيم والكلدان بواسطة الترجمة والاختصار لا يمكن ان نسلّم بأنهم إنما كانوا متقلدين لا عتريين كما يزعم بعضهم ، لأننا نرى ان هس العلوم التي سبقت الاشارة الى انهم ترجموها من لغات أجنبية قد اخترعوا فيها وزادوا عليها أمورا كثيرة جدا ، فان فن الطب مثلا الذي وجد قبل اقبال العرب الى العلوم باجيال كثيرة وينسب اختراعه الى «اجراط» اليوناني وتوسيعه الى «جالينوس» كان لم يزل ناقصا حتى كمله «ابن سينا» بعد ان كان «الرازي» قد جمع أبوابه المتفرقة في كتاب سماه بالخاوي

وصناعة الكيمياء كانت قبل العرب فنا قد سرت اليه الا وهام القاسدة وداخلته الشعبات الكاسدة ، فأخذته العرب واخترعت فيه أمورا كثيرة حقيقية وأدخلته في علم الطب مع انه كان قبل أيامهم من أبواب السحر يستخدم لأجل تحويل المعادن الى ذهب بواسطة حجر الفلاسفة الذي كان الاقدمون يظنون انه ذو خاصية لسحر الارواح الخبيثة ، وشفاء الامراض ، وإطالة الحياة الى ما شاء الله ، وهكذا القول في أكثر العلوم الاخر التي أخذتها العرب عن الاجانب

وأما العلوم التي لا يشك في كونها من اختراعات العرب فهي كثيرة يحتاج الى وقت مستطيل لتعداد مفرداتها وتصانيفها ، فانا اذا أمتعنا النظر في العلوم المتعلقة باللغة العربية التي كانت قبل الاسلام لغة عديمة الضوابط والقوانين ومترقة على ألسنة قوم يكن لهم التفات الى العلوم والقنون ولا حظ في صناعة الحروف والتأليف نرى ان العرب قد صرفوا المهمة في إيجادها ، فوضعوا هذه اللغة العجيبة ضوابط وقوانين لاجل صيانتها من الفساد ورتبوا كتب لغة مشهورة قد جمعوها عن ألسنة العرب لاجل حفظها ، وجعلوا لها فنونا كثيرة مستظرفة كالعلماني والبيان والبديع والفروضى وهم جرح الاجل

تهذيبها وتحسينها ، وكذلك الاشعار التي وجد عند العرب منها أكثر مما وجد عند باقي شعوب العالم جميعا لم تكن الا من نتائج اجتهادهم وجودة قريحتهم . ومن الرريب انه مع وجود اشعار « هوميروس » و « ورجيلوس » وغيرهما من شعراء اليونان واللاتينيين المشهورين لا يوجد في اشعار العرب شيء معتبس منها . وقد ألفوا كتباً شتى في علم الفلك والتاريخ ورسم الارض والفلسفة والالهيّات والطبيعات والحساب والجبر والمساحة والخطب والزراعة والنباتات والموسيقى والفقه وبين ذلك فنون قد تطلّوا بها كالكهانة والرافة وضرب الرمل ورجز الطير وقيافة الاثر والسحر والطولع ونحو ذلك وقد كثرت في جميع ذلك تصانيفهم ومعارفهم كما يضحى لمن وقف على فهرست التأليف العربية التي بقيت مع مرور الايام وتقلب الازمان محفوظة لتكون دستوراً ومنحسلاً للمتأخرين .

قليل انه يوجد في مكتبة باريس الملكية أكثر من مائتي مؤلف في صناعة النحو وحده . ومن كان فرد زمانه في فنه أبو بكر الصديق في النسب وأبو طالب في القضاء وابن كعب في القراءة وابن ثابت في الفرائض وابن عباس في التفسير ووهب في القصص وابن سيرين في التفسير وأبو حنيفة في الفقه ومقاتل في التأويل والخليل في العروض والمتني في الشعر والاشعري في الكلام والحريري في المقامات والرازي في الطب وابن حنبل في السنة وأبو معشر في النجوم وابن نباتة في الخطب والقاضي الفاضل في الانشاء والاصمعي في النوادر وابن سينا في الفلسفة وابن جابر في الكيمياء وأبو القسدا في التاريخ والشاربني في التطبيقات والادريسي في الجغرافيا والتغزالي في الالهيّات وغيرهم في غيرها . هذا ومع ان الافرنج قد أخذوا تلالاً بل جبالاً من الكتب العربية مما لم يبق له عين ولا أثر عند العرب نرى ان التصانيف التي أجهتها النصارى في الايام هي وحدها كافية لان تبرهن لمن وقف عليها الامور الآتية وهي : —

أولاً جودة العقل العربي وحسن استمداده لتحصيل العلوم ولا سيما ثلاثة أنواع



منها وهي العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية والعلوم اللغوية حتى انه لا يوجد في العالم قوم  
يقدرون أن يفوقوا العرب حتى لا تقول أن يدركوا طبقاتهم فيها

ثانياً نبات العرب وتعبدهم في حقاسة المشقات والمصاعب المقرنة طلباً بحصول  
المعلوم وذلك لدى وجود الاسباب المحركة اليها ، ويزيد ذلك وضوحاً اذا اعتبرنا قوة  
الوسائط وضعفها في تلك الايام ، فان البخار والسيال الكهربائي كانا حينئذ غير خاضعين  
للانسان وكانت الطبيعة التي تحسب من أكبر قوات العالم والنظارة التي قلبت كثير من  
مبادئ الاولين من أساساتها لم تزل مستورة تحت ظل الغوامض وكانوا مع قد صناعه  
الطبع يلزمون ان يوجدوا كل ما أوجدوه من هذا القبيل بواسطة رأس قناة صغيرة  
الجرم ضعيفة العزم ، وكذلك قوة الاتي التي هي أكبر قوة في الدنيا كانت في تلك الاعصار  
محصورة في ليج بحار الجهل العميق والغباء الشديدة وكثيراً ما كانت هذه القوة تستخدم  
لاجل الضرب على رأس العلم في نعومة أنظاره ، وعدم تحزب هذه القوة للعلم والعلماء  
كان من أكبر الاسباب لفقد العرب المعلوم بهذا المقدار من السرعة

ثالثاً فضل العرب على العالم في هذا الامر وذلك من أوجه عديدة منها انه فيما كانت  
العلوم والآداب في خطر القمقود والتلاشي بسبب الحروب والمنازعات والفتن الاهلية في  
العالم العربي وجدت لنفسها في مدارس العرب ملجأ تآوى إليه لحفاظ العرب على  
الحلقة المتوسطة من سلسلة العلوم التي ربطت العلوم القديمة بالعلوم الجديدة ولولا وجود هذه  
الحلقة لكانت ترى خلافاً متسماً بين العلوم القديمة والحديثة لم يكن سبيل الى ملئه ، ومنها  
انه فيما كانت أوربا غائصة في ليج الجهل والغباء في أجيالها المظلمة فتح العرب  
مدارسهم لقبول شبان الافرنج عندما استغاثوا من غفلتهم ووصلت العلوم تحت ظل وحماية  
العلم الاسلامي الى حدود بلادهم ، وهناك تاولتهم الاسلام باليد اليسرى أضفاف  
ما كانوا قد تناولوه منهم منذ نحو مئتي سنة باليد اليمنى ، وهكذا شر بت شبان فرنسا

وابطلما ويجر مانيا وانجلترا في مدارس أسبانيا من يتابع آداب العرب المتدقصة ، وفي سالرنو ومتنبر وقت تلاميذ النصرى المتولدة الى هناك من جميع أقسام أوربا لاجل تعلم الطب على تصانيف أبقراط وجالينوس حتى ان اليهود واليونان لم يأقوا من تعلم صناعة الشفاء من العرب ، ومن ذلك ان العرب هم الذين بواسطة قدرتهم وحسن صنائعهم نبهوا الافرنج في أجيالهم المظلمة من سباتهم الثقيل الى طلب العلوم والصنائع وذلك يسلمه الا فرنج أنفسهم ولا يتكرونها

رابعا فضل اللغة العربية وطواعيتها في قبول العلوم من دون احتياج الى استخدام لغات أجنبية الا باندرا ، وبما ان اللغة هي من أقوى الوسائط لوجود الآداب وانتشارها بين أهلها لا بأس اذا توسعنا قليلا في الكلام على اللغة العربية وما يتعلق بها على وجه الاستطراد فنقول

لا سبيل الى الشك بان اللغة العربية هي من أقدم لغات العالم وأكملها وأشرفها ولولا الخوف من أن تطلب مني البينة لكنت أدعى لها بل هي اللغة التي أزلت على قلب أينا آدم في الفردوس الارضى ، وأقل ما أرغب أن أدعى لها به هو انها مع أختيها اللغة السريانية واللغة العبرانية أعضاء متفرعة أو فضلات باقية من تلك اللغة الآدمية المنزلة ، والباين من تاريخ هذه اللغة ان الله قد حفظها بنوع عجيب لتأيات لا تدرك من تقلبات الأيام وصروف الدهر ، ومع ان أصحاب هذه اللغة وصلوا الى أحط درجات الجهل والبربرية بقيت اللغة محفوظة عندهم بواسطة التقليد والنقل مصونة من الفساد والتشعب الى لغات شتى بخلاف لغات أوربا ، وبعد ان خضعت لسلطان القم الاسلام صار بذل العناية وصرف الهممة باختراع ومناط قوية لحفظها الممتصحة ، واتساع قاموسها وغناها في الالفاظ والمعاني يجعلانها في الرتبة الاولى بين اللغات حية كانت أو ميتة ، وكثرة عدد المتكلمين بهذه اللغة وكونها لاراضة والاقليم والبلدان التي هي منتشرة فيها

من أوسع وأحسن ما يوجد لى لغة كانت يجبلان مستقبلها أهم وأعظم من بلى اللغات في العالم، واعتبار أهلها واحترامهم لقدميتها وفضلها أصبح لها غير قابلة للتصغير كمادات أهلها، ومع ما تراهم من شدة ميل أبناء العرب ولاسيما في هذه الأيام الى اللغات الاجنبية وعدم التفاتهم الى لغتهم الشريفة لا نخشى عليها من حوادث الدهر، لان ذلك وفقى ناتج عن أسباب توجب زهدا في اللغة العربية ورغبة في اللغات الافرنجية، وهذه الاسباب سلبية كانت أو ايجابية لا بد من زوالها وبذلك يزول ما نسب عنها. وما دام القرآن من الجهة الواحدة والكتب العربية في فنون مختلفة من الجهة الاخرى مظلة على هذه اللغة بطلب الظن بانها تثبت غير منحصرة في دلتونها الحالية وهي الهندوجزيرة العرب وشمال افريقية بل ستمتد شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بين اقوام آخرين ممن يقرون لها بالفضل وان كانوا لا يستطيعون التكلم بها، ومع اننا نرى المعجم والتروا والافرنج من الجهة الواحدة آخذين في توسيع دائرة لغاتهم وادخالها بين العرب، والمنفردتين من الجهة الاخرى آخذين في افساد وإمالة لغة أمهم بواسطة ابداهم كلماتها المأنوسة بكلمات أجنبية نافرة لا تليق للغة العربية كما أن ملبوس أهلها لا يليق للعرب لا بد من قيام أناس من أبناء العرب الصوريين على لغتهم يسقون مقدارا كافيا من الافيون «الكومسيون» و«السيكورتاه» و«سكوزى» و«افندم» وما ضاهاها، فينبغى عليها بحيث لا يبق أمل في محوها ويضعون قنينة من روح النوشادر أمام أف «العمالة» و«الضمانة» و«لاؤاخذنى» و«سيدى» وهلم جرا من الكلمات العربية التي تدل على المعانى المدلول عليها بالفاظ المذكورة فتستغني عن سبيلها، وهذه الوسيلة يزول الفساد الطارىء على اللغة العربية والذوق العربي من هذا القبيل، على أنه كما أن الناس يحتاج الى الناس كذلك اللغات تحتاج الى غيرها ولكن يجب الاقتصاد على ما لا وجود له في أصل تلك اللغة مما يزيد هاقرة وحسنا لا تنافرا وتغلا

هذا ولا ينبغي أن نفعل عن تلك الكلمات النافرة الميثة الموجودة في قواميس اللغة العربية عمالاً قاندة منه للعرب الا التثليل على الذهن العربي والقلم الشرقي، فهذه الكلمات يجب إلحاقها بالكلمات الاجنبية المأزدة كرهاً واستخدامها لمان أو مواد جديدة لم يصل اليها العقل العربي ولا الصناعة العربية أو ابدالها بكلمات من اللغة الدارجة مما جعل له الاستعمال قوة لا يمكن تحصيلها بغيره

ومما لا يشك به أن منيع الكلمات المترادفة الكثيرة الوجود في اللغة العربية المكتتبه هو اختلاف القبائل التي تكلمت بهذه اللغة ، ولا يصدق أن بنى قر يش أعجاب اللغة القصوى كان عندهم محمداً اسم للأسد، والظاهر أن الذين جمعوا مغرقات هذه اللغة عن السنة العرب فلاحظوا شدة اهتمامهم وحرصهم على حفظها كاملة من دون أن يفقد منها شيء جمعوا كل ما وجدوه من موادها بين العرب الذين كان لكل قبيلة منهم لغة خاصة واصطلاحات جارية عندها دون غيرها ، والبعض يحسبون أن كثرة المترادفات في العربية غنى لها . والحال أن ذلك لا يجب أن يحسب غنى لانه لا يفيد زيادة في المعاني التي هي المقصد الاصل من اللغات ، واللغة التي يوجد فيها ألفاظ كثيرة لمعنى واحد مع أنه يوجد معان كثيرة لا يوجد لها فيها ألفاظ للتعبير بها عن المعاني في الحقيقة فقيرة لا غنية وأهلها قراء لا أغنياء ، وينتج مقصودنا فيما تقدم مما يأتي

قبل مر ذات يوم أبو علقمة ببعض طرق البصرة فهاجت به دابته مرة فوقع الى الارض فوثب عليه قوم يعصرون ابهامه ويؤذنون في أذنه فاقلت منهم وقال « مالك تكا؟ كاتم على كتكا؟ كككم على ذى جنة أفرعوا عني » أى « مالك اجفتم على اجتماعكم على مجنون اعز لوا عني » فقال بعضهم دعوه فان جنته تتكلم بالهندية . وقيل ان اعرابيا اصطاد ذات يوم سنورا ولم يعلم ما هو فلقبه رجل فقال ما هذا السنور؟ ثم لقية آخر فقال ما هذا الضيوز؟ ثم لقية آخر فقال ما هذا

الخيدع ؟ ثم لقيه آخر فقال ما هذا المحيط ؟ ثم لقيه آخر فقال ما هذا الدم ؟ ولولقيه آخر في هذه الأيام قال ما هذا البسين ؟ فقال الاعرابي في نفسه أحمله الى السوق وأبيعه فسيجعل الله لي فيه مالا كثيرا فلما أتى السوق قيل له بك هذا ؟ قال بمائتي دينار قيل له إنما يساوي نصف درهم فاحتسب الاعرابي غضبا ورى به الى الأرض وقال تباه ما أكثر اسماؤه وأقل ثمنه

وبما أن العرب كانوا يكرمون الابل ويعظمونها لانهم كانوا يكنسون بوبرها ويتخذون لحومها ولبنها وكانت هي تقوم بكامل خدمتهم الارتمالية بمنزلة عربات برية أو مراكب بحرية ترى لغتهم مشحونة من اللفاظ المتعلقة بهذا الحيوان المائل الجسم العظيم القدر فلا يوجد عضو للثناque الا وله اسم خاص ولا توجد له حالة أو معنى الا وقد أوجدوا لها كلمة تدل عليها حتى صرنا اذا راجعنا قاموس العربية نجد فيه ألوقامن الكلمات التي تنبعث منها راحة النوق والجمال ويمكن أن نقول على سبيل المبالغة أنه يوجد في اللغة العربية عبارات للثناقة تكاد تساوي وبرها عدا ، فهي الفائدة للحضر من هذه العبارات مع استغنائهم بالمرات عن خدمة الابل وقرعة دواليب المراكب النارية عن عجيجها وراحة الفحم الحجري عن راحتها ، فنأعمل واسع للاصلاح ونقل ما يمكن نقله من تلك العبارات البدوية الى موضوعات حضرية يضطر الى وسائط التعبير عنها كل من ألتأه الدهر في وسط جماعة متمدة

هذوا في حالة العلوم المتعلقة باللغة العربية كالعرف والنحو مثلا ليست بأقل احتياجا من اللغة نفسها الى الاصلاح من هذا القبيل فانها في حالتها الحاضرة لا توافي الذين يقصدون العلوم طلبا لتال ما يترتب عليها من أمر المعيشة وذلك لان كامل حياتهم بالسكدي يكفي لتحصيلها على حقها ، وهذان جملة الاسباب التي تجعل أهلها يهملونها بالسكسية أو يتخذون لغة أو لغات أجنبية ضرائرها ، وهمل يليق بالانسان الذي انما

جست له اللغة واسطة وبابا للعلوم أن يجعلها غاية ويصرف حياته كلها واقفا أمام ذلك الباب على قسه وزخرفه الخارجي مع إيقانه بأنه يوجد وراءه تحف قديمة وحديثة تسلب القلب وتخلب الالباب ، وصاحب العقل السليم لا يسهه الجهل بأن منهج الاقدمين في وضع قواعد هذه اللغة ونظامها وادخالهم بين تلك القواعد أبوابا من كل العلوم والفنون وتعليلاهم المستطيلة التي يحسبها البعض منزلة مع أنها ليست الا مناسبات حصلت بعد الوقوع تلي أبناء هذا الزمان عن اللغات الى الامور الحقيقية وتشغل وقته عن الوصول الى الفنون المفيدة ولا شك أن ذلك هو من جملة الاسباب التي أوجبت فقد العلوم من بين العرب . ومما لا ريب فيه أنه يجب وضع قاموس اللغة العربية والعلوم المختصة بها بالذات في قالب يجعل تحصيلها في ظرف سنة ميسورا لأهلها الذين نباهتهم في اكتساب اللغات الغربية في المدة المذكورة بشهد بأنه لا يجب أن يصرخوا أكثر مني في تعلم أصول لغة رضى وهامع اللب ، ولكن اذا وجد قوم من أصحاب الفنى والخطر يذ لهم التحصن عن الامور القديمة والتفتيش عن المواد السالفة ويقتصدون ذلك بالذات فلا تترك لهم الحرية التامة في هذا الامر ونكتهم بالحفاضة على اللغة القديمة ولنسبح تكا كؤ الاعرابي وأساجيع الحريرى وفيروز اباديات القيروز بادى موضوعات لتأملاتهم الدائمة ، ودرسهم الابدى . والظاهر ان هذا الاصلاح محفوظ للاجيال المستقبلية

وهو مستغن عن البيان ان الفقه من شأنها ان تنمو بنمو معارف أهلها وفنونهم وصنائعهم ومتاجرهم واختراعاتهم ومن ثم كان وضع حد للالفاظ والمبادئ في لغة قوم مما لا يجوز ومحاولة ولا يمكن اجراؤه ، لانه اذا وضع حد لمعالم اللفاظ لغة ما كما هو الحال في اللغة العربية التي منذ أجيال كثيرة قد دخل فيها ما دخل ولم يبق باب لدخول غيره يلزم أصحاب تلك اللغة عن امتداد المعارف والصنائع عندهم لاجل التمسك من استخدام الفاظ التمييز عما هو في أنفسهم وقضاة مصالحهم ان ياتجئوا الى لغة أجنبية أو يبتغوا كلمات جديدة حوشية ، وهكذا تولدت عند العرب لغة دراجة بينهم تختلف كثيرا

عن لغة الكتب ، وهذه اللغة الدارجة تراها تتهدد دائما اللغة الاصليه ، واذا طال الحال عليها هكذا تمت كثيرا من الفاظها فوق ما أماته فيلزم العرب في آخر الامران يفعلوا باللغة العربية كما فعل اليونان والارمن بلغاتهم الاصليه وبعطوا اللغة الدارجة محل اللغة الاصليه ، فصير اللغة الاصليه لغة العلماء وأصحاب التفيش فقط كاللغة اللاتينية عند الافرنج ، ولا يمكن أن يتصور حصول خسارة للعرب أعظم من هذه ، ولكن ازدياد عدد المدارس والمكاتب والمطابع في هذه الايام وأملنا بان يادة على زيادتها فيا يأتى بعملان لنا شيئا من الطمانينة من هذا القيل

وما زالت العرب كذلك حتى سقطت رغبة الملوك والاكابر في العلم فاقطعت أسباب الطلب ، وتعطل السعى في تحصيله ، ودرست مصنفاته حتى فقد كثير منها فلم يبق لها عين ولا أثر ، وكسدت بضاعة العلم ، وأقنى الدهر أهله ، واستولى الجهل بسطوة عظيمة على الناس حتى صاروا يظنون ان تحصيل العلوم أمر فاسد ، وسعى باطل ، فلما رأت العلوم كساد بضاعتها ، وعدم رواج سوقها بين العرب ، اكنست ثياب الحداد وسارت كاسفة البال قاصدة بلاد أو رباعن طريق المغرب واسبانيا لتلجئ هناك تحت الاولية الغربية ، واذا كان الافرنج قد زاروا البلدان المشرقية واختلطوا بالعرب مدة مستطيلة وهناك استفادوا ذوقا جديدا ، ورغبة جديدة في المعارف والعلوم واطلموا على فوائد التمدن فتحوها إلى أبوابهم وقلوبهم مرحبين بذلك الصديق القديم الذي كان قد فارقهم منذ اجيال كثيرة لعدم قيامهم بمحبه ، فعمل كركوس الكبير ملك فرنسا بالعلوم العربية كما فعل المأمون بالعلوم اليونانية ، فأمر بترجمة اطاييب قصايف العرب الى اللغة اللاتينية محافظا على نسختها الاصليه خلافا لما روى عن المأمون . وهكذا العلوم التي انتقلت من الغرب الى الشرق من جهة القطبة الشمالية رجعت يارباحها الوافر من الشرق الى الغرب من جهة القطبة الجنوبية وأخذت تنتشر في البلدان الغربية حتى وصلت الى أقصى أطرافها ، وهكذا أخذ نورها يتناقص في الشرق ويزداد في الغرب منذ الجيل الثاني عشر حتى وصل الى ما وصل اليه الآن عند العرب والافرنج

## الشيخ عبد الهادي نجا الاياري

### ترجمته

هو عبد الهادي بن السيد رضوان نجا ولد في قرية ابيار من قرى اقليم الغربية بمصر سنة ( ١٢٣٩ هـ ١٨٢١ م ) وكان والده من أهل العلم والفضل فلقنه مبادئ القراءة والكتابة وأذاقه حلاوة الآداب وألوان الفنون والاعراب ثم ألحقه بالأزهر فجاوزه مدة طويلة حصل فيها على سائر العلوم الأزهرية من دينية ولسانية وما لبث أن ذاع صيته وبعده ذكره . ولما تفضل به إلى الخديو اسماعيل باشا دعاه إلى حضرته وعهد إليه في تأديب أبنائه وتلقينهم الآداب العربية فقام بما عهد إليه خير قيام مع مواظبته على التدريس في الجامع الأزهر ومراسلة أديبه عصره وشعر أزماته وتخرج عليه رجال اشتهروا بالعلم والفضل نخص بالذكر من بينهم العلامة الشيخ حسن الطويل . ويؤخذ مما كتبه المترجم في بعض رسائله أن وشائج اللفة بينه وبين اسماعيل صديق باشا الشهير بالفتش لم تكن على ما يرام فأوغر عليه صدر الخديو اسماعيل فأوغز الخديو إلى بعض خاصته أن يكتب إلى المترجم له بترك القاهرة واختيار بلد آخر لسكناء . قام ابيار ومكتبها إلى أن نكسب اسماعيل صديق فاستدعاه الخديو اسماعيل إليه وقربه وأدناه وأفاض عليه من سجال فضله وغزير عطائه . وما زال ملحوظاً بعبابته إلى أن تولى



الحمد بتوفيق باشا فاسنداليه أمانة معيته واقضاء حافظل بها إلى أن توفي سنة ( ١٣٠١ هـ )

( ١٨٨٨ م ) رحمه الله

## مُمَيِّزَاتُهُ

للشيخ عبدالمهادي أيادغر وأقلام حداد في فنون الادب العربي تذكركه بالشكر وتؤثر بالثناء، غير أنه كان مولعا بالسجع، مفرطا في تحميم أهواله، وتحمل أمتاله، منها الكا على نكات البديع، مكثرا من إراقها على بساط طر وسه، ولعله كان يظن أن الكتابة انما تنقاد الى الحر بص على تطلبها وليست فيض النفوس، وغيت الارواح، ووحى الملكات، وما كانت اللغة وفنونها إلا مائرا لكوامن الازهان، ومبعثا لطايا الفكر. ولقد يتراوح في ظني أنه كان من المهافتين على أدب أهل التكلف والصناعة من كتاب الاندلس وشعرائه، المفرطين في احتذائهم وتبني آثارهم في طباقات البديع وجناساته مما هو مخالف للطبع السليم، مابين الممسكة اندوق الحسن. وقبلما رأينا أخدام الناس تأدب بأدب الاندلسيين، ووقف نفسه على ما هو مدون لهم من منظوم ومثثور، ثم كان غب سرا ما أن صار بين أهل الادب من فضلاء الشرقيين محمود الاثر في أدبه، موفور الفضل في تحبيراته وخطبه. وما كان المير زمن فحول الادباء في الاندلس الا من تلمذ لآعيان أهل الفضل من الشرقيين. ولولا ما سام به نفسه من التكلف في نثره، وحملها عليه من العمل في نظمه، لمد من الكرام الكاتبين، وحسب من الشعراء الجليلين، واذا فاته هذه فلا يخطئه أنه كان من أكابر أدباء زمانه الذين أتيحهم الازهر من بين علمائه على ندرة نجائه منهم في ذلك العهد

## مؤلفاته

سعود المطالع — كان الاياري قد وضع رسالة صناعية ضمنها لقرأني اسم الخديو اسماعيل عليه الرحمة ثم شرح هذه الرسالة وحل هذا اللغز في كتاب دعاه بهذا الاسم واستخرج من هذا اللغز خمسة وأربعين فنا وهو كتاب جليل واقع في مجلدين كبيرين ومطبوع في مطبعة بولاق

النجم الثاقب — كتاب وضعه في المحاكاة بين جريدة البرجيس التي كان يحررها بالعربية في باريس سليمان الحريري التونسي وبين جريدة الجوائب المنشأ بالاسكندرية الشيخ احمد فارس في مأخذ لغوية، وائتمادات في فنون انشائية، حكم فيها ببرز منشىء الجوائب على محرر البرجيس . وقد طبع هذا الكتاب على الحجر سنة ١٢٧٩ هـ . وهو نادر الوجود

الوسائل الادبية — كتاب حوى الكثير من مراسلاته تقرأ ونظما الى بعض أدباء عصره لاسيما الشيخ الاحدب والسيد الحلواني . طبع في مطبعة الوطن سنة ١٣٠١ هـ وهو مشهور متداول

وله فتح الاكام في مثلثات الكلام . والكواكب الدرية في نظم الضوابط العلمية . ونيل الاماني في توضيح مقدمة التسطواني . والباب المفتوح لمعرفة أحوال الروح في التصوف . والقصر المبني على حواشي المعنى . والدورق في الاضداد اللغوية . ومجيب الممانى . والفواكه في الادب . وترويح النفوس على حواشي القاموس . وغير ذلك رسائل وتقاويظ كثيرة أكثرها مطبوع

# آثار أعلامه

## نخب من تونه

من رسالة إلى الاحدب

السيد حفظه الله شيخ الادب وقزسه الذي من خطامه في جلته قدراً خطأ وأساء  
الادب ، كيف لا وهو الذي في قصوره وشيدها ، وبين معالنه بعد الاندراى  
وحددها ، ورفع في سبيل البيان مناره ، ونصب أعلامه ابتداء ورفع أخباره ، وجلى  
عرائسه للخطاب من الخطباء ، وأبرز خرائده من الخدور أنباء ، وتجمل بخصيل  
ما أجمل من جملة ، وتمنض بتبيين ما تشابه منه توضيح السبله ، واستخرج من معادنه  
إبريزه فصفاه ، واستنتج من ترشحت به الفضلاء عن نتائج قضاياه ، اذ تمكن من  
نصر يفرح بالماضي في بحر تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، ونجمن بين سادق المصير  
بان أنه الله الحكمة وفصل الخطاب ، فتيقاه عرف الحكم ، ورأيت لسان الحال له  
بالفرد في لسان الرب إلهكم ، وحيث جال في برهان كجا جواده كل جواد من الكتاب ،  
ومهما قال حاضرا ، وخير الفقه ما حضرت به قال الذي عنده علم من الكتاب ، لكن  
الذي جال في التريخية التريخيه ، وسال من أودية الفكرة التي هي بأسنة المخطوب  
جريحه ، ان تقدم التسبب على المدح انما هو كما جرت به عادة العرب فن يمدح في نحو

« أعيان البيان »

« ١٥ — ٢ »

القصاص التي لم تتضمن سواهما ، وذلك لا يتناقض مع غير التسبب عليه في نحو الكتب والرسائل مما شتمها وغيرهما ، ومضى اجتمعا مع غيرهما وكان التسبب أهم كان هو الأول بالتقديم ، كما برشذالية الكتاب والسنة وسنة الأديان من قديم ، والسلام أهم في ذلك المنام ، فيكون أحق بإمامتهما في محراب الكلام ، وأجدد ربان يكون هو المصل ، والنسب الجليل ، ثم المدح كذا كان ظهري ، وظننت أنه نظر صحيح ، ولما احتج السيد بأن نقل قبل الواجب مشروع بالاجماع ، كان من ذلك شدا لأزرى وسدادا انظري إذا ابتداء السلام قبل بلا نزاع ، وأما مقابلة المدح : فله الذي التسبب وسيلة له فمن مقابلة أئمة بالشكر ، وهو واجب بل عبر عن تركه في كثير من الآيات كما لا يخفى على السيد بالكفر ، وربما كان عيسى لي أن العرض الذي كان عرض السيد لولا الانخفاض عن النظر في معاني تلك القضية بما يطول لا تطول بعيد الالتزام لا سيما وفي الحديث الشريف من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تردوا عليه السلام ، نساب إلى عتلي ، وأدركت أن مدارك السيد لا يحوم حول حماه أمثلي ، والعرب أطلق بيانها والخليل أعرف بفرسانها «وبعد» فهاذه الرسالة البديعة المثال ، البديعة المنوال ، البديعة المثال ، الآلي في محور حور ، أم كواكب مشرقة في ديجور ، وحدائق أزهار ، أم رقائق أشعار ، ومغاني كواكب أنزاب ، أم مغاني فرائد آداب ، ونفوس باسعة عن حمان ، أم زهور بديع في رياض بيان ، وغانية تطوست ، أم غالية تنفست ، وطوس أسفر ، أم طرس بالفضائل أزهر ، رسالة زينت سماء البراعة بمصاييح البديعة ، وزينت رسائل أخوان الصفا بما تفرقت به من حسن الصناعات ، ما تركت تفصل خطاب الافصلته ، ولا فصل خطابة الأوجواهر بدائع البداية فوصلته ، وما أدراك ما هي ، بقية كل عيسى زاكية ، وأذن واعية ، ظرف ملي ظرفا ، ونجام جليل الادبا بسلاف طابت عرقا ، بل جنان تنور منها الوجنات ، وتحقق لها الاحداق فيصدق

بها المسرات ، لكل قس غيب منها أنيس لا ينام ، وجلس ينك حديثه وأخلاقه عن  
التداعى والمدام ، ن والقلم وما يسطرون ، انه لكتاب كريم يذعن فضله الميسطرون ،  
ما فيه حروف الاوجاء من أسرار البلاغة لمعنى ، ولا لفظ الا ولو بصور لكان عقدا حسنا .  
لجيد كل حسنا ، وما فيه من معنى ، الا وهو لجسد الادب روح ، ولا فصل الا وهو في  
سقاء الكتابة روح ، فهو كشاف دياجر الادب ، وترجمان لسان الرب ، ومفتاح  
أبواب البيان ، ومصباح أبناء العرفان ، وخليفة فرسان الكلام ، وخليفة أرباب  
الالباب والاسلام ، وروضة مصارع الادباء ، وبهجة أحداق النبلاء والنبهاء ،  
وسلافة العصر ، وقهوة انشاء النظم والنثر ، والضحي والليل اذا سجي ، انه لدواء  
لكل داء وشفاء لكل شجي ، وانه لمحة الادب ولسانه ، وساعة البيان وبنانه ،  
علمنا كيف يكون التوصل ، وهم يكون الى نهج البلاغة حسن التوصل ، وأرانا كيف  
يكون سحر البيان ، وكيف ينطق بحكمة الاشمار باللسان ، غردت أطياف فصاحت ،  
على أفنان بلاغته ، فأطربت الحى وأحيت الطرب ، وبسمت قراطه عن حداثتي  
فأثبه فرأينا فيها حداثتي غلبا ، وفاكهة وأبا ، ولم يمرى لقد فتحت أبواب البراعة ، بعد  
ان كانت مسدودة ، وفي بروج الخطابة بعدما كانت مهودودة . . . .

### من رسالة الى السيد الحلواني

سيدى ما الذى أوجب تناسيك لحبك الذى لم ينس لمهدك والذى لا يزال على عمر  
الايام يقرب لك وبرعى ودك ، وما الذى توهمته فى صدقك الفقير الصادق ، حتى  
قطعت صدقات رسالتك عنه وهو بها وابق وبك واثق  
سيدى ما هذا الصغنى ، والاضغضاء عني ؛ سيدى ما المرأى كتيبك عني

استأخرت ، ولا وائس فضلك منى استغفرت ، وائى بها لرعوف ، شفوف  
بحسنها الشفوف

سيدى مالك نسيبت من لهج بذكرك وذكراك ، ولا يقنى بعد دوام الايمان  
الادوام بحياك ورؤية بحياك ،

سيدى مالى لا أرى هدهد كتابك المبين ، أم كان من الغائبين ، لا عذب بن خاطرى به  
عذاباً شديداً أولاد بجنه أوليائى بنبى بسلطان مبين ، يا نبى من سبأ ساحتك نبأ يقين ،  
يقينى من الجوى فيقيني انه شفاء لقلبي الجريح من النوى ، أقان أحاط بمالم يحط به فى  
البلاغة أحد ، جرد سيف النبطة لرحم أحبته وأحد ؟ إوان جدور نيت البراعة ماجد  
أومزح ، جند جيش المعجران وصمر خذله للاخوان ومرح ، كلاً انه اكتب كرم ،  
وان كان ربحاً شرد وقر كرم

سيدى ما لما اهل جمالك التى كانت تهز أعطافها نسبات الحنين ، الى أسيف ينك  
الذى له فى كل أن أنين ، تسنت ولم تتثن كعادته وما لثما لك التى لعبت بها سهول اللطافة  
وحى أجلى من اللطافة ، وألذ من الكنافة ، نجنت ولم ترمقنى حور غاداتها ، الرافلات  
فى حرائر بهجتها

سيدى ما هذا الدلال وماله من دليل ، وما ذلك الملال وليس له وجه جميل ، بمد  
ذلك الخليل من ذلك الجنا ب الجليل ان كنت مقصراً فان بكل كمال محقق ، أو كنت عن  
الوفاء أقصرت فبها أسلفت فانى الآن على بابك معلق

سيدى وأبيك ، ما هذا الظن بمائيسك ، وأخيك وحميك وفيك ، ما كذا  
كان أملى فيك ، سيدى كيف أمكن عليك ، أن تمزق بغير الاحسان سماء سجايك ،  
ولا سبيل لخرق الموائد ولا جمال ، وقد قيل أيضاً ان الخرق والالتظم فى السموات  
محال ، ولا أزال أقول سيدى سيدى ، حتى يشهد بعودك الى حماك الى ساعدى

الشيخ عبد الهادي نجا الاياري — نبذة من شعره ٢٢٩

ثم ارجع فاقول سيدى الحمد لله الذى أحبك وأحباك وحباك وأحباك الصلاة من  
ذلك الحادى المهل ، والحمد لله الذى كفى الجميع أمره ، ولم يجرع أحد منامره ،  
فلكم ولنا وللجميع المناء الا كبر ، وله تعالى الحمد والشكر أكرما يحمدوا كبريا يشكر

## نبذة من شعره

### سهم العيون

أقطف ورود حدود النيد بالقبيل \* وقل وفاء بحق الهوى قبلى  
واخلع عذارك فى خالى العذار ولا \* تبال فالعذر عند الخال منه خلى  
واشرب بطرفت زرجونية عذلا \* من الحيا الذى يشفى من العلال  
وكن على حذر من أسهم عرضت \* لمن تعرض للالحاظ والمقتل  
من أعين مارنت الا رمت مهجا \* تبيت فى وهج منها وفى وهل  
تحبك ماغرلت ثوب الضنا فترى \* منها الحاسة للالحاظ فى القزل  
واهمر قدود ازدهت مشوقة فعدت \* مشوقة لفصون البان والاسل  
واضم جناحك فوق المحصر مختصرا \* واجعل كشفك كفلا من الكفل  
وان تشا فارشف من مبسم ضرابا \* ولا تخف ضرب حدال شارب النمل  
وكرر الرشف تشف النفس من كيد \* وقطف من كبد نارا من الفل  
وعض غصن اقاح الثغر محتسيا \* من كأسه قرقها قد شبع بالعسل  
واطرب بعود وقانون ولا تنى فى \* لهو بدا واطرح الاتراح بالجدل

ولا ترع قوائنا ولا أدبا \* وملا ملام خفيف العقل ذى قفل  
فالناس قد رفضوا القانون بينهم \* واستحسنوا الرقص لكن لالحب على  
وليس مهمم الا التحدث أى \* نحليل محرم الرحمن فى الازل  
واسل المذموم بنار الهم واسل فتى \* سلا وسلى فؤادا بان فى شغل  
وروق البال بالارواق منبسطة \* بالقبض منك على ساق له جدل  
من كف ساقية كالظبي آمنة \* ترمى بطلعتها للشمس فى الحمل  
تقول البدر فى الظلماء طلعت \* بأى وجهه إذا أقبلت تظهر لى  
هيفاء ضامرة الكشحين مائلة الـ مطفين سكرى بلا عل ولا نهل  
وطفاء فائرة الاجفان عاطرة الـ \* أردان ساحرة الاباب بالكحل  
تفوح أردانها طيباً كما تفحت \* أقطار مصر بدمج الواحد البطل

### شعر ناصيف

ينصيف قد أنصف الدهر بى و \* ت فأضحت نفيه فى نوب سؤدد  
ولئن أصبحت تفاخر كل الـ \* مدن أضحت لى لى الحال يشهد  
ما سمعنا بمثله عيسويا \* يجدى بمثل معجز احمد  
نظم الدر والدرارى فى أحسن سمط من الـ البيان ومهد  
ألمى لى لى عيسوى \* كان أولى بفضل دين محمد  
لو تروى ارتوى بكوته المذ \* ب وأروى اعطاء من بات يجحد  
جل من قسم المخطوط فلا عتب \* وان كان العقل فى الامر معهد  
حكم مولى يقضى علينا بما شا \* ن تعالى عن التولد سرمد  
دم جليق الملا نصيف بفضل \* لا يوازى وحسن حمد مؤبد



### حسن التشبيب

خذوا حذرکم من نظرة الحدق النجل \* فكم أرشقت بالصب نبلا على نيل  
مق أمكنت قلب امرى فعلت به \* لعمرك ما شابت من الامر والقتل  
ومهارنت أو رت زناد القرام فى الد \* فؤاد فأصسى فى عياء برقى شغل  
وان غرات الحاظها نسجت لنا \* سقياتنا أتواب سقم من الغزل  
وان نمت أجفانها أبتظت أسي \* هواها بقلب لم تكبله من قبل  
اند شبهوها بالمهند فاشفى \* وقد أدركته خجلة القل والكل  
وقالوا بها سكر قتلت غلظم \* ولكنه سحر يحجر الى السدل  
لئن أنكر المذال سحر جفونها \* فأجته البيضاء السوداء من السحل  
تأمل عذولى فى رفاقى هربها \* ترى السيف فيها والهوى فى المذل  
فلا تقفن حيث العمود قائمها \* مصارع جد فى مكان من هزل  
وما بطل من قام والحرب قائم \* الى بطل بل من لوى من هوى النجل  
بنفى لموا بالعدول تخالها \* قرباوية صيها الدلال على الخل  
لها ما نفعن الابان والريم والطلا \* رضا وجيدا واعتدالا بلا عدل  
تبس فبرى بالقناة وانها \* لتناد من حر التاسم فى الاصل

الى هنا وقف القلم عن تحرير هذا القسم الاول من هذا السفر وسيطلى بان ان شاء الله .

القاهرة فى ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٣٣٢ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩١٤

## كلمات عن الكتاب

### ﴿ كلمة جريدة المؤيد ﴾

وضع حضرة الاديب الفاضل حسن افندي السندوي الكاتب المعروف كتابا له سماه « أعيان اليان » ترجم فيه اعلام الالاء وأعيان الكتاب والشراء من أول القرن الثالث عشر الهجرى الى الآن. ورتبه على أسلوب حسن يسبق اليه . فهو يذكر حياة المترجم ثم يقفوها بفصل فى مميزات يبين فيه عن الصورة الذهنية التى ارتسمت فى مخيلته من مطالعته مؤلفات المترجم ودرس كتاباته واستقرأ مكنوناتها بحيث يلبسه من الوصف والتميز ثوبا عكاسا يجيد الانصاف وحيك بمناول الاصابة . ثم يتلوه بفصل فى بيان مؤلفاته وموضوعاتها ومزلتها وما ينفع منها وما لا يفيد . ثم يزد بنا فى آثار أعلامه فيختار فيه ما يراه جيدا من نثر المترجم وقلمه موشى بالشروح والتعليقات على بصور المترجمين

ومن عرف فى حضرة مؤلفه الفاضل المكاتبة الادبية، وسعة الاطلاع، وبداهمة وقاد الراى ، علم أن كتابه هذا سيكون من أقم الكتب الخالدة وأتمها ان شاء الله

## والكتاب الاديب الشيخ محمد الهياوي

« أعيان البيان » — اسم كتاب مشبع بمح . صنع يد صديقنا الاديب حسن أفندي السندوبي . وهو في موضوعه مرتبط بحاجة الاديب العربي في هذا العصر ارتباطا لا انفكاك له ولا استغناء عنه . والعجب ان تنبأ أسباب النشاط لصاحبه الاديب حتى يصير على عناء تأليفه ، وصوموبة تصنيفه

قول ذلك لالاننا نجد في كفاءات السندوبي ووفرة أدبه وفطنته قصورا عن وضع كتاب مثل كتابه . بل لالاننا نعرف في أخلاق المقتدرين من أدبائنا نكوصا عن العمل وملاحة للبحث وسألمن التأليف والتصنيف . وكل أعلن رجل أو رجل منهم الى الامة عزيمتهم على القيام للادب العربي بحق الخدمة التي تقتضيها طور اللغة واللسان في هذه الايام . ثم لم يكن منهم بد طول التربص بهم والنشوف الى مؤلفاتهم إلا جمود فعود . و إلا انصرف عن الاجتهاد في العمل أو اقطاع عن تمامه الأخذ وافية

أما صديقنا السندوبي . فلقد أقنعنا بأنه استطاع أن يجمع الى كفاءته الادبية العبر على التأليف ومشقة البحث عن الحقائق الصادقة في مغربات المراجع . والكتاب الذي أخرجه الينا يقتضي عناية أعظم مما يقتضيه كل كتاب . وسأطلع القاري على قيمة تلك العناية حتى يحزل حده ، ويكرمه

في نوع التأليف عند كل أمة كتب تشبه أن تكون فلسفة حياة الرجال زن أعمالهم وآثارهم وتدل على مآثره آراء كل رجل من الانرالطيب أو غيره في الحياة التي عاش بينها . وقد كان لهذا النوع من المؤلفات مغزله في أهل الصدور الاولى من أبناء العربية

ولا تزال تلك المؤلفات قائمة بين أيدينا حتى اليوم . غير أنها فقدت منزلتها كما فقدت كل أنواع التأليف . نازلها في فترة المجد التي أصيب بها الشرق في العصور الأخيرة فاقطع التأليف وذهبت الأيام بحياة رجال كثيرين كانت خليفة أن تكون قدوة طيبة لو صادفت أعمالهم وآثارهم عنابة منظمها

جاء صديقنا السندوني فعمل عن اخوانه الأدياء وعن الأمة كافة اصلاح هذا الخطأ واستدراك ماقت عسى أن يحفظ على انفاذة كلها أو بعضها فوضع كتابه « أعيان البيان » ملزمافيه أن يلم بنشأة كل أدب كاتب أو شاعروا تارقه ونأثيره في أنهاض الادب العربي من فجر القرن الثالث عشر الى الآن . ولقد تبينت من اعمام السندوني عمله العظيم ان لميزة على أدياء هذا المصرعي أنه كافأهم في المعرفة والملم وفضلهم بتنفيذ عزمه ومعالجة الأيام على الصبر والجلادة

ومن يعلم ان رجال البيان العربي الذين أنشأهم القرن الماضي اشبات مغرقون وان الالهال الذي استحكم في أهل هذا القرن ذهب بترجمانهم وآثارهم وان قصد الصحة في ذلك يحتاج الى تعب في البحث وصعوبة على استطلاع الحقائق من قطر غير هذا القطر ودور كتب غير دار الكتب المصرية الخدوبة يعلم ان صاحب « الاعيان » جتله على الشرس حتى يرويه ، كثير المعالجة للبيد حتى يقر به

اطلعت على كتابه فقرأت مقدمة شهدت شهادة عدل انها اتقى الطالب يضرب في بطون الاسراف قصد الى معرفة الاسلوب العربي وماطر أعليه من التغيير في جميع العصور مع الابقاء على رواق البلاغة ونحو يد العبارة . أو قصداً الى معرفة ما تفصل الكتابة بالنفس وما كانت تتخذ وسيلة اليهم من شؤون المص وودولعي الحكم في الشرق عند الامويين والباسيين وفي الغرب عند الاندلسيين . وسيرى الناس صدق ما أقول يوم يكمل عظمه يتناول هذا الكتاب الجليل إن شاء الله

## رجاء

المرجوم من القارى الكريم ان يرد بقلمه ما فى هذا الجدول من الصواب الى اماكنه  
قبل المضى فى قراءته

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٩	٢٠	التطبيق	التنطق
١٦	٩	ارسقت	ارتفعت
٢٨	٥	طرقه	طوقه
٢٩	٦	رساله	رسالته
٣١	١٩	فعلتها	مقلتها
٣٢	٢	أصبوا	أصبو
٣٦	١٣	آياته	آياته
٣٨	٤	لحرم	ولسحرم
٥٠	٢٠	تمش	تمشى
٥١	٣	الدرا	الدار
٥١	١٥	آدات	أداة
٥٢	٤	ومن	ومن
٥٢	١٧	يدى	بدا
٥٢	١٨	غريين	غريان
٥٢	١٩	لكلا	لكلنا
٥٥	١٦	ترك	ترك

صواب	خطا	محفقة سطر	
فزع	فزع	١٢	٦١
استم	استم	١١	٦٦
بينها	بينها	١٤	٧٩
منها	منها	٥	٨٠
الثقات	الثقة	٣	١٠٦
الغذاري	الغذاري	١٠	١٠٨
معوذهم	معوذهم	٩	١١٢
منشئه	منشئه	٩	١١٣
من اكنافه	في اكنافه	١١	١١٣
الجوارح	الجواح	٢٢	١١٤
الكنزى	الكنزى	٩	١٢١
أخا	اخوا	١٠	١٢٥
المسلمين	المسلمون	١٢	١٢٧
بلين	بنية	١٩	١٨٠
باهلها	باهلها	١٤	١٩٣
يامؤنى	يامؤنى	٥	١٩٦
الدوا	الدواء	٨	١٩٦
يثوب	يثوب	١٤	١٩٦
كان	كان	٧	١٩٧
امل	أمل	٢	١٩٨
نهي	نها	٤	٢٠٠



اهداء الكتاب ٢

مقدمة الكتاب . وفيها أطوار الانشاء العربى منذ العصر الجاهلى الى اليوم ١٦٥٥  
الشيخ حسن قويدر

ترجمته ١٧ مجزاته ١٨ مؤلفاته ١٩

آثار أقلامه ٢٠

نخب من نثره ٢٠ نبذ من شعره ٢١

عبد الباقى العمرى القاروقى

ترجمته ٢٧ مجزاته ٢٨ مؤلفاته ٢٨

آثار أقلامه ٢٩

نخب من نثره ٢٩ نبذ من شعره ٣٠

الشيخ محمد شهاب الدين

ترجمته ٣٥ مجزاته ٣٦ مؤلفاته ٣٧

آثار أقلامه ٣٧

نخب من نثره ٣٧ نبذ من شعره ٣٩

السيد على الدرويش

ترجمته ٤٦ مجزاة ٤٧ مؤلفاته ٤٧

آثار أقلامه ٤٨

نخب من نثره ٤٨ نبذة من شعره ٥٣

الشيخ ناصيف اليازجي

ترجمته ٦٠ مجزاة ٦٢ مؤلفاته ٦٢

آثار أقلامه ٦٤

نخب من نثره ٦٤ نبذة من شعره ٧٧

رقعة رافع بك

ترجمته ٩٠ مجزاة ٩٢ مؤلفاته ٩٣

آثار أقلامه ٩٥

نخب من نثره ٩٥ نبذة من شعره ٩٨

أبو انتاء الشهاب الألوسي

ترجمته ٩٩ مجزاة ١٠٢ مؤلفاته ١٠٣

آثار أقلامه ١٠٤

نخب من نثره ١٠٤ نبذة من شعره ١٠٩

الشيخ أحمد قارس

ترجمته ١١١ مجزاة ١١٣ مؤلفاته ١١٥

آثار أقلامه ١١٨

نخب من نثره ١١٨ نبذة من شعره ١٥٩

الأمير عبد القادر الجزائري

ترجمته ١٧١ مجزاة ١٧٤ مؤلفاته ١٧٥



## آثار أقلامه ١٧٦

نخب من نثره ١٧٦ نبد من شعره ١٨٣

ابراهيم مرزوق بك

ترجمته ١٩١ مبراته ١٩١ مؤلفاته ١٩٧

## آثار أقلامه ١٩٣

نخب من نثره ١٩٣ نبد من شعره ١٩٦

المعلم بطرس البستاني

ترجمته ٢٠٥ مبراته ٢٠٦ مؤلفاته ٢٠٧

## آثار أقلامه ٢٠٩

نخب من نثره ٢٠٩

الشيخ عبدالمهادي نجالياري

ترجمته ٢٢٢ مبراته ٢٢٣ مؤلفاته ٢٢٤

## آثار أقلامه ٢٢٥

نخب من نثره ٢٢٥ نبد من شعره ٢٢٩

كلمات عن الكتاب ٢٣٢

رجاء ٢٣٤

الفهرس ٢٣٧





 Bibliotheca Alexandrina  
  
0519321